الجزء الثالث | المجلد الحادي والثلاثون

مجلة المجمع العلمي العربي

١ تموز سنة ١٩٥٦ | ٢٢ ذي القعدة سنة ١٣٧٥

مع حافظ ابراهيم

يوم الخميس في ١٨ آذار سنة ١٩٢٦ و ٤ رمضان سنة ١٣٤٤

كنت ضيفاً عند صديقي حسين بك الحسيني في حلوان ، فقال لي : يسكن بالقرب منا حافظ ابراهيم ، وقد أخبرته بأنك ضيف عندنا ، وسيأتي الليلة للسلام عليك . وجلسنا بعد الإفطار (والوقت رمضان) نتحدث بشعر حافظ ، وكان في المجلس معنا شيخ بعمامة بيضاء اسمه الشيخ محمد رأفت . ولم يمض زمن طويل حتى سمعنا من الفسحة المؤدية الى غرفة الاستقبال كلاماً بصوت عال ، فقال صاحب الدار : هذا حافظ بك ، ولم يكد يتم كلامه حتى دخل حافظ ابراهيم وسلّم ، ووقع نظره على الشيخ الذي لم يكن بعيداً من الباب ، فقال له وهو واقف : أأنت هنا يا شيخ ؟ وتهذر ؟ أما كنت الشامي بالسجع والجناس وأربته براعة المصريين ؟ ثم دنا مني وصافحني وجلس بجانبي . وهو طويل مستقيم القامة ضخم الأعضاء أسمر اللون خفيف شعر الرأس والشاربين ،

يغلب عليه الشيب وتبدو على وجهه ملامح الإجهاد والتعب ، يضع على عينيه نظارة منوطة بأذنيه ، تبدو من خلفها عينان صغيرتان ظاهر على انسانيهما وجفونهما أثر الكلال ، ولبسه حسن من غير تنوق ، ولا يكاد السيكار يقع من بين إصبعيه .

جلس وبيده عصا غليظة يقرع بها الأرض أثناء كلامه وقال لصاحب الدار : أكرم ضيفك يا حسين ، أين الشاي ، أسرعوا بالقهوة ، هاتوا الخلطة (نوع من الأفاويه السائلة تضاف الى الشاي والقهوة كالعنبر أو الزعفران) ، أين السكاير ؟ لماذا لم تأت بضيفك وتأكلوا عندي ؟ ثم التفت إليَّ وقال : لابد من أن تأكل عندي ، قل لي ماذا تريد أن أصنع لك من الطعام ، قلت : الفول المدمس ، فقال : الله الله أأنت أتيت الى مصر لتأكل المدمس ، قلت أشكرك على كل حال فأنا مسافر غداً ، قال : ما يصح .

ودخل على اثر حافظ فتى بدين حسن الوجه أبيض اللون مشرب بحمرة ، سمعتهم يدعونه بالسيد علي ، فجلس غير بعيد من الباب .

كان مجلس حافظ بجانبي ويليه صاحب الدار وكان بيده ديوان حافظ ، فقال له : كنا نقرأ شعرك قبل أن تأتي . فقال حافظ : ليس في الجزء الأول من الديوان شيء ، وفي الجزء الثاني والثالث أشياء حسنة منها : (غادة اليابان) :

لا تلم كفي إذا السيف نبا صح مني العزم والدهر أبى

ورثاء الشيخ محمد عبده :

سلام على الإسلام بعد محمد سلام على أيامه النضرات

و (الأمتان تتصافحان) :

لمصر أم لربوع الشام تنتسب هنا العلى وهناك المجد والحسب

و (زلزال مسينا) :

نبئاني إن كنتما تعلمان ما دهى الكون أيها الفرقدان

و (رأس السنة الهجرية) :

لي فيك حين بدا سناك وأشرقا أملٌ سألت الله أن يتحققا

وأشباه هذه ، ولقد نظمت قصيدة جديدة أعددتها ليوم افتتاح الجامعة . فقال له الحسيني : أسمعنا إياها . فأجاب : ادفع الفلوس حتى تسمع ، كل شيء له ثمن .

قلت : وإذا سألتك أنا أن تنشدنا .

قال : هيهات ، لا أنشد إلا بالفلوس .

قلت : ما ذا عسى يعطيك رجل مهاجر منكوب .

قال : وأنا منكوب في بلدي .

قلت : فاجعل الثمن نسيئة .

قال : مَن لي بالوفاء ؟ ولكن أراني أضرب في حديد بارد ، كل شيء تغير في هذه الحياة ، كان الأمير في الماضي يقول : مَن في الباب من الشعراء ؟ أفيقول الشاعر اليوم : من في الباب من البكوات ؟ وعلى كل حال فان أبيتم إلا منعاً فأنا أعطي .

ثم أنشد مختارات من شعره ، منها قصيدة زلزال مسينا وكان شديد الإعجاب بهذا البيت منها :

خسفتْ ثم أغرقتْ ثم بادتْ قضي الأمر كله في ثوان

أنشده فخوراً وقال : بيت واحد أحاط بما منيتْ به مسينا ، وهو على شدة إيجازه قد صور الفاجعة تصويراً كاملاً .

ثم أنشد أبياتاً من قصيدة في مظاهرة للسيدات كانت سنة ١٩١٩ أولها :

خرج الغواني يحتجبـــن ورحت أرقب جمعهنّهْ

ومنهـــا :

وإذا بجيشٍ مقبـلٍ والخيل مطلقة الأعنه

وإذا الجنود سيوفهـا   قد صُوبت لنحورهنـه
وإذا المدافع والبنـا   دق والصوارم والأسنه
والخيل والفرسان قد   ضربت نطاقاً حولهنـه
والورد والريحان في   ذاك النهار سلاحنـه
فتطاحن الجيشان سا   عاتٍ تشيب لها الأجنه
فتضعضع النسوان والنـــ   ـسوان ليس لهن منّه
فلهنأ الجيش الفخو   ر بنصره وبكسرهنه

وقال: لم أدفع هذه القصيدة الى صحيفة من الصحف ، ولم أقل إنها لي ، ولكن رواها الناس وتناشدوها وعرفوا أنها لي لأنه — كما قال لي أحد الإخوان — لا يقول مثل هذه القصيدة في مثل هذا المقام ويختار لها هذا الوزن وهذه القافية إلا من كان واسع الرواية للشعر مطلعاً على تفنن الشعراء في اختيار الأوزان الملائمة لمعانيها . ألم تطلع على هذه القصيدة ؟

قلت : (مْبَلى) [1] وكأنه لم يسمع الميم الساكنة في أولها .

فقال بصوت أجش : اسمع العربي الفصيح يا حسين ، قال (بلى) ولم يقل (نعم) في جواب هذا الاستفهام المسبوق بالنفي ، ولو قال (نعم) لانعكس المعنى . فقلت في نفسي : رمية من غير رام .

ثم قال : وقصيدتي بتهنئة الملك فؤاد بعيد جلوسه فيها أبيات حسنة منها :

واضرب بسوط البأس أعـــطاف الزمان إذا استبدا

والملك فؤاد لو قال له قائل في أيام الخديوي عباس إنك ستكون مكانه لظن أنه يسخر منه ، ولكن هكذا الدنيا تخفض وترفع .

قلت : من الرفش الى العرش .

---

(١) هي (بلى) ولكن الدماشقة يزيدون في أولها ميماً ساكنة في كلامهم ولا يلتزمون الدقة في استعمالها .

فاستعاده وأعاده وقال : أهذا مثل ؟ يعجبني هذا المثل ، وجعله وسيلة للتندر على الملك فؤاد فقال : استدعى الملك في إحدى زياراته للاسكندرية قائد خفر السواحل وبدأ يوصيه وينبهه ، فكان مما قاله له : «خذ بالك ... إياك ... مهربين ... كوكائين ... سيف الدين(١) ...»

ولم يطل في إنشاد شعره بل عاد الى الحديث وكان يسرع في كلامه ، ويكاد يتكلم بيديه ورأسه وعينيه ، حلو الألفاظ ، يميل الى الدعابة والمزاح وإيراد النكات ، ولا يتأثم من التصريح بذكر ما يكنى عنه .

واسع الرواية للشعر والنثر ، يعتد بنفسه ، فخور بجيد شعره ، يدعي أنه أول من نظم الشعر الاجتماعي ، ولا ينكر أن له أشياء كثيرة من سخيف الشعر وسفسافه يدعوها (الشعر التجاري) ويدعي أنه كان يحفظ مائة الف بيت من جيد الشعر ، ولكن لم يبق منها في حفظه الآن إلا نصفها . يقدس المولدين من فحول الشعراء كبشار بن برد ومن أتى بعده ممن هو في طبقته ، مفتون ببلاغة العرب ، يجاهر بعجز المعاصرين عن إدراك شأوهم في التأدية والأسلوب ويقول نحن عيال عليهم ، ولكنه لا يستسيغ الشعر الجاهلي . ويتندر على العويص منه كما يتندر على اللبن والركيك من الشعر المنثور .

تكلم حافظ كثيراً ولا سبيل لتدوين كل ما قال ، وإنما أثبت خلاصة حديثه . ذكر من الشعراء بشار بن برد وأبا نواس ومسلم بن الوليد وأبا تمام الطائي والبحتري والمتنبي والشريف الرضي وأبا العلاء المعري ومهيار الديلمي . فقرظ بشاراً كثيراً وروى من شعره . وأطنب في مدح أبي نواس وقال انه أطبع الناس على الشعر وهو أشعر الناس صاحياً ولكن قلما يصحو (ابن الكلب) وروى من شعره ، وكان شديد الإعجاب بقوله :

(١) سيف الدين : ابن عم الملك فؤاد كان اختلف وإياه قبل أن ينصب ملكاً فأطلق سيف الدين عليه الرصاص فأصابه رصاصة في عنقه لم تقتله ولكن بقي يسعل من أثرها ، وفر سيف الدين من مصر .

أخذتُ بحبلٍ من حبال محمدٍ أمنتُ به من طارق الحدثانِ

تغطيتُ من دهري بظل جناحه فعيني ترى دهري وليس يراني

وأثنى على صريع الغواني مسلم بن الوليد ورفع كثيراً من قدر أبي تمام الطائي وأشاد بذكره ، وقال : « إنه شاعر العظائم وقصيدته في فتح عمورية :

السيف أصدق أنباءً من الكتب في حده الحد بين الجد واللعبِ

كلها غرر وكلها عيون وما فيها بيت ساقط وليس للعرب مثلها » . ووقف وأنشد طائفة منها . ثم قال اذا سما أبو تمام فلا يدانيه أحد ، ولكن لم يخل شعره من السخيف . وروى له بيتاً هو :

المجد لا يرضى بأن ترضى بأن يرضى المؤمل منك إلا بالرضا

ودعاه بالشعر الأزهري دتلاه على طريقة المشايخ في الأزهر ، فقد كان يكرر الشطر وهو يقبل بصدره الى الأمام وينأى بظهره الى الوراء ويقول : ظاهر ؟

فلما أتى على ذكر البحتري قال لي : من تفضل من الشعراء الثلاثة ، أبا تمام أم البحتري أم المتنبي ؟ قلت البحتري ، قال أنت شاعر والشعراء يفضلون البحتري ، البحتري سيد المطبوعين وأقدر الشعراء على حسن التأدية ، وشعره من السهل الممتنع . إذا تلوتُ شعره ظننتني أقعد في حضنه أداعبه ويداعبني وأفهم عنه ويفهم عني ، بل أحيط بما في نفسه كما يحيط بما في نفسي ، وهو يعطيك من المعنى بالرفق واللطف ، ما يعطيكه سواه بالعنجهية والعجرفة ولهجة الآمر أو الأستاذ شأن المتنبي ، والبحتري لا يأبه للتشبيهات والاستعارات ، بل يحدث عن ذات نفسه بلا كلفة ولا عناء ، وهذا هو الشعر ، والعجيب أنني لم أفقه ذلك إلا بعد أن بلغت من العمر خمساً وأربعين سنة ، أنا اليوم ابن أربع وخمسين سنة ، وقد قضيت عمري في الشعر ، رواية وقولاً ولم أحط بهذه الحقيقة إلا منذ عشر سنين ، عجيب غريب ... اسمع قول البحتري :

نظرتُ إلى طدان فقلت ليلى هناك ، وأين ليلى من طدانِ
ودون لقائها إيجاف شهر وسبعٍ للمطايا أو ثمانِ
تصوبت البلاد بنا إليكم وغنّى بالإياب الحاديانِ

هذا هو الشعر . واسمع هذين البيتين المنسوبين لابن سينا في ولده :

ولي واحدٌ مثل فرخ القطا فيحنو عليَّ وأحنو عليهْ
لقد تعب الشوق ما بيننا فمنه إليَّ ومني اليه

أنا أموت في مثل هذه الرقة ، هذا والله هو الشعر .

وأنشد لفتاة أعرابية قولها تشكو لأمها ريبة لحتها في نظر محبوبها :

ورابني منه أني لا أزال أرى في طرفه قصراً عني إذا نظرا

فكان يقوم ويقعد ويتواجد ويقول « يابنت كب[1] » ، رحتِ في داهية ، جالك البلى ، كنتِ تحبين فتى كالسي علي » .
وكان يترنح طرباً ويهتز جميعه .

أما قول امرئ القيس :

اذا ما الثريا في السماء تعرضتْ تعرض أثناء الوشاح المفصل

فأنا لا أفهمه كما اني لا أفهم قول مي :

« نامت الشمس وأرخى الشفق سدوله ولفقت حواشي السحب بخيوط الذهب والفضة وماجت في الأفق بحيرات الياقوت وبرك الزمرد .... »

ثم تناول المتنبي فقال : « أنا أحترم المتنبي كثيراً وأجله ، وإذا سمعته يقول :

الرأي قبل شجاعة الشجعان هو أولٌ وهي المحل الثاني

وقفتُ بين يديه وزررت معطفي ووضعت يدي على جبيني وقلت نعم صدقت . ألست ترى ان هذا البيت هو خطة حربية يلقيها القائد الأكبر على قواده

(١) يريد (يا بنت الكلب) كما يلفظها المصريون .

ورجاله ، نعم أنا نحني أمام عظمة المتنبي ولكني أقول إنه لم يوفّق الى ما وفق اليه البحتري من السلاسة والطلاوة والسهولة وحسن الديباجة . انظر كم يستعمل المتنبي ذا وذي في شعره ، فهو أكثر الشعراء استعمالاً لها ، ولقد كان محمود سامي البارودي رحمه الله يقول لي : كأن المتنبي انكليزي لكثرة ما يتوكأ على ذا وذي .

أما الشريف الرضي فتستخفني رقته وانسجامه كما تبهرني قوته وإحكامه . أية فريدة تلك المرثية التي يقول في مطلعها :

منابت الشيخ لا حامٍ ولا راعِ مضى الردى بطويل الرمح والباعِ

وقد حاولت أن أجاريه في رثائي للشيخ محمد عبده . فنظمت المطلع من هذا البحر وعلى هذا الروي ثم انقطعت ولم أقو على الاستمرار ، ولكن الله أعان ونظمت الثانية :

سلامٌ على الإسلام بعد محمدٍ سلامٌ على أيامه النضراتِ

وهي من الغرر .

على أنني لا أرتاح لقصيدة الشريف الرضي التي يرثي بها أبا اسحق الصابي ويقول :

أعلمتَ من حملوا على الأعوادِ أرأيت كيف خبا ضياء النادي

الشريف الرضي كان يطمح الى الخلافة ، دخل عليه مرة فتى حسن الوجه مثل السيد علي (أناهم أنت يا سي علي) وقبل يد الشريف فقال أبياتاً دعني أمثل لك الشريف في عظمته وزهوه وتيهه وأنشدها ، وهنا رفع حافظ رأسه وصعر خده ونظر شزراً وقبض أصابعه وأنشد برفق وتأن وصوت خافت :

ومقبلٍ كفي وددتُ بأنه أوما الى شفتيَّ بالتقبيلِ
جاذبته فضل العتاب وبيننا كبر الملول ورقة المملولِ
جذلان ينفض من فروج قميصه أعطاف غصن البانة المطلولِ

وتلميذ الشريف الرضي مهيار الديلمي تعجبني رقته ، دعني أنشدك شيئاً من شعره بلهجته الفارسية . واندفع ينشد وكأنه فارسي ينشد شعراً عربياً :

آه على الرقة في خدودها   لو أنها تسري إلى فؤادها
بالبان لي دين على ماطلة   يبس غصن البان في أبرادها
سلطت الوجد على جوانحي   تسلط الخلف على ميعادها

وأنشد أيضاً من شعر مهيار :

أبا صاحبي أين وجه الصبا   ح وأين غدٌ صف لعيني غدا
أسدوا مسارح ليل العرا   ق أم صبغوا فجره أسودا

وأعاد البيت الثاني غير مرة مادّاً كلتا يديه ومحركاً أصابعه ثم قال : ولكني لا أقدر أن أجد في شعر مهيار من الرقيق البارع أكثر من مائتي بيت .

ثم قال : وأبو العلاء المعري ، حفظت في حداثتي من شعره ديوان سقط الزند . أما فلسفته فمبثوثة في اللزوميات ، ولقد كان يجحد الخالق ويشك في النبوات وينتقد الشرائع ويعرض بموسى ومحمد دون عيسى عليهم السلام ، لأنه يرى أن موسى ومحمداً طال عمرهما فأتيح لهما أن يعملا ما شاءا أن يعملا ، أما عيسى فهو صغير السن ولم يعمل شيئاً ، وانما انتقد أبو العلاء من جاء بعد المسيح من الأحبار الذين ألّهوه .

* * *

وانتقل حافظ من الشعراء الى المنشئين ، فذكر ابن المقفع وبراعة إنشائه فأطنب في مدحه وقال : أعدت قراءة كتاب كليلة ودمنة مرات كثيرة ، أكثر من مائة مرة .

ثم ذكر الجاحظ فقرظه كثيراً وتلا فقراً من كلامه وروى عنه نوادر مستملحة ، وكذلك قرظ أبا الفرج الاصبهاني صاحب الأغاني وقال : انه قرأ

الأغاني مرات واستظهر الكثير مما فيه من الشعر وقال : إن إنشاء أبي الفرج غاية في الحسن والجودة ومحال أن يستبدل الانسان من إنشائه كلمة بكلمة . وحدث عن الصاحب بن عباد وما كان من كرمه وجوده ، وقص شيئاً من ملحه وطرفه .

وروى فقرة لاسحق الموصلي لم يبق في ذهني منها إلا قوله (أجد نغزاً في قلبي) قال : كنت مستلقياً على سريري وبيدي كتاب أقرأ فيه ، فلما مررت بهذه الجملة حفزني حافز ألقاني عن سريري فما وجدت نفسي إلا قائماً أرقص لحسن هذه الجملة الخلابة .

ثم نال من القاضي الفاضل وعاب أسلوبه في الانشاء وتعمله فيه ، وأنحى باللوم كثيراً على سجع العماد الاصفهاني الكاتب وتكلفه . قلت لعلك تعني سجعه في كتابه « الفتح القسي في الفتح القدسي » قال : حفظت مائة ألف بيت وأنا عاجز عن حفظ مثل هذا الاسم .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وانتقل الى التحدث عن شوقي فأطال الكلام وانتقده انتقاداً لاذعاً وغمزه ولمزه وخلط الهزل بالجد وتندر عليه وشهد له في النهاية بالشاعرية المنقطعة النظير .

عاب كثيراً من شعره ونعى عليه أسلوبه وذم ألفاظه وسخر من تنطعه ، قال : ما رأيت أحداً يكثر من الدعوة الى مكارم الأخلاق كشوقي وهو الذي يقضي ليله طائفاً حوالي مواطن الريبة ومتنقلاً في عربات الترام .

بماذا يفسر قوله لخديوي عباس من قصيدة يمدحه بها :

أنا من ملكت فؤاده فافعل به ما أنت فاعلْ

أما قصيدته في بيروت فقد كشف الله بها عن حقيقة أمره في سوء مذهبه واضطراب قوافيه ، فبينا هو يقول في بيت : (عرفته)[1] يقول في بيت آخر

---

(١) إشارة الى البيت :
فزورٌ غضبةً وأعرض نافراً حالٌ من الغيد الملاح عرفته

(ملكوته)[1] ولا تسل عن مكارم الأخلاق حين يحدث عن أحور[2] بكفية وكيف زحمه .

وقصيدته في دمشق ، ما أشد تنطعه حين يقول :

لولا دمشق لما كانت طليطلة ولا زهت ببني العباس بغدان

فمن أي معجم استدعى كلمة بغدان وفي أي ديوان وقع عليها وفي أي قاموس غاص حتى استخرجها هل رأيت شاعراً استعملها في شعره ؟ ليست البلاغة في استعمال المهجور من الألفاظ ، فأنا أحفظ من متن اللغة ما لم يقرأه شوقي ، ولا أستعمل في شعري إلا كل مأنوس قريب من الفهم ، فما قيمة الشعر إذا احتاج سامعه أن يرجع الى دواوين اللغة .

وما أعجب لشيء كعجبي لأهل الشام في غلوهم بالاحتفاء به ومبالغتهم في تكريمه ؛ وفي قصائدهم التي قالوها فيه ما هو أحسن من قصيدته . قلت ما أظن ذلك . قال : كذا كما أقول لك ؛ ولكن قل لي كيف أنشد شوقي قصيدته ؟ قلت أنشدها غيره وقعد هو بجانب المنشد . قال أف له من جبان ألكن ، لو كنت في دمشق بتلك الحفلة لأريتكم كيف يكون إنشاد الشعر ؛ ليس في مصر من يدانيني في الالقاء ، فاذا أنشدت الشعر في حفل أقمت وأقعدت وفعلت بالألباب ما شئت ، وكم شهد لي بذلك سعد زغلول .

قلت كان الشاميون يتوقعون زيارتك لهم ، ولو فعلت لاحتفلوا بك كثيراً . قال وهل يعرفونني ؟ قلت كيف لا يعرفونك ، وأكثر أدبائهم ومتأدبيهم

---

(١) إشارة الى البيت :

لبنان والخلد اختراع الله لم يوسم بأزين منهما ملكوته

(٢) إشارة الى قوله :

وأغن احور من مها بكفية علقت محاجره دمي وعلقته

دخل الكنيسة فارتقبت فلم يطل فأتيت دون طريقه فزحمته

يروون شعرك ، قال ويحبونني ؟ قلت نعم . فتهلل وجهه وقال : كنت ناوياً زيارة الشام في الصيف الماضي ، ولكن لما ذهب شوقي عدلت ، لم يكتف شوقي بالذهاب الى الشام وحده حتى استصحب معه محمد عبد الوهاب ، وكان هناك أحمد زكي باشا المسهب المكثار ، والدكتور محجوب ثابت وأمره معروف مشهور ، فكيف أدخل الشام ما دام هؤلاء فيها ، وما أدري ما قال أهل الشام عنهم ، ولكن لا بد لي من زيارة الشام في الصيف المقبل مع حسين بك .

ثم عاد الى نقد شعر شوقي فقال : يقول شوقي :

أألخون اسماعيل في أبنائه ولقد وُلدتُ بباب اسماعيلا

كيف رضي لنفسه أن تلده أمه بالباب ، ولو كان هذا الأمر حقيقة لوجب كتمانه ، فكيف والحال هنا كناية عن أنه ربيب نعمة اسماعيل .

ويقول شوقي :

سلامٌ من صبا بردى أرقُّ ودمعٌ لا يكفكف يا دمشقُ

والصبا الريح الشرقية وهي في دمشق ليست من الرياح الطيبة .

ويقول :

أعدت الراحة الكبرى لمن تعبا وفاز بالحق من لم يأله طلبا

وهل الراحة الكبرى غير الموت .

ويقول :

أنا من بدل بالكتب الصحابا لم أجد لي وافياً إلا الكتابا

وهو يريد أنه أخذ الكتب وترك الصحاب فاستعمل العكس لأنه لا يعرف أن الباء تدخل على المتروك .

ولقد أغري هذا الرجل بكلمة (قم) واختارها مطلعاً لكثير من قصائده كأنها (حتم) ، منها قوله :

قم سليمان بساط الريح قاما ... ملك القوم من الجو الزماما

قم ناج أهرام الجلال وناد ... هل من بناتك مجلس أو ناد

قم حي هذي النيرات ... حي الحسان الخيرات

قم حي أنقرة وقل يهنيك ... ملك بنيت على سيوف بنيك

قم ناج جلق وانشد رسم من بانوا ... مشت على الرسم أحداث وأزمان

قم للمعلم وفه التبجيلا ... كاد المعلم أن يكون رسولا

قم في فم الدنيا وحي الأزهرا ... وانثر على سمع الزمان الجوهرا

فأي شاعر ارتكب مثل هذا ؟ قال لي محمد المويلحي : أخبرني كيف يقوم الانسان في فم الدنيا ويحيي الأزهر أهكذا ؟ ووضع حافظ سبابته معترضة في فمه بعد أن فغره .

لقد طبع شوقي الجزء الأول من ديوانه وقد ورد فيه من (قم) الشيء الكثير . أما جبريل فقد ردد ذكره سبع عشرة مرة منها قوله :

جبريل هلل في السماء وكبر ... واكتب ثواب المحسنين وسطر

جبريل أنت هدى السما ... وأنت برهان العنايه

ولا تسل عن عيسى ، فما تكاد تخلو قصيدة في شعر شوقي من ذكره ، نعم أنا أومن بنبوة عيسى وموسى وسائر الأنبياء كما أومن بمحمد ولكنني أكتفي بمحمد وبما جاء به من الهدى .

يظن شوقي انه أمن عادية النقد في ديوانه وإظهار مساويه والتشهير بسفسافه بعد أن رشا أرباب الصحف ، فقد نظم قصيدة في رثاء ابن حسين هيكل رئيس تحرير السياسة أولها :

الضلوع تنقــدُ والدموع تطــردُ

وأخرى في تقريظ كتاب فتح مصر الحديث لحافظ عوض صاحب كوكب الشرق وهي التي غلط في مطلعها فقال :

أنا من بدل بالكتب الصحابا لم أجد لي وافياً إلا الكتابا

أما صاحب الكشكول فهو من حزبه . ولكن ما يصنع بالعقاد الذي أخذ أهبته وأعد عدته لنقد الديوان نقداً قاسياً لا مراعاة فيه ، وقد أزمع على أن يقدم بين يدي النقد فصلاً في حياة شوقي وهو إذا فعل فقد أصبح شوقي وديوانه هباءً منثورا .

وهنا عطف حافظ على العقاد والمازني والدكتور طه حسين فقال : العقاد كاتب مليح أما نقرأ له شيئاً ؟ قلت : قرأت له الفصول ومطالعات ، قال هما كتابان جيدان . وأما المازني (المازني) فذاك سبّاب وأنا لا آبه له في كل ما انتقدني به وأخذه عليَّ ، يكثر من الانتقاد ويعتبر الصواب خطأً ، وسبب ذلك قلة بضاعته من المعرفة ، فكل ما لم يحط به علمه يعتبره خطأً ، وما أقل ما يعلمه وأكثر ما يجهله ، وهكذا يكون هذا النوع من الناس ، يسرعون الى التخطئة لأن معرفتهم قليلة هزيلة ؛ فاذا أضيف الى ذلك سوء النية مثل صاحبه أقبح تمثيل . وكل نقد بوجه اليَّ على تلك الطريقة أضعه تحت قدمي وأعبو به . وأما طه حسين فأسلوب عجيب ، اسمع اذا شئت : « تنكرون أن القضية هي قضية ، والكم رأيكم في أنها ليست قضية ، ولنا رأينا في أنها قضية ، وانما نريد أن نتكلم من حيث أنها قضية ... » والحق إنه جاحظ هذا العصر في مقدرته وقوة طبعه ومطاوعة القول له وطول نفسه ، والحرب التي تدور رحاها الآن بينه وبين الرافعي من أجل الشعر الجاهلي شغلُ الصحف والنوادي الأدبية ، والذي يطيل عمر هذه الحرب أن طه حسين معها

هدر وهدد وتوعد وحشر ونادى لم يسمعه الرافعي ، وأن الرافعي مهما أرغى وأزبد وبرق وأرعد وصال وجال ولوّح بسيفه وهز برمحه لم ينظر طه حسين إليه ، والذي يعجبني من الرافعي أسلوبه العربي الخالص .

ثم عاد الى شوقي فقال : «ما قلته في شوقي وشعره قليل من كثير ، ولكنه بالرغم من كل ذلك شاعر عظيم ، ولقد شاء القدر أن يقرن اسمي باسمه ، فما يذكر شوقي إلا ذكر حافظ ، وما يذكر حافظ إلا ذكر شوقي ، كالنعل وشراكها والقبقاب وسيره ، ولئن أخطأ في بعض شعره فلم يخل شاعر من الخطأ ، أذكر من أغلاطي في اللغة قولي في مطلع قصيدة لي بذكرى شكسبير .

يحييك من أرض الكنانة شاعرٌ شغوفٌ بقول العبقريين مغرمُ

فليس في العربية شغوف (وكنت أظنها صحيحة) بل مشغوف . ولم يظهر لي ذلك إلا بعد أن تليت القصيدة في الاحتفال الذي أقيم في بلاد الانكليز لمرور ثلاثمائة سنة على وفاة شكسبير وبعد أن نشرت في الصحف بزمن طويل .

على أن لشوقي من الإحسان ما يمحو له كل سيئة ، من ذلك أن له بيتين وددت لو كانا لي بنصف ديواني ، قلت ما هما ؟ قال قوله في قصيدته (ذكرى كارنافون) :

أفضى إلى ختم الزمان ففضه وحبا إلى التاريخ في محرابه

وطوى القرون القهقرى حتى أتى فرعون بين طعامه وشرابه

ثم ذكر الشيخ محمد عبده فأثنى عليه وامتدح سيرته وحسن أخلاقه وعلمه وبلاغته وصحة ذوقه في الأدب قال : كنت والشيخ محمد عبده نجري في ليلة على قارب في النيل وكان أحد النوتية يغني (حار الفراش بيهم اللآن ما ناموا) فقال لي الشيخ : يا حافظ خذ هذا المعنى وانظمه فانه حسن . فنظمته في بيت من قصيدة :

حار الفراش بنـا مما نكابده وضاق صدر الليالي عن تشكينا

ثم نقحته أيضاً في قصيدة ثانية وزدت عليه فقلت :

حار الفراش وحرت فيه فأننا تحت الظلام معذب ومؤرّق

قال وكان الشيخ رحمه الله إذا استحسن شيئاً من شعري قال (مش بطال) لم يزدني على درجة (مش بطال) شيئاً .

وقال : سمرت ليلة مع الشيخ وبت عنده ، فلما كان الفجر قام الشيخ وتوضأ وصلى وطلعت الشمس وانتظر طويلاً حتى استيقظت ، فلما دخلت عليه قال لي : يا حافظ لم أتمكن على طول صحبتك لي من إصلاحك ، ولم تقدر على إفسادي .

ثم أتى على ذكر خليل مطران فلم ينله بسوء وقال : انه شاعر أديب وروى له فقرة بليغة من النثر ، ولما رآني استحسنت معناها قال : انه أخذ هذا المعنى من فيكتور هوغو ، ثم روى له مقطوعة من الشعر أولها :

أنا لا أخاف ولا أرجي فرسي مهيئة ومسرجي

وقرظها وقال : قلت لخليل مطران ضع (خرجي) مكان (سرجي) لأنك متى قلت « فرسي مهيئة » علم بالضرورة أن السرج فوقها ، وإلا فما معنى تهيئة الفرس ، وخرج كلمة صحيحة فصيحة .

وعلى ذكر خليل مطران ، اختلفنا مرة في أينا أجمل وبعبارة أصح في أينا أقبح من الآخر ، فكنت أدعي أنني أجمل منه وهو أقبح مني ، وكان يزعم عكس ذلك ، وطال الخلاف بيننا حتى اتفقنا على أن نحتكم الى اسمعيل صبري باشا ونقبل بما يحكم به . فذهبنا اليه وشرحنا له دعوانا ، وبعد أن استقصى في سؤال كل منا عما يدعيه لنفسه وعلى خصمه ، وبعد أن أطال النظر في وجه كل منا ، أعلن ختام المحاكمة وأصدر حكمه بقوله : « حافظ ابراهيم أجمل قرد ، وخليل مطران أقبح إنسان » فانصرفنا وعند كل واحد منا أنه حكم له على

صاحبه ، فانا أقول ان الحكم لي وهو يزعم أن الحكم له وما زلنا مختلفين في تفسير الحكم الى الآن . فما تقول أنت ، هل حكم لي أم عليّ ؟

قلت : بل حكم لك .

فقال : أصبت ، لأنه لما قال : « أجمل قرد » وصفني بالجمال على كل حال ، في حين وصف المطران بالقبح .

ثم سألني عن شعراء الشام وهل فيهم من يعادل شعراء مصر ، قلت : انهم يقدمونكم على أنفسهم ويعتبرونكم أئمة . ولكن عندنا من المنشئين من ليسوا دون منشئيكم . قال : مثل من ؟ قلت : مثل شكيب أرسلان ومحمد كرد علي قال : صحيح .

ثم قال لي : من هو الشاعر الشامي الذي ألقى قصيدة في الحفلة التي عقدت لخليل مطران بالقاهرة وقال في مطلعها :

لتشتت الى الاهرام أرض الشام لو تستطيع جوىً الى الاهرام

قلت شبلي الملاط ، قال هو شاعر ، ولكن ما أبشع ذاك المطلع .
ثم قال والشاعر الذي كان عندنا منذ سنة ؟ قلت لعلك تعني الزهاوي ، قال نعم . قلت ذاك عراقي وليس بشامي ، قال كله واحد . قلت لقد رأيت الزهاوي بدمشق بعد عودته من مصر واجداً في نفسه عاتباً عليك لأنك لم تزره . قال نعم ، الشعر الذي نشره عندنا ليس بذاك ، فضلاً عما فيه من الزندقة والإلحاد ، وهل في شرع الذوق والأدب أن يجيء الضيف مدينة إسلامية كالقاهرة بمحاربة الإيمان ومظاهرة الإلحاد ؟ لك أن تقول : في مصر أيضاً من يجاهر بالالحاد ويدعو اليه ، وجريدة السياسة ميدان يتبارى فيه دعاة الإلحاد ، وصاحبها حسين هيكل ينفخ في بوق الإلحاد ، تهاجم هذه الجريدة الإسلام في أصوله وأركانه ، والمسلمين في سننهم وعاداتهم ، وتدعو الى نبذ

كل ما هو شرقي والاخذ بكل ما هو غربي ، حملت منذ مدة هذه الجريدة على الطربوش ودعت الى لبس البرنيطة ، ولبسها أحد محرري الجريدة . نعم ذاك أمر تافه ولا يضر الإسلام في جوهره شيئاً ، ولكن الفلاح المصري لا يفهم من لبس البرنيطة إلا ترك الإسلام ، وليس من مصلحتنا أن نجعل هذه الملايين من الفلاحين تعتقد أننا تركنا الإسلام . ونعود الى الزهاوي ، لم أزره لأنني كنت أيضاً غير مالك صحتي ، قلت : هذه إضافة زائدة . قال ماذا أصنع ، قلما تعتدل صحتي ، ولقد خلصت بمثل هذه المعذرة من رثاء سليم سركيس الذي أقيمت له حفلة تأبين منذ بضعة أيام .

وانتقل الى عبد المحسن الكاظمي فقال : شاعر قوي البديهة ولكنه منذ نزل مصر وقف حيث هو ولم يماش الزمن .

وروى بيتين للسيد توفيق البكري وقرظهما كثيراً ولكنه قال ان معناهما مأخوذ وذكر المأخذ .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وبعد أن طال السمر وانقضى أكثر الليل ودخل وقت السحور ، نهض حافظ وقال : لا بأس وإن طال السهر فان تحت التراب نوماً طويلاً .

ثم قال لي : ألا تزال مصراً على السفر ؟ قلت سأسافر الى الاسكندرية يوم غد إن شاء الله . قال سنراك هناك قريباً باذن الله ولعل ذلك يكون في العيد .

خليل مردم بك

الشعر الأندلسي

من أكبر مميزات الشعر الأندلسي التي تطالعنا عند بحثه أولاً ، أنه شعر حضري لا جاهلية له . وليس يشبهه في ذلك شعر قطر من الأقطار العربية . حتى العراق الذي بذ الأندلس في الحضارة نجد في شعره أثارة من هذه الجاهلية لا تخفى على الناقد البصير . أما في الألفاظ فانها تكاد تلمس ، وأما في المعاني فان رواسب من أفكار شعراء الجاهلية لا تفتأ تطفو حيناً بعد حين على صفحة هذا الشعر الرقراق الذي قيل - ويقال حتى الآن - عند ضفاف الرافدين .

ولعل مرجع ذلك في البلاد العربية الى جساوة في الطباع ، وقساوة في البقاع ، فان الاقليم في الشرق ، ولو في العراق ، غيره في الغرب ولا سيما الأندلس . والمزاج يتكيف بتكيف الأقاليم رقة وغلظة ، وليناً وشدة ، ما في ذلك شك . وقد كان شعراء العراق كغيرهم ، يخرجون الى البادية ، فيتنقلون في القبائل لأخذ اللغة عن أربابها ، وتعلم الفصاحة من أصحابها ، كما نرى في ترجمة المتنبي والبحتري وأضرابهما ، فلزمتهم هذه البداوة وظهر أثرها في شعرهم . وأين هي هذه البادية من شعراء الأندلس الذين ولدوا في بحبوحة الحضارة ونشأوا في غضارة الترف ، فولد الشعر معهم ونشأ حضرياً مترفاً .

ومن بدا منهم كابن عبدون فانما قصاراه من البداوة المظهر الذي غرّ الوزير أبا بكر بن زهر (1) ، وأما المخبر ، فانه الذي انجلى عن قصيدة :

« الدهر يفجع بعد العين بالأثر »

---

(1) انظر حكايته معه في المعجب للمراكشي .

وأما هؤلاء الشعراء الذين طرأوا مع الفتح من مثل أبي الخطار الكلابي والصميل بن حاتم فانهم وان كانوا يذهبون في شعرهم مذهب أهل الجاهلية ، فاننا لا نعدهم بحال من شعراء الأندلس ؛ لأنهم لم ينشأوا فيها ولم يشتهروا بشعر كثير فيؤثروا فيمن أتى بعدهم ، فبقي الشعر الأندلسي مصوناً من عنجهية البدو ، لا جاهلية له مطلقاً .

ولقد استمر الحال بعد الفتح على ما يقتضيه طور التمهيد والتنظيم من الانصراف عن شؤون الأدب والشعر الى أن قدم عبد الرحمن الداخل ، أي نحواً من ٤٦ سنة . وحينئذ انفسح المجال أمام شعراء الأندلس للتحليق في جو « الصقر »[1] الذي الى النخلة بهذه النفثة السحرية :

تبدت لنا وسط الرصافة نخلة ... تناءت بأرض الغرب عن بلد النخل

فقلت شبيهي في التغرب والنوى ... وطول اكتئابي عن بنيّ وعن أهلي

ومن ذلك اليوم تحدد موقع الشعر في الجزيرة ، فمن الوجهة الاجتماعية كان الأمير المنشئ للدولة الاولى المجد الاسلام شاعراً يعبر عن عواطفه بشعر بليغ ونظم رقيق ، فلم يستنكف من أتى بعده من الشعراء أن ينسجوا على منواله في تعاطي الشعر وحب الأدب حتى كان كل أمراء بني أمية وخلفائهم تقريباً شعراء . وكذا ملوك الطوائف الذين خلفوهم من بعد ، والناس على دين ملوكهم كما يقال ، فقامت للشعر دولة ببلاد الأندلس لم يكن له مثلها بالبلاد الأخرى . وبينما كان « الشعر بالعلماء يزرى » في المشرق كما أتى في بيت للشافعي رحمه الله[2] ، كان العلماء في الأندلس يتسابقون لنظم الشعر ويتباهون بمعرفته ، ولا يعدون العالم كاملاً إلا إذا شارك في علوم الأدب بأوفر نصيب[3] .

---

(١) يلقب عبد الرحمن الداخل بصقر قريش .

(٢) وهو قوله :

ولولا الشعر بالعلماء يزري ... لكنت اليوم أشعر من لبيد

(٣) انظر الرافعي ، ص ٢٨٥ تاريخ آداب العرب ج ٣

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

ولهذه المكانة التي كانت له في النفوس كثرت رغبة الناس فيه ، وصار طلبة الخاصة والعامة ، حتى قيل في مدينة شلب ان قلَّيلاً من أهلها من لا يقول الشعر ، ولو مررت بالفلاح في فدانه وسألته عن الشعر قرض في الحال ما اقترحته عليه (١) .

ومن الوجهة الأدبية ، فان الشعر في الاندلس لم يكن رجعاً لصدى الشعراء القدماء ولا طبعاً على الروامس (الكليشيات) المعهودة ، فان عبد الرحمن لما كان فريداً غريباً في بلاد غير بلاده ورأى النخلة في موطن غير موطنها أشبه شيء به ، هاجت شاعريته ونطق بذلك الشعر الذي عبر عن ذات نفسه ، ولم يكن صنعة ولا زوراً من القول ، فلفت نظر الشعراء بعده الى هذه الطبيعة البديعة ، أو قل ان هذه الطبيعة التي أنطقته ، لفتت نظرهم الى جمالها الفتان وسحرها العجيب فقالوا فيها ما شاءوا وتفننوا ما أرادوا .

ومن ثم كان أكثر شعرهم في الوصف والتصوير ولا سيما لمظاهر الطبيعة من الرياض والأزهار ، والجبال والأنهار ، والسحاب والأمطار ، حتى عد ابن خفاجة أكثر وصاف الطبيعة وأحسنهم قولاً فيها ، وألف أبو الوليد الحميري من أدبائهم كتاباً كاملاً من شعرهم في نعت الرياحين والزهور سماه « البديع في وصف الربيع » وهو ممن عاش في أول القرن الرابع ، فما بالك بما قيل بعده في هذا الصدد ؟

ولعل أول شاعر أندلسي يمثل بروحه الخفيفة وأدبه المرح ، هـذا المحيط الحضري الرائق الذي نشأ فيه الشعر الاندلسي ، هو يحيى الغزال المتوفى حوالي سنة ٢٥٠ ، وشعره مرآة صادقة لنفسه الطروب ، وقد كان ذهب سفيراً الى بلاد الروم فأعجب به الملك والملكة أيما اعجاب لفرط أدبه وجماله ، وجرت له مع الملكة محاورات جميلة ، وقال في ذلك أشعاراً لطيفة .

(١) ياقوت في معجم البلدان .

ثم يأتي بعده أديب الأندلس أحمد بن عبد ربه مؤلف كتاب «العقد» المعروف، وكان الجو الأدبي بالأندلس يزداد صفاء كل يوم فلذلك جاء شعره ينفح بعطر الحضارة ويكاد يشرب من رقته وعذوبته، وهو ان ألف لقومه أدب المشارقة، فقد أعطى لهؤلاء نماذج من أدب الأندلس في مقطوعاته البديعة التي ضمنها كتابه الفريد. ولئن قال الصاحب ابن عباد في العقد لما وقف عليه، «هذه بضاعتنا ردت الينا» فلقد قال المتنبي في صاحب العقد، «ايه يابن عبد ربه لقد تأتيك العراق حبوا» وذلك عندما سمع أبياته العديمة النظير:

يا لؤلؤاً يسبي العقول أنيقا ورشا بتقطيع القلوب رفيقا
ما ان رأيت ولا سمعت بمثله دراً يعود من الحياة عقيقا
واذا نظرت الى محاسن وجهه ألفيت وجهك في سناه غريقا
يا من تقطع خصره من رقة ما بال قلبك لا يكون رقيقا [1]

وقد كان هذان الأديبان هما طرفا الأدب في القرن الثالث [2] وذكرهما يغني عن ذكر غيرهما.

فلما دخل القرن الرابع دخلت الأندلس معه في عصرها الذهبي، حيث بلغ التمدن بها أوجه تحت حكم الخليفة عبد الرحمن الناصر وابنه الحكم والمنصور ابن أبي عامر فانتشرت العلوم والفنون، وارتقى المستوى الفكري غاية لم يصلها من قبل.

وفي هذا العصر كان التعليم قد عم سائر الطبقات، فقلما تجد انساناً لا يعرف القراءة والكتابة، والرجال والنساء في ذلك سواء [3] واذا عمّ التعليم بهذه الصفة تنبهت المشاعر وتهذبت الأذواق ونشطت الحركة الأدبية من عقالها وتقدمت

(١) المقري في نفح الطيب ج ٤ ص ٢١٨
(٢) الرافعي في تاريخ آداب العرب ج ٣ ص ٢٧٥
(٣) دوزي في كتابه الاسلام الاسباني.

أشواطاً بعيدة في ميدان الابتكار والتجديد ، لأن الأمة التي نضجت أفكارها لا تقبل من الانتاج إلا ما كان حرياً بالقبول . وكان من أثر هذا النضج الأدبي اختراع الموشحات التي صارت زينة الشعر العربي ، وهي هدية المغرب الى المشرق التي تقبلها بكامل السرور وسنتكلم عنها فيا بعد .

وقد أظل هذا العصر كبار شعراء الأندلس من مثل أبي القاسم بن هانئ وابن دراج القسطلي والرمادي ، وناهيك بهؤلاء الثلاثة .

فأما ابن هانئ فهو الذي يقال له متنبئ المغرب ، عاش عيشة الاستهتار حتى تألب عليه أهل بلدة اشبيلية وخرج منها ولحق بالعدوة فلقي الخليفة المعز الفاطمي ومدحه فحظي عنده وكان يريد استصحابه الى مصر ، فمات مختضراً في عنفوان الشباب نتيجة اسرافه في السكر والمجون .

ولما بلغت وفاته المعز أسف عليه وقال : هذا الرجل كنا نرجو أن نفاخر به شعراء المشرق فلم يقدر لنا ذلك . وكان يذهب في شعره مذاهب شتى من التفلسف والاستخفاف بالدين ونقد المجتمع ، وله أسلوب متين وعبارة جزلة ، واشتهر بحسن التشبيه وإجادة الوصف . ومن جيد شعره قوله :

أليلتنا إذ أرسلت وارداً وحفا ... وبتنا نرى الجوزاء في أذنها شنفا
وبات لنا ساق يقوم على الدجا ... بشمعة صبح لا تقط ولا تطفا
أغن غضيض خفف اللين قده ... وثقلت الصهباء أجفانه الوطفا
ولم يبق ارعاش المدام له يداً ... ولم يبق اعنات التثني له عطفا

الى آخرها وهي قصيدة شهيرة .

وأما ابن دراج فقال فيه القلقشندي : انه شاعر الأندلس . وقال الثعالبي : هو بالصقع الأندلسي كالمتنبي بصقع الشام ، وكان شاعر الدولة العامرية غير مدافع ، وتأخر به الزمان الى أوائل القرن الخامس ، وأدرك ملوك الطوائف . وله القصيدة الرائية الرائعة التي عارض بها أبا نواس فأربى عليه ، وفيها يقول :

أَلَمْ تعلمي أن الثواء هو التوى وأن بيوت العاجزين قبور
وأن خطيرات المهالك ضمن لراكبها أن الجزاء خطير

وأما الرمادي فهو يوسف بن هرون الكندي . كان معاصراً للمتنبي ، وكان كثير من شيوخ الأدب في وقته يقولون : فتح الشعر بكندة ، وختم بكندة ، يعنون امرأ القيس في الافتتاح لأنه من كندة على ما هو معروف ، والمتنبي والرمادي في الاختتام لانتسابهما معاً في كندة [1] . وكان شاعر الحكم المستنصر واختص بالحاجب المصحفي فأصابه شرر النكبة التي أنزلها المنصور ابن أبي عامر بالحاجب المذكور ، وله من قصيدة هذه الأبيات البليغة .

في أي جارحة أصون معذبي سلمت من التعذيب والتنكيل
ان قلت في عيني فثم مدامعي أو قلت في قلبي فثم غليلي
لكن جعلت له المسامع موضعاً وحجبتها عن عذل كل عذول

وإذا تخطينا عتبة القرن الرابع الى الخامس ، عصر ملوك الطوائف ، وجدنا أن هيبة الخلافة الأموية وعزة سلطانها وان زالا معها فان مجدها الأدبي بقي متمثلاً في عدة عواصم بعد أن كان محصوراً في قرطبة ... فهذه اشبيلية وفيها بنو عباد أصبحت تنافس قرطبة وتجاذبها رداء الفخار في هذا المضمار ، وهذه طليطلة – وفيها بنو ذي النون – ومرسقطة – وفيها بنو هود – وبطليوس – وفيها بنو الأفطس – وغرناطة – وفيها بنو زيري – والمرية – وفيها بنو صادح – ومالقة – وفيها بنو حمود – في كل منها بلاط حافل بأهل العلم والأدب وملوك يتسابقون الى الحصول على المشاهير من الكتاب والشعراء (فما كان أعظم مباهاتهم إلا قول : العالم الفلاني عند الملك الفلاني ، والشاعر الفلاني مختص بالملك الفلاني) [2] .

(١) ابن خلكان
(٢) الشقندي في رسالة المفاضلة بين الأندلس والمغرب .

وإذا كانت قرطبة قد احتجبت في عهد الخلافة الأموية سائر أهل الكفاءات الأدبية ، فقد أدبلت منها هذه العواصم الأخرى ، وكان ذلك في صالح العلم والأدب حيث ان ازدحام البلاط القرطبي بأهل الفضل والنبل كان لا يدع مجالاً للناشئين والوافدين من غير أهل الشهرة . وحسبك بما وقع لصاعد في أيام المنصور بن أبي عامر وما قاساه من مكائد المنافسين له . وأما الآن فان الأديب أصبح بالخيار على زمنه ، وحكمه نافذ على أميره ، لأنه اذا آنس اهمالاً أو تضييعاً سرعان ما يتحول الى حيث العز والكرامة في بلاط آخر . وعلى كل حال فان هذا التنافس قد أبرز من الملكات ما كان خفياً ، ومن الشخصيات ما لولاه لكان نسياً منسيا ، وبذلك كانت الحياة الأدبية في هذا العصر أزهى وأزهر منها في كل عصر آخر من عصور العرب في الأندلس ، فان عدد الشعراء الذين نبغوا في هذا العصر لا يكاد يأتي عليه الاحصاء .

وكانت الظاهرة الأدبية الغالبة على أدبائه ومثقفيه بل وفقهائه وعلمائه هي الشعر .. فلا تجد عالماً ولا فقيهاً فضلاً عن أديب لا يتعاطى الشعر ولا ينظم منه شيئاً ولو قليلاً . وقد طغى ذلك على ما عند بعض العلماء فكانت صفته الشعرية أبرز جوانب حياته أو على الأقل تجد جانب الشعر من حياته يتكافأ مع جانب العلم ، كما نرى في أبي بكر بن باجة الذي عرف للعالم بكونه أديباً موهوباً وشاعراً بليغاً كما عرف بكونه فيلسوفاً وطبيباً وموسيقياً ونباتياً بارعاً في الجميع . وكم له من نظير بين العلماء وبين الفقهاء . وقد ترجم الفتح في «القلائد» و «المطمح» لكثير من العلماء وما اعتبر فيهم إلا الناحية الأدبية والشعرية كأنها هي المقصودة بالذات وما زاد عليها فانما هو فضل ونافلة من القول والعمل .

وإذا ذهبنا نعرض أسماء الشعراء البارزين في هذا العصر نجد في طليعتهم أبا الوليد بن زيدون الذي يطلق عليه بحتري المغرب [1] لرقة ديباجته وتفننه

---

(١) ابن بسام الذخيرة ج ل ص ٣٢٦

في ضروب الشعر . وحقيقة فانه اذا كان ابن هانيء كالمتنبي يعتمد في إثارة الشعور على إظهار القوة باصطناع الألفاظ الجزلة وتجسيم الأحداث الخطيرة مع تحكيم العقل فيما يعرض من وقائع الحياة ، فان ابن زيدون كالبحتري انما يعتمد على الناحية الوجدانية فلا ضوضاء ولا جلبة وانما هي معان جميلة وصور سحرية لهواجس النفس وأحاسيس الضمير في ألفاظ رقراقة كالثمرة الناضجة تتدفق مائية وحلاوة . فقارئه اذا كان متفتق الذهن مرهف الحس يشعر كأنه ينطق بلسانه ويعبر عن ذات نفسه ، لأنه يمتزج به امتزاجاً ويهيم معه في أودية الخيال الفسيحة فلا ينتبه لنفسه إلا إذا انتبه الشاعر ، فرجع من رحلته وأفاق من غيبوبته .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ويكفي أن يستعرض الباحث قصيدته الفريدة التي يقولها في التشوق الى حبيبته ولادة بنت المستكفي ليرى حسن الافتنان في الوصف وجمال التصوير للعواطف ورقة الشعور في الحب ، وهي القصيدة التي لم يقل ـ مع طولها ـ في التشبيب أرق منها (١) فبعد أن يفتتحها بوصف حاله في البعد وشكوى الزمان في التفريق بينه وبين حبيبته فيقول :

أضحى التنائي بديلاً من تدانينا ... وناب عن طيب لقيانا تجافينا
بنتم وبنّا فما ابتلت جوانحنا ... شوقاً اليكم ولا جفت مآقينا
يكاد حين تناجيكم ضمائرنا ... يقضي علينا الأسى لولا تأسينا
حالت لفقدكم أيامنا فغدت ... سوداً ، وكانت بكم بيضاً ليالينا
إذ جانب العيش طلق من تألفنا ... ومورد اللهو صاف من تصافينا
وإذ هصرنا غصون الأنس دانية ... قطوفها ، فجنينا منه ما شينا
ليسق عهدكم ، عهد السرور فما ... كنتم لأرواحنا إلا رياحينا

(١) الشقندي

يقول في وصفها ونشأتها الارستوقراطية وتوصله اليها بكفاءة المودة :

وبيت ملك كأن الله أنشأه ... مسكاً وقد أنشأ الله الورى طينا
أو صاغه ورقاً محضاً وتوجه ... من ناصع التبر ابداعاً وتحسينا
إذا تأود آدته رفاهية ... تدمي العقول وأدمته البرى لينا
كأنما نبتت في صحن وجنته ... زهر الكواكب تعويذاً وتزيينا
ما ضر ان لم نكن أكفاءه شرفاً ... وفي المودة كاف من تكافينا

ويطول بنا الحال اذا تتبعنا ما فيها من عيون الأبيات وفرائد المعاني . وقد ولد ابن زيدون في قرطبة في أعقاب الدولة الأموية ولكنه لم ينبغ ولم يشتهر إلا بعد انقراضها . وخدم ابن جهور في قرطبة والمعتضد بن عباد في اشبيلية ثم ولده المعتمد وزين له غزو قرطبة فملكها . وكان يلقب بذي الوزارتين ، وبلغ في علو القدر ورفعة الشان ما لم يبلغه أديب غيره . وتعشق ولادة بنت المستكفي وكانت أديبة شاعرة إلا ان الوزير ابن عبدون كان ينافسه في حبها واستأثر بها دونه وكاد له بسبب ذلك مكائد . وتوفي عام ٤٦٣ .

وكان ابن عبدون عند بني الأفطس في بطليوس كابن زيدون عند بني عباد باشبيلية ، وهو نظيره في الأدب والشعر . وسيّر في رثاء مواليه لما دالت دولتهم على يد المرابطين قصيدته الخالدة التي يقول فيها :

الدهر يفجع بعد العين بالأثر ... فما البكاء على الأشباح والصور
أنهاك أنهاك لا آلوك منصحة ... عن نومة بين ناب الليث والظفر
فالدهر حرب وان أبدى مسالمة ... والبيض والسود مثل البيض والسمر
ولا هوادة بين الرأس تأخذه ... يد الضراب وبين الصارم الذكر
فلا يغرنك من دنياك نومتها ... فما صناعة عينيها سوى السهر
ما لليالي - أقال الله عثرتنا ... من الليالي - وخانتها يد الغير

في كل حين لها في كل جارحة ... منا جراح وان زاغت عن النظر
تسري بلا نبي ، لكن كي تغرّ به ... كالأيم ثار الى الجاني من الزهر

... وقد ذكر فيها مصارع الملوك وعظماء الرجال الى زمنه ، ثم بكى بني الأفطس بما لم يبك به شاعر دولة . ومن أبياتها الفذة هذا البيت الذي عبّر فيه عن عَلَوِيَّة في براءة عُلْوِيَّة :

وليتها إذ فدت عمراً بخارجة ... فدت عليًّا بما شاءت من البشر

ويقول بعده متشككاً في اغتيال الحسن بن علي بما هو أبلغ من اليقين :

وفي ابن هند وفي ابن المصطفى حسن ... أتت بمعضلة الألباب والفكر
فبعضنا قائل ما اغتاله أحد ... وبعضنا ساكت لم يؤت من حصر

ومنها في ذكر المتوكل وولديه العباس والفضل من بني الأفطس :

ويح السماح وويح البأس لو سلما ... وحسرة الدين والدنيا على عمر
سقت ثرى الفضل والعباس هامية ... تعزى سماحاً اليهم لا الى المطر

الى أن يقول :

على الفضائل - إلا الصبر - بعدهم ... سلام مرتقب للأجر منتظر

وبالجملة فانه مهما قيل في وصف هذه القصيدة وتقريظها فان القائلين لم يوفوها حقها ولم يكونوا مبالغين فيما قالوه عنها . وأحسن شيء فيها هو ما سلكه ابن عبدون من البكاء والاستبكاء على ضياع ملك سادته ، وإبادة الدهر لهم من غير أن يعرض بخصومهم المرابطين ولا أن يتناولهم بأدنى تجريح ، وتلك لعمري براعة تشهد له بحسن التصرف في القول والتفنن في الكلام . وكان المتوكل بالمكان الذي وصفه ابن عبدون وأعظم نبوغاً في العلوم والآداب مع رسوخ قدم في الجود والشجاعة . ولم يكن في ملوك الطوائف أفضل منه ولا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

من المعتمد بن عباد ، فانهما كانا فرسي رهان في جميع الفضائل وخاصة العلم والأدب . وكان المعتمد أشعر والمتوكل أكتب [1] .

واذا ذكرنا المعتمد فلا بد أن نعطي صورة مصغرة عنه وعن أدبه ، فقد كان هذا الملك الشاعر فذاً في الملوك ، فذاً في الشعراء . حتى لقد بلغ من شأنه أنه لا يمكن أن يذكر ملوك الطوائف بل ملوك الأندلس على العموم ولا يذكر المعتمد ، وانه لا يمكن أن يذكر شعراء الأندلس أو الشعر العربي على العموم ولا يذكر المعتمد . وكان مما انطوى عليه من الفضائل واحتواه من المكارم بحيث لو لم يثبت وجوده تاريخياً لقلنا انه شخصية خيالية أضفى عليها الشعر والقصص حللاً وبروداً من الإجلال والتقديس . ففي حالة الشدة والبأس نجده مكافحاً عبقرياً لإثبات ملكه وتوسيع نفوذه ، ومجاهداً متفانياً في صد موجة الاكتساح الاسباني الذي أراد أن يستصفي الأندلس في أواسط القرن الخامس . وفي حالة الرخاء والنعيم نجده ذلك المترف المرفه الذي أسرف في المتاع وأسرف في الاستهتار حتى كان له يوم الطين الذي لم يكن لملك غيره [2] . وفي الشعر والأدب نجده ذلك العلم المفرد بين الملوك والرؤساء ، قد انقطع لمطارحة شعراء وقته من وزراء وكتاب بالقصائد البليغة والأبيات النادرة حتى يحسبه الانسان أنه لا شغل له إلا قول الشعر والاجتهاد في إجادته وإحسانه . وكيف لا وقد نشأ في بيت الشعر والأدب والرياسة والملك ، فقد كان أبوه المعتضد وجده أبو القاسم شاعرين . وكان لأبيه دار مخصوصة بالشعراء وديوان تقيد فيه أسماؤهم ، وقد جعل لهم يوماً يفرغ لهم فيه فلا يدخل على الملك فيه غيرهم [3] .

واجتمع بحضرة المعتمد منهم ما لم يجتمع بحضرة غيره ، فكان عنده ابن زيدون وابن عمار وابن اللبانة ، وكل واحد من هؤلاء فيه كفاية .

---

(١) نفح الطيب ج ٢ ص ٥٨٣
(٢) انظر النفح ج ٢ ص ٤٨٤
(٣) النفح ج ٢ ص ٤٦٨

على أن شخصية المعتمد زادت بروزاً بهذه النكبة التي حاقت به وتركت الأكباد تتقطع حسرة على ما أصابه من أسى وفضيحة بعد سابق العز والسلطان . وزاد شعرُ المعتمد في هذه المدة إثارة للبلابل في الصدور وتحريكاً للشجو والنفوس ، فكان والحق يقال أشجى شعر قيل في نكبة حقت بعظيم . ومن شعره هذا :

لما تماسكت الدموع   وتنهنه القلب الصديع
قالوا الخضوع سياسة   فليبدُ منك لهم خضوع
وألذ من طعم الخضو   ع على فمي السم النقيع
إن تستلب عني الدنا   ملكي وتسلمني الجموع
فالقلب بين ضلوعه   لم تسلم القلب الضلوع
لم أستلب شرف الطبا   ع ، أيسلب الشرف الرفيع
قد رمت يوم نزالهم   ألا تحصنني الدروع
وبرزت ليس سوى القميـــــص عن الحشا شيء دفوع
وبذلت نفسي كي تسيـــــل اذا يسيل بها النجيع
أجلي تأخر لم يكن   بهواي ذلي والخشوع
ما سرت قط الى القتا   ل وكان من أملي الرجوع
شيم الأُلى أنا منهم   والأصل تتبعه الفروع

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ومنه في يوم عيد وهو بالسجن :

فيما مضى كنتَ بالأعياد مسرورا   فساءك العيد في أغمات مسرورا
ترى بناتك في الأطمار جائعة   يغزلن للناس ما يملكن قطميرا
يطأن في الطين ، والأقدام حافية   كأنها لم تطأ مسكاً وكافورا
أفطرتَ في العيد لا عادت إساءته   فكان فطرك في الأعياد تفطيرا

قد كان دهرك إن تأمره ممتثلاً فردك الدهر منهياً ومأمورا

من بات بعدك في ملك يسر به فانما بات بالأحلام مغرورا

وإذا ذكر المعتمد ذكر معه بالطبع ابن عمار وزيره ورفيقه ونظيره في الشعر . وهو ممن كان يذهب مذهب المتنبي ويأخذ أخذه في طلب المعالي والتهمم بالسلطان . وشعره مرآة لنفسه القوية وطبعه الجموح . على أنه كسائر شعراء الأندلس رقيق الغزل لطيف المحاولات لفنون الشعر المختلفة ، وكان قد لحق بخدمة المعتضد بن عباد واختص بولده المعتمد ولزمه ملازمة شديدة حتى صار لا يُرى إلا معه . ولما ولي المعتمد على مدينة شلب من قبل والده استوزره وسلم إليه جميع أموره فغلب عليه ابن عمار غلبة شديدة وساءت السمعة عنهما ففرق بينهما المعتضد وأبعد ابن عمار عن ايالته فلم يزل مبعداً حتى توفي المعتضد فاستدعاه المعتمد وقربه أشد تقريب . ثم وقع بينهما ما أوجب سجنه وقتله . وقد تشفع له ابن عمار واستعطفه ببليغ الأشعار فلم يؤثر ذلك فيه شيئاً ، والملك كما يقولون ، عقيم ، لا يرعى على ولي أو حميم . ومن شعره يستعطفه :

سجاياك إن عافيت أندى وأسمح وعذرك إن عاقبت أجلى وأوضح

وان كان بين الخطتين مزية فأنت إلى الأدنى من الله تجنح

وماذا عسى الأعداء أن يتزيدوا سوى أن ذنبي ثابت ومصحح

وإن رجائي أن عندك غير ما يخوض عدوي اليوم فيه ويمرح

أقلني لما بيني وبينك من رضى له نحو روح الله باب مفتح

ولا تلتفت قول الوشاة وزورهم فكل إناء بالذي فيه يرشح

وقالوا سيجزيه فلان بذنبه فقلت وقد يعفو فلان ويصفح

ألا إن بطشاً للمؤيد يرتمي ولكن حلماً للمؤيد يرجح

ومن شعره قصيدته التي صارت أشرد من مثل [1] في مدح المعتضد، وكانت سبب تقريبه له . وأولها :

أدر الزجاجة فالنسيم قد انبرى والنجم قد صرف العنان عن السرى

والصبح قد أهدى لنا كافوره لما استرد الليل منا العنبرا

ومن أبياتها بيت قال فيه المراكشي صاحب «المعجب» انه لم يسمع لمتقدم ولا لمتأخر مثله [2] وهو قوله :

السيف أفصح من زياد خطبة في الحرب إن كانت يمينك منبرا

وله حين فرق المعتضد بينه وبين المعتمد ، وهو مما تظهر عليه نزعة المتنبي :

عليّ ، والا ما بكاء الغمائم وفيّ ، وإلا ما نياح الحمائم

وعني أثار الرعد صرخة طالب لثأر وهز البرق صفحة صارم

وما لبست زهر النجوم حدادها لغيري ولا قامت له في مآتم

واذا كان عصر ملوك الطوائف قد انتهى مع هؤلاء الشعراء ، فانه قد امتد مع غيرهم كابن اللبانة وابن خفاجة وسواهما الى عصر المرابطين .. فأما ابن اللبانة فهو أبو بكر محمد بن عيسى اللخمي من أهل مدينة دانية . وقد اشتهر بوفائه للمعتمد ورثائه له بعد موته ، وهو شاعر من أهل الإجادة والإحسان . وفد على المعتمد في أواخر أيامه ومدحه . ثم بعد زوال ملكه لحق بجزيرة ميورقة وبها مبشر العامري فحظي عنده ، وله فيه أمداح . ومنها قصيدة غريبة المنزع جعلها من أولها إلى آخرها ، صدر البيت غزل وعجزه مدح ، وهي :

وضحت وقد فضحت ضياء النير فكأنما التحفت ببشر مبشر

وتبسمت عن جوهر فحسبته ما قلدته محامدي من جوهر

وتكلمت فكأن طيب حديثها متمت منه بطيب مسك أذفر

(١) الشقندي

(٢) المعجب ص ١١٧

هزت بنغمة لفظها نفسي كما هزت بذكراه أعالي المنبر
أذنبت واستغفرتها فجرت على عاداته في المذنب المستغفر

وأما ابن خفاجة فهو شاعر الطبيعة المبدع في وصف آثارها ومظاهرها ، من الرياض والرياحين والماء والغمام والشمس والظل والجبال والأشجار وما إلى ذلك . لم يلتفت إلى منصب ولا إلى جاه . ملأ جمال الدنيا عينيه فمال بكليته إليه ، يغني ويشرب ، ويشعر ويطرب ، إلى أن توفي بمسقط رأسه من جزيرة شقر . ومن شعره يصف نهراً :

لله نهر سال في بطحاء أشهى وروداً من لمى الحسناء
متعطف مثل السوار كأنه والزهر يكنفه مجر سماء
قد رق حتى ظن قرصاً مفرغاً من فضة في بردة خضراء
وغدت تحف به الغصون كأنها هدب يحف بمقلة زرقاء
والماء أسرع جريه متحدراً متلوياً كالحية الرقطاء
والريح تعبث بالغصون وقد جرى ذهب الأصيل على لجين الماء

وله في بلاد الأندلس :

يا أهل أندلس لله دركم ماء وظل وأنهار وأشجار
ما جنة الخلد إلا في دياركم ولو تخيرت هذي كنت أختار
لاتختشوا بعدها أن تدخلوا سقراً فليس تدخل بعد الجنة النار

وبعد ملوك الطوائف والمرابطين أظل الأندلس ملك الموحدين ، وقد بلغت الى أقصى غايات المجد العلمي والرقي الفكري . ففي عهدهم نبغ الفلاسفة العظام مثل أبناء زهر وابن طفيل وابن رشد ، وزادت النهضة الأدبية اتساعاً حتى أصبح الشعراء يعدون بالعشرات . ولقد جلس لهم المنصور الموحدي يوماً وجاءوا يهنئونه بانتصاره في موقعة حربية ، فكانوا من كثرتهم إنما يلقون البيت الأول من قصائدهم

ويضعون الورقة التي كتبت فيها القصيدة أمامه ، فما انتهى عددهم حتى كانت الأوراق تحول بينه وبين الناس من كثرتها [١] . ولا نستطيع أن نعد جميع الشعراء الذين نبغوا في هذا العصر ، وانما نقتصر على ذكر ثلاثة أفراد منهم نعتقد أنهم يمثلون عصرهم أحسن تمثيل . وهؤلاء هم الرصافي وابن مجبر وصفوان ابن ادريس .

فالرصافي هو محمد بن غالب البلنسي ، نسب الى رصافة بلنسية ، وكان شاعراً مجيداً نزيهاً عفيفاً ، وله في عبد المؤمن بن علي القصيدة المشهورة التي أولها :

لو جئت نار الهدى من جانب الطور   قبست ما شئت من علم ومن نور

وفيها يصف جبل طارق – وكان عبد المؤمن يسميه جبل الفتح – وصفاً بليغاً ويذكر مجمع البحرين وأسطول الموحدين الحربي ويمدح المهدي ابن تومرت وعبد المؤمن مشبهاً لهما بموسى ويوشع عليهما السلام . وهاك قوله في وصف الجبل :

لله ما جبل الفتحين من جبل   معظم القدر في الأجبال مذكور

من شامخ الأنف في سحنائه طلس   له من الغيم جيب غير مزرور

معبراً بذراه عن ذرى ملك   مستمطر الكف والأكناف ممطور

تمسي النجوم على إكليل مفرقه   في الجو حائمة مثل الدنانير

وربما مسحته من ذوائبها   بكل فضل على فوديه مجرور

وأدرد من ثناياه بما أخذت   منه مفاحم أعواد الدهارير

محنك حلب الأيام أشطرها   وساقها سوق حادي العير للعير

وابن مجبر هو أبو بكر يحيى بن عبد الجليل بن عبد الرحمن بن مجبر الفهري من أهل بليش ، قرية قرب مالقة ، كان من أشعر أهل زمانه وكان مختصاً بالمنصور الموحدي ملازماً له ، وكان المنصور يعظمه ويقدمه على غيره من شعراء وقته وله

(١) النفح ج ٢ ص ٤٣٠

فيه أمداح كثيرة ، وهو القائل في وصف المقصورة « الأوتوماتيكية » التي أنشأها المنصور بجامعه بمدينة مراكش بعد ما عجز الشعراء عن وصفها :

طوراً تكون بمن حوته محيطة ... فكأنها سور من الأسوار
وتكون حيناً عنهم مخبوءة ... فكأنها سر من الأسرار
وكأنها علمت مقادير الورى ... فتصرفت لهم على مقدار
فاذا أحست بالأمير يزورها ... في قومه قامت الى الزوار
يبدو فتبدو ثم تخفى بعده ... كتكون الهالات للأقمار

وأما صفوان بن ادريس فهو أبو بحر التجيبي من أهل مرسية ، كان شاعراً وكاتباً وله كتاب « زاد المسافر » الذي هو أحد المجموعات التي تؤلف خزانة الأدب الأندلسي ، ومن شعره الحزبية المشهورة بين أدباء المغرب وأولها :

جاد الربى من بانة الجرعاء ... نوآن من دمعي وغيم سماء
فالدمع يقضي عندها حق الهوى ... والغيم حق البانة الغناء
خلت الصدور من القلوب كما خلت ... تلك المقاصر من مها وظباء
ولقد أقول لصاحبيّ وإنما ... ذخر الصديق لآكد الأشياء
يا صاحبي ولا أقل - اذا أنا ... ناديت - من أن تصغيا لندائي
عوجا نجار الغيث في سقي الحمى ... حتى يرى كيف انسكاب الماء
ونسن في سقي المنازل سنة ... نمضي بها حكماً على الظرفاء

ويأتي بعد هذا العهد عهدُ غرناطة وملوك بني الأحمر ، وحسبنا أن نذكر غرناطة فنذكر الشعر والشعراء والحياة الأدبية الراقية التي قضتها هذه المدينة في عهد ملوكها الرافلين في حلل النعيم في قصور الحمراء الزاهية وبين ظلال جنات العريف الوارفة . ولا حاجة بنا الى ذكر شعراء هذا العهد ، فان واحداً منهم يكفي للتنويه بنهضة الشعر فيه وهو لسان الدين بن الخطيب الذي ملأ الدنيا شعراً وأدباً ، وعفى ذكره على السابقين واللاحقين من أدباء الأندلس ، فما من مجال

إلا وله فيه ذيل سحب ، وما من موضوع إلا وقد تناوله بذراع رحب ، وبقدر ماله في الشعر من الآيات البينات ، فان له في النثر الفني والكتابة العلمية والتاريخية الآثار الخالدات . وبالجملة فقد كان معجزة قطره ومفخرة عصره ، ولم يبالغ من قال فيه انه شاعر الدنيا وأديب الأندلس ، اذا كان يقصد دنيا العروبة في هذا العهد . ولا نستطيع أن نقدم نماذج من شعره تمثل نفسيته وطابعه الأدبي ، فان شعره كثير ومناحيه الفنية متعددة ، فلنقتصر على قطعة أو قطعتين منه «وعن البحر اجتزاء بالوشل» قال يتشوق :

سقى الله نجداً ما نضحت بذكرها   على كبدي إلا وجدت لها بردا
وآنس قلبي فهو للعهد حافظ   وقل على الأيام من يحفظ العهدا
صبور وان لم يبق لي إلا ذبالة   اذا استقبلت مسرى الصبا اشتعلت وقدا
وقد كنت جلداً قبل أن يذهب النوى   ذمائي وأن يستأصل العظم والجلدا

وقال مخاطباً السلطان أبا عنان المريني وكان وفد عليه من قبل سلطانه الغني بالله في جملة من أعيان مملكة غرناطة مستنجداً به ، فحين مثل بين يديه أنشده وهو قائم :

خليفة الله ساعد القدر   علاك ما لاح في الدجا قمر
ودافعت عنك كف قدرته   ما ليس يستطيع دفعه البشر
وجهك في النائبات بدر دجى   لنا وفي المحل كفك المطر
والناس طراً بأرض أندلس   لولاك ما أوطنوا ولا عمروا
ومن بها مذ وصلت حبلهم   ما جحدوا نعمة ولا كفروا
وجملة الأمر أنه وطن   في غير علياك ماله وطر
وقد أهمتهم نفوسهم   فوجهوني اليك وانتظروا

فاهتز السلطان أبو عنان لهذه الأبيات وأذن له في الجلوس وقال له ما ترجع اليهم إلا بجميع طلباتهم . قال القاضي أبو القاسم الشريف شارح مقصورة حازم

وهو من مشائخ لسان الدين وكان معه في هذه الوفادة : «ما سمعنا بسفير قضى سفارته قبل أن يسلم على السلطان إلا هذا» . ولا شك أن ذلك من براعة لسان الدين الرائعة وبلاغته الفائقة .

* * *

وهذا الاستعراض على سرعته لا يتم إذا لم نتعرض لنوابغ النساء الأندلسيات في الشعر ، وما كان لشاركتهن من بليغ الأثر في الحياة الشعرية بالأندلس . وقد بدأ نبوغهن مبكراً في أول عهد الدولة الأموية ؛ لما قلنا من أن الشعر الأندلسي نشأ حضرياً من أول يوم . ونبوغ النساء في العلوم والفنون هو وليد الحضارة والحياة العقلية المترفة .

وقد كانت لبنى كاتبة الخليفة الحكم المستنصر من الأديبات الشاعرات المتفوقات ، وكانت تعاصرها حسانة التميمية بنت أبي الحسين الشاعر ، والشاعرة الغسانية ، وحفصة بنت حمدون . واشتهرت بعد هؤلاء عائشة القرطبية التي لم يكن في زمنها من حرائر النساء من يعدلها علما وفهما وأدباً وشعراً وفصاحة ، تمدح الملوك وتخاطبهم بما يعرض لها من حاجة ، وكانت حسنة الخط تكتب المصاحف وماتت عذراء سنة ٤٠٠ (١) . ثم اشتهرت في القرن الخامس مريم بنت أبي يعقوب الأنصاري الشاعرة الأديبة التي كانت تعلم النساء الأدب ، وأم العلاء بنت يوسف الحجازية وولاة أبي المطرف بن غلبون العروضية ، وولادة بنت المستكفي الشهيرة ، ومهجة القرطبية ، ونزهون الغرناطية ، وحمدونة بنت زياد المؤدب ، والعبادية والدة المعتمد ، واعتماد حظيته وبثينة بنته وأم الكرام بنت المعتصم بن صمادح وغاية المنى جاريته . ثم اشتهرت في أوائل القرن السادس الأديبة الشلبية ، وأسماء العامرية وحفصة الركونية وغيرهن ممن استوعب المقري ذكرهن وأتى على كثير من أشعارهن ولطائفهن .

---

(١) النفح ج ٢ ص ٤٩٢

ونحن نكتفي بذكر اثنتين من هذا العدد الكثير وهما ولادة وحمدونة :

فأما ولادة فهي بنت الخليفة المستكفي بالله ؛ كانت واحدة زمانها في الأدب والشعر ، حسنة المحاضرة لطيفة المعاشرة ، مع الصيانة والعفاف . وكان ابن زيدون يتعشقها وله فيها القصائد الطنانة والمقطعات البديعة ، وكانت أولاً تطارحه شعراً بشعر وتبادله حباً بحب ، ثم قلبت له ظهر المجن وصارت تهجوه ، وكان لها مجلس يغشاه أدباء قرطبة وظرفاؤها فيمر فيه من النادر وإنشاد الشعر كثير .

ومن بديع شعرها ما كتبت به الى ابن زيدون :

ترقب إذا جن الظلام زيارتي ... فاني رأيت الليل أكتم للسر
وبي منك مالو كان بالشمس لم تلح ... وبالبدر لم يطلع وبالنجم لم يسر

وأما حمدونة بنت زياد المؤدب فهي التي يقال لها خنساء المغرب لقوة شعرها وسمو إبداعها . ولها المقطوعتان العجيبتان المشهورتان بالمشرق والمغرب واللتان ما زال أهل البلاغة يجعلونها مثالاً أعلى للنسج على منواله والحذو حذوه وهما : هذه :

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ولما أبى الواشون إلا فراقنا ... وما لهم عندي وعندك من ثار
وشنوا على أسماعنا كل غارة ... وقل حماتي عند ذاك وأنصاري
غزوتهم من مقلتيك وأدمعي ... ومن نفسي بالسيف والسيل والنار

وهذه :

وقانا لفحة الرمضاء واد ... سقاه مضاعف الغيث العميم
حللنا دوحه فحنا علينا ... حنو المرضعات على الفطيم
وأرشفنا على ظمأ زلالاً ... ألذ من المدامة للنديم
يصد الشمس أنى واجهتنا ... فيحجبها ويأذن للنسيم
يروع حصاه حالية العذارى ... فتلمس جانب العقد النظيم

* * *

ولعلنا وقد انتهينا من هذا الاستعراض ، قد ظهرنا منه بالرغم من قصره على تلك الظاهرة التي أسلفنا الكلام عليها ؛ وهي أن هذا الشعر الأندلسي حضري مترف لا جاهلية له ولا بداوة ، وأنه منذ نشأ كان كذلك ، لم يحمل من معاني الشعر الجاهلي وألفاظه ما حمله غيره من الشعر العربي في الأقطار الأخرى غير الأندلس ، ولم يمثل غير نفوس أصحابه ومجتمعهم ومحيطهم .. على أنه لما ضاق به مجال التعبير ، واحتاج الى التحرر من القيود اللفظية لم يخرج عن مواضعات القوم إلا بمقدار ما تسمح به طبيعة اللغة العربية المحافظة على إرث الأجداد ، فاخترع هذا التوشيح الذي هو فن أندلسي محض ، أدخل على الشعر العربي تحسيناً في الصناعة كما جعله ألين مراساً وأسلس قياداً ، مما كان عليه قبل ، إذ كانت القافية تتحكم في الشاعر فتركبه المراكب الصعبة للبلوغ إلى مقصده ، ويضطر بذلك الى استعمال الألفاظ المألوفة وغيرها ، دع عنك سآمة النفس ونبو الطبع عن سماع نغمة واحدة لا تتبدل فيها ولا تغيير منذ بدء القصيدة الى نهايتها ، وربما تكون طويلة جداً ، ولا كذلك هذا النظام البديع الذي يقوم عليه التوشيح من الأسماط والأغصان ؛ فانه أوقع في النفس وأخف على السمع . وبه ظهرت براعة أهل الأندلس فانهم جددوا وحافظوا في آن واحد ؛ جددوا في أسلوب الشعر ونظمه ، وحافظوا على أوزان العروض والقافية فلم يقعوا فيما وقع فيه بعض أدباء العصر من الدعوة الى نبذ القافية جانباً والتحلل من الأوزان والبحور الشعرية المعروفة ، فلما تناقض عملهم مع طريقة الشعر المعروفة دعوا ذلك بالشعر المنثور ؟ ...

وأشار ابن خلدون الى قريب مما ذكرناه ؛ من أن اختراع التوشيح كان نتيجة لكثرة الشعر وحب التفنن فيه فقال : « أما أهل الأندلس فلما كثر الشعر في قطرهم وتهذبت مناحيه وفنونه وبلغ التنميق فيه الغاية استحدث المتأخرون منهم فناً سموه بالموشح ينظمونه أسماطا وأغصانا أغصانا ، يكثرون منها

ومن أعاريضها المختلفة ، ويسمون المتعدد منها بيتاً واحداً ويلتزمون عدد قوافي تلك الأغصان وأوزانها متتالياً فيما بعد الى آخر القطعة »[١] .

وكان المخترع لهذا الفن هو مقدم بن معافى شاعر الأمير عبد الله بن محمد المرواني ، وأخذه عنه ابن عبد ربه صاحب كتاب « العقد » ، ولكن الذي أحكم صناعته ونهج طريقته هو عبادة القزاز شاعر المعتصم بن صمادح صاحب المرية .. قال أبو بكر بن زهر : « كل الوشاحين عيال على عبادة القزاز فيما اتفق له من قوله :

بدر تم شمس ضحى غصن نقى مسك شم
ما أتم ما أوضحا ما أورقا ما أنم
لا جرم من لمحا قد عشقا قد حرم

وكان بعد عبادة ، ابن رافع رأسه شاعر المأمون بن ذي النون صاحب طليطلة ، ثم الأعمى التطيلي ويحيى بن بقي وأبو بكر بن باجة الفيلسوف الموسيقار المشهور ، ثم محمد بن أبي الفضل بن شرف وأبو بكر بن زهر الحكيم المشهور وسهل بن مالك وغيرهم كثير . واشتهر على الخصوص بين أدباء المغرب موشح ابن سهل الاسرائيلي شاعر اشبيلية وأوله :

هل درى ظبي الحمى أن قد حمى قلب صب حله عن مكنس
فهو في حر وخفق مثلما لعبت ريح الصبا بالقبس

وقد نسج على منواله لسان الدين بن الخطيب فقال :

جادك الغيث إذا الغيث همى يا زمان الوصل بالأندلس
لم يكن وصلك إلا حلما في الكرى أو خلسة المختلس

وكان ابن الخطيب من المبرزين في صنعة التوشيح شأنه في كل فن من فنون الأدب .

(١) المقدمة ص ٦٨٩

ولا يمتاز الشعر الأندلسي من ناحية الصناعة اللفظية فحسب ، بل إن له مميزات من الناحية الموضوعية لا تكاد تخفى على أحد ممن تعمق في دراسة الأدب العربي على العموم وقارن بين الشعر الأندلسي وغيره من شعر الأقطار العربية الأخرى .. وقد تقدمت الإشارة الى هذه البراعة في الوصف التي تميز بها الأندلسيون خاصة في وصف مظاهر الطبيعة وآثارها البديعة من الرياض والأزهار والرياح والأمطار والمياه والأنهار وما الى ذلك حتى كان شاعرهم في هذا الباب وهو أبو اسحق بن خفاجة فذاً في شعراء العربية كلهم لم ينافسه أحد منهم في استحقاق لقب شاعر الطبيعة .. ومع ذلك فان موضوعاً آخر لم نر من نبه عليه ، ولم ينتبه اليه الشعراء العرب إلا في هذا العصر الحديث حين وجدت بواعثه وأسبابه ، فصار عندهم من الموضوعات الشعرية الرئيسية ، الا وهو الشعر الوطني . فالأندلسيون بما كانوا فيه من عراك دائم مع القوات الاسبانية التي تنتقص بلادهم من أطرافها يوماً فيوماً وتحاول أن ترمي بهم خارج حدود الجزيرة الايبيرية في كل وقت وحين ، ولم يزالوا كلما خرجوا من بلدة أو قرية وفقدوا السلطة على مدينة أو ناحية ، يبكون سالف مجدهم وعزهم ويحنون الى معاهد أنسهم ولهوهم ويتفجعون لما نزل بها من الذل والهوان ويستثيرون الهمم لإنقاذها واسترجاعها من يد الكفر والطغيان .. وهكذا تكوّن موضوع جديد فى الشعر العربي وهو الشعر الوطني الذي يضرب على وتر الوطنية ويستغل الحماسة الدينية للجهاد والقتال من أجل تحرير البلاد .

وهذه الوطنية لم تكن عند الأندلسيين شعوراً عابراً ولا فكرة عارضة ، وانما هي عقيدة ثابتة وإحساس متأصل في نفوسهم . يدلك على ذلك كثير من أقوالهم حتى في غير الشعر الذي نحن بصدده .. فمثلاً نجد الفتح بن خاقان عند ترجمته لابن حزم العالم المشهور يفتخر بأنه لم يرحل الى المشرق وأن نبوغه فاق من رحل اليه [1] . ونجد إسمعيل بن حبيب في مقدمة كتابه «البديع في وصف الربيع»

(١) مطمح الأنفس ص ٦٣

يباهي بأنه لم يورد فيه شعراً إلا لأهل بلده الأندلس ، ويزري بأشعار المشارقة التي ابتذلت فلم تعد النفوس تميل الى سماعها ، ثم يشير الى سبق الأندلسيين للمشارقة في أحسن المعاني مجتلى ، وأطيبها مجتنى ، وهو الباب الذي تضمنه هذا الكتاب (يعني وصف الربيع) فلهم فيه من الاختراع الفائق والابتداع الرائق وحسن التمثيل والتشبيه ، ما لا يقوم أولئك مقامهم فيه» . ونرجع الى ما كنا بسبيله من الشعر الوطني الأندلسي فنورد منه بعض الأمثلة . يقول أبو المطرف بن عميرة في قطعة بليغة :

زدنا على النائين عن أوطانهم ... وان اشتركنا في الصبابة والجوى
انا وجدناهم قد استسقوا لها ... من بعد ما شطت بهم عنها النوى
ويصدنا عن ذاك في أوطاننا ... مع حبها الشرك الذي فيها ثوى
حسناء طاعتها استقامت بعدنا ... لعدونا ، أفيستقيم لها الهوى ؟

ويقول أبو عبد الله الفازازي في قطعة أخرى :

الروم تضرب في البلاد وتغنم ... والجور يأخذ ما بقي والمغرم
والمال يورد كله قشتالة ... والجند يسقط والرعية تسلم
وذوو التعين ليس فيهم واحد ... إلا معين في الفساد مسلم
أسفي على تلك البلاد وأهلها ... الله يلطف بالجميع ويرحم

فهاتان القطعتان من أشجى الشعر الوطني وأبلغه ، ولا تقصران عما ينظم منه الآن في البلاد العربية التي يتلاعب بها الاستعمار[1] .

* * *

ودون هذا وذاك فان هناك فنوناً أخرى من النظم برع فيها الأندلسيون وتفوقوا على غيرهم وان كانت لا تعد من الشعر في حقيقة الأمر ، وهذه مثل الأنظام العلمية التي تضم أشتات العلوم وقواعدها وتتضمن أبوابها وفوائدها ،

(١) انظر فصلاً خاصاً بهذا الموضوع في كتابنا «التعاشيب» .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

ومن أول الموضوعات التي ضبطها بالنظم وقيدها بالوزن التاريخ ، فلابن عبد ربه أرجوزة ذكر فيها غزوات عبد الرحمن الناصر [١] ، بل قبل ان يحيى الغزال الذي عاش قبل ذلك بكثير تاريخاً للأندلس منظوماً . وكذا لابن الخطيب تاريخ منظوم وهو المعروف « برقم الحلل في تاريخ الدول » . وفي غير التاريخ نرى منظومة لابن عبد ربه أيضاً في علم العروض وهي في غاية السلاسة [٢] . كما نرى لابن مالك الجياني « ألفية » النحو المشهورة ولابن عاصم الغرناطي « تحفة الحكام في علم القضاء والأحكام » ، وغير هذه المنظومات كثير .

على ان البراعة الحقيقية التي امتاز بها الأندلسيون في هذا الصدد هي الأنظام العلمية الملغوزة . وتختلف طرق الألغاز فيها عندهم ، فبعضها لا تكاد تشعر بأنه نظم علمي ، وانما تقول انه قصيدة شعرية فريدة في حين انه يتضمن اشارات ورموزاً الى قواعد علمية معروفة . وبعضها يكون فيه الرمز واضحاً لا خفاء معه وانما فائدته أنه يتضمن المعاني الكثيرة في الالفاظ القليلة بحيث تشتمل القصيدة ذات الأبيات المعدودة على قواعد علم كامل بجميع مسائله وأغراضه . فالأول كما في قصيدة (غرامي صحيح) لابن فرج الاشبيلي التي ضمنها أصول علم الحديث ولم يصرح بشيء من غرضه فجاءت كأنها قصيدة غزلية بحيث لو عرضت على عربي خالص لما فهم منها إلا ما يفهم من قصائد الشوق والوجد وهذا أولها :

غرامي صحيح والرجا فيك معضل ودمعي ووجدي مرسل ومسلسل

والثاني كما في قصيدة الشاطبي في علم القراءات ، وهي مشهورة بين علماء هذا الفن ، وتعد من أمهات الكتب فيه . وقد بناها على إشارات الحروف الأبجدية ، وبذلك توصل الى اختصار هذا العلم الواسع وتضمينه في نظم مهما كثر فانه قليل بالنسبة الى سعة موضوعه [٣] .

(١) انظرها في ج ٢ من العقد .
(٢) انظرها في الجزء ٣ من العقد .
(٣) توسعنا في الكلام عن هذا الموضوع في فصل عنوانه كتاب « راحة الفكر » .

... وقد ظهر بهذا العرض السريع وهذه الإلمامة المجلى أن الشعر الأندلسي لم يتأثر بشيء خارجي عنه ، حتى الأدب المشرقي كان تأثره به في دائرة عامة ، وأما السمات الخاصة به فانما كانت من وحي البيئة والمحيط . وهذه العناصر الجديدة التي وجدت فيه مع الأيام سواء في اللفظ أو المعنى إنما كانت ذاتية وتلقائية ، فلا صحة لما يقال من أن الأدب الأندلسي تأثر بالأدب الاسباني وأخذ عنه ، كما أثر هو عن حق في هذا الأدب وكما أخذ هذا الأدب من غير شك عنه . فليت شعري أين هو هذا الأثر ؟ وما هذا الذي أخذه الأدباء الأندلسيون عن الأدباء الاسبان ؟ وأي فن جديد هذا الذي أضافه الأدب الأندلسي الى فنون الأدب العربي باستثناء الموضوع الذي لمحنا اليه وهو الشعر الوطني الذي كان وليد الظروف السياسية الداخلية للبلاد ؟ وما باله لم يطلّ على دنيا القصص والتمثيل ، إن كان حقاً تأثر بالأدب الاسباني ، وليس في هذا الأخير ما يؤخذ أفضل من هذين الفنين ، لو كانا موجودين فيه إذ ذاك ؟

أما القول بأن مرثية ابن عبدون لملوك بني الافطس هي من قبيل الشعر القصصي ، وانها تدل على اقتباس هذا الفن من الاسبان ، فانما هو قول من يلقي الكلام على عواهنه ولا يعنى بتحقيق ما يقول . ولهذه المناسبة نشير قبل أن نختم هذه الكلمة ، الى أن هناك قصيدة أخرى شبيهة بمرثية ابن عبدون ، ولكن قل من ينتبه لها مع أنها في غرض الرثاء مثلها وتضمنت من عبر الدهر ما يجعلها مأساة تاريخية كقصيدة ابن عبدون . وهذه هي قصيدة الأعمى التطيلي في رثاء أحد فتيان اشبيلية الأجواد وكان يتعهده ويحسن اليه ، فأصبح قتيلاً ذات يوم . وأولها :

خذا حدثاني عن فل وفلان لعلي أرى باق على الحدثان (١)

عبد الله كنون

(١) انظر قلائد العقيان ص ٢٨٦ – ٢٨٩

الاصطلاحات الفلسفية

-٣-

الاشارة

في اللاتينية Signum

في الفرنسية Signe

في الانكليزية Sign

أشار اليه أومأ ، يكون ذلك باليد والرأس والعين والحاجب والمنكب الخ ..
وأشار به عرّفه ، وأشار عليه بالرأي إذا ما أمره ونصحه ودله على وجه الصواب ،
ومبلغ ألاشارة كما يقول الجاحظ أبعد من مبلغ الصوت ، وحسن الاشارة باليد
والرأس من تمام حسن البيان باللسان (البيان والتبيين ، الجزء الأول ، ص : ٧٠
مصر ١٩٢٦) :

أشارت بطرف العين خيفة أهلها إشارة مذعور ولم تتكلم
فأيقنت أن الطرف قد قال مرحباً وأهلاً وسهلاً بالحبيب المتيم

والاشارة قسمان : اشارة حسية واشارة ذهنية ، أما الاشارة الحسية فتطلق
على معنيين أحدهما أن يقبل الاشارة بأنه هنا أو هناك ، وثانيهما أن يكون
منتهى الاشارة الحسية أعني الامتداد الموهوم الآخذ من المشير منتهياً الى المشار
اليه . وأما الاشارة الذهنية فهي كاشارة ضمير الغائب وأمثالها مما يحتاج في
إثباته الى استدلال العقل ، أو كاشارة المتكلم الى معان كثيرة لو عبر عنها
لاحتاج الى ألفاظ كثيرة . مثال ذلك قوله تعالى : وغيض الماء ، فانه أشار
بهاتين اللفظتين الى انقطاع مادة المطر وبلع الأرض وذهاب ما كان حاصلاً
من الماء على وجهها .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

والاستدلال بإشارة النص إثبات الحكم بالنظم غير المسوق له، كما أن الاستدلال بدلالة النص إثبات الحكم بالنظم المسوق له.

وابن سينا يسمي الفصل المشتمل على حكم يحتاج في إثباته الى دليل وبرهان، بالاشارة؛ كما يسمي الفصل المشتمل على حكم يكفي في إثباته تجريد الموضوع والمحمول من اللواحق أو النظر فيما سبقه من البراهين، بالتنبيه. (راجع شرح الاشارات للطوسي، الجزء الأول ص: ٤، من الطبعة الأولى بالمطبعة الخيرية ١٣٢٥ هـ). فالاشارة في اصطلاحه هي الحكم الذي يحتاج إثباته الى دليل، ويقابله التنبيه، وهو الحكم الذي لا يحتاج إثباته الى دليل.

وللاشارة في اصطلاحنا ثلاثة معان:

١) الاشارة شيء مدرك بالحواس يجوّز التصديق بشيء آخر غير مدرك أو غير ممكن الادراك. كازدياد النبض، فهو اشارة الى وجود الحمّى، وكإضاءة المصباح الأحمر على الخط الحديدي، فهي اشارة الى مرور القطار، وكزمر سيارة الاطفائية فهو اشارة الى اندلاع الحريق، وكذلك الدخان، فهو اشارة الى النار، كما أن البكاء اشارة الى الحزن.

٢) الاشارة فعل خارجي مدرك الغرض منه التعبير عن إرادة. والمثال من ذلك أنك تشير بيدك الى الرجل فتستوقفه، أو تطلب منه المجيء اليك، أو تضع السبابة على فمك طالباً منه السكوت. فأنت تعبر بهذه الاشارات كلها عن ارادتك، فتأمر وتنهى، أو تبلغ باشاراتك ما تريد من الأفكار والعواطف.

٣) الاشارة شيء متحقق في الخارج من شكل أو صوت ينوب عن شيء غائب أو غير ممكن الادراك، وهو يساعد على اخطار هذا الشيء الغائب الى الذهن، كالاشارات الدالة على المعادن في علم الكيمياء، أو ينضم الى غيره من الاشارات الحانية له لاجراء عمليات متعلقة بالأشياء المشار اليها، كاشارات اللغة واشارات الحساب والجبر وغيرها.

لا جرم ان هذه المعاني الثلاثة تشترك في معنى عام واحد، وهو أن الاشارة شيء يخبر بشيء آخر أو يعرف به ويحل محله . وهذا يفرض وجود سبب يمنع الوصول الى الشيء المشار اليه، أو يجعل الوصول اليه صعباً . لذلك كانت الاشارة في غالب الأمر إدراكاً حسياً حاضراً ، أو شيئاً مادياً ، أو شيئاً بسيطاً ، وكانت الأشياء المشار اليها حقائق بعيدة ، أو حقائق غير مادية ، أو عمليات ذهنية ، أو مجموعات معقدة . ولكن هذا المعنى العام لا يخلو من الالتباس ، لأن الاشارة لا تحل دائماً محل الشيء المشار اليه . ان الدخان مثلاً لا يحل محل النار وهبوط (البارومتر) لا يحل محل العاصفة .

وتنقسم الاشارات بنوع آخر من القسمة الى اشارات طبيعية (Signes naturels) واشارات اصطلاحية (Signes artificiels) .

فالاشارات الطبيعية لا تدل على الشيء المشار اليه إلا لعلاقة طبيعية بينها وبينه ، كالدخان الذي يشير الى وجود النار ، أو كالسحب التي تشير الى قرب هطول المطر . ويطلق اصطلاح اشارات التعبير (Signes expressifs) على الاشارات التي تعبر عن حالات النفس وحركاتها ، كاصفرار الوجه المعبر عن الخوف ، واحمرار الوجه الدال على الخجل ، (راجع ظواهر الهيجان في مادة هيجان) . وهذه الاشارات الطبيعية إما بصرية وإما سمعية ، فالحركات الدالة على الهيجان اشارات بصرية ، والصراخ الدال على الألم اشارة سمعية .

والاشارات الاصطلاحية هي الاشارات التي تكون علاقتها بالشيء المشار اليه مبنية على حكم إرادي جماعي . وهي ثلاثة أنواع بصرية وسمعية ولمسية . فمن الاشارات البصرية اشارات الجبر ، واشارات الموسيقا ، والاشارات البحرية ، واشارات الصم والبكم ، واشارات السير ، وحروف الكتابة ، ومن السمعية ألفاظ اللغة ، ومن اللمسية حروف الكتابة المستعملة في تعليم العميان على طريقة (برايل — Braille) .

وبين الاشارات الطبيعية والاشارات الاصطلاحية درجات متوسطة . فأبسط اشارات اللغة الصراخ ، وأصوات التعجب والنداء ، وتقليد أصوات الطبيعة ، وأعلاها الألفاظ الواضحة التعبير ، والاصطلاحات العلمية المستعملة في الفلك والرياضيات والفيزياء والكيمياء وغيرها .

والناس لا يتفاهمون بالاشارة الا اذا عرفوا تأويلها وأدركوا علاقتها بالشيء المشار اليه . ان الاشارات لا تدل على علاقات مادية فحسب ، بل تدل على علاقات مادية ممزوجة بتصوراتنا وعواطفنا ، وعلاقة الاشارة بالمشار اليه إنما هي علاقة متصوّرة لا علاقة وجودية .

ان البحث في علاقة الاشارات بالعقل موضوع فلسفي بالغ الخطورة ، لأن اللغة كما قلنا جملة من الاشارات (راجع لفظ اللغة) .

ومن الاشارات ما يستعمل للدلالة على بعض الاعتقادات والمذاهب كاشارة الصليب عند النصارى ، أو اشارات السر عند الماسونيين ، ومنها اشارات بروج السماء ، واشارات الجيوش ، واشارات البواخر الحربية .

واذا دلت الاشارة على جملة من التصورات المتشابهة واقتصر عملها على اخطار هذه التصورات في الذهن اصبحت رمزاً (راجع هذا اللفظ) . ويشترط في ذلك (١) أن تكون الاشارة دالة على معنى خاص (٢) وان تكون علاقتها بالتصورات المتشابهة واحدة .

الاشتراكية

في الفرنسية Socialisme

في الانكليزية Socialism

الاشتراكية مأخوذة من الاشتراك ، تقول اشترك القوم في كذا أي تشاركوا ، وهي اصطلاح جديد يطلق على المذهب القائل ان مجرد الاعتماد على حرية الأفراد في الحياة الاقتصادية لا يكفي لايجاد نظام اجتماعي صالح ، وانه من الممكن ،

لا بل من المرغوب فيه أن يستبدل الناس بالنظام الحاضر نظاماً موافقاً يحقق العدل الاجتماعي ويساعد على نمو الشخص الانساني نمواً تاماً . (لفظ سوسياليزم مشتق من سوسيال « Social » ومعناه الاجتماعي ، استعمله لأول مرة وفي وقت واحد تقريباً السن سيمونيون في فرنسة ، وروبراون في انكلترا . ويظهر ان بيار لورو « Pierre Leroux » أول من أوضح معناه فدل به على مذهب اجتماعي مضاد للمذهب الفردي ، وهو المذهب الذي يعلق حياة الفرد بحياة المجتمع راجع : Revuue Encyclopédique, Novembre 1833, tome LX, (p p. 114 - 116) .

والمذاهب الاشتراكية كثيرة منها[1] :

١) اشتراكية الذين أنكروا المزاحمة الحرة ، وأنكروا في الوقت نفسه تدخل الدولة في الحياة الاقتصادية ، ولكنهم زعموا مع ذلك ان المسألة الاجتماعية يمكن أن تحل بتأسيس جمعيات حرة يدخلها المتعاقدون ويخرجون منها بمحض إرادتهم . من هذه المذاهب اشتراكية (روبر أوين – Robert Owen) واشتراكية التكافل (Mutuellisme) ، والاشتراكية التعاونية (Coopératisme) ، والاشتراكيـة الجماعيـة (Collectivisme) ، والشيوعيـة الفوضوية (Communisme anarchique) .

٢) اشتراكية الذين اعتمدوا على تدخل السلطات العامة ، ولا سيما الدولة ، في تحقيق النظام الاقتصادي الجديد وتثبيته كاشتراكية البلديات (Socialisme Municipal) التي تعد اشتراكية متوسطة بين اشتراكية الجمعيات (Socialisme d'association) واشتراكية الدولة (Socialisme d'Etat) لأنها تقرر إمكان الاشتراك على أساس التعاقد بين بلديات كثيرة .

(١) راجع : Vocabulaire technique et critique de la philosophie, art: Socialisme .

وكاشتراكية الدولة التي ذهب اليها (ماركس) و(انجلس) في بيانهما الشيوعي (Marx et Engels, le Manifeste Communiste 1848).

تنقسم اشتراكية الدولة الى نوعين الأول ديموقراطي والثاني ارستقراطي. أما النوع الديموقراطي فيهدف الى غاية سياسية، وهي إقامة الحكم على أساس ديموقراطي يجعل الدولة خادمة لجميع المصالح الشعبية، لأن الدولة في مذهبهم هي الفيض المباشر لارادة الشعب، ولأن خدمة الشعب من لوازم ماهيتها. المثال من ذلك اشتراكية (لوي بلان - Louis Blanc ١٩٤٨)، واشتراكية الماركسيين في أيامنا هذه). وأما النوع الارستقراطي فيثبت أن انفكاك الفرد عن الدولة وهم باطل، لأن الفرد إنما وجد لتحقيق الغايات المثالية المجتمعة في الدولة، ولأن انضمام الفرد الى الدولة هو الواسطة الوحيدة لتثبيت حقوقه. (المثال من ذلك مذهب هيجل، وكارليل، ورودبرتوس، وآدولف فغنر). ان هذه الاشتراكية مضادة للفردية الفرنسية والانكليزية التي انتشرت في القرن الثامن عشر.

٣) اشتراكية الذين زعموا أن تأسيس النظام الجديد لا يتم بالقهر والقسر، بل يتم بالطرق الشرعية. وتسمى اشتراكيتهم هذه باشتراكية الاصلاح، أو اشتراكية التطور (Socialisme réformiste ou évolutionniste).

٤) الاشتراكية الثورية (Socialisme révolutionnaire) وهي القول ان النظام الجديد لا يتحقق إلا بثورة العمال أي بتبديل السلطات العامة والقوانين الحاضرة بطريق الانقلاب والقهر والقوة.

٥) الاشتراكية الخيالية أو الطوبوية (Socialisme utopiste) وهي التي تتخيل مجتمعاً فاضلاً يحقق لأفراده في المستقبل جميع أسباب السعادة كالمدينة الخيالية التي تصورها (توماس موروس - Thomas Morus) أو كالنظام الاجتماعي الذي تخيله كل من (سن سيمون Saint - Simon) و(فوريه - Fourier).

٦) الاشتراكية التجريبية (Socialisme expérimental) ، وهي القول ان تعريف النظام الاقتصادي الذي ينشأ عن الغاء النظام الرأسمالي والتنبؤ به قبل بلوغه محال . المثال من ذلك النقابية (Syndicalime) التي ذهب اليها (جورج سوريل – Georges Sorel) ، والماركسية المعاصرة ، والاشتراكية الفوضوية (Socialisme anarchiste) وغيرها .

وجميع هذه المذاهب على اختلاف طبقاتها وأنواعها تشترك في الأصول الآتية :

آ – الايمان بالحتمية الاجتماعية . فاشتراكية (سن سيمون) و (فوريه) و (برودون) مبنية على فلسفة التاريخ وحتمية وقائعه ، كما ان اشتراكية (كارل ماركس) العلمية مبنية على المادية التاريخية (matérialisme historique) .

ب – تنظيم قوى الانتاج وربط الوظائف الاقتصادية بالدولة أو بمراكز موجهة . ويعبرون عن ذلك بقولهم ان الاشتراكية هي تصنيع الدولة أو تخليق الصناعة . حتى لقد قال دوركهايم : « تطلق الاشتراكية على كل مذهب يريد أن يربط جميع الوظائف الاقتصادية المشتتة أو بعضها بالمراكز الاجتماعية الواعية والموجهة (Rev. Meta, Juillet 921, p 494) . لا يدرك الأفراد حريتهم الحقيقية إلا إذا نظمت الحياة الاقتصادية تنظيماً عادلاً . فليست الاشتراكية مضادة للحرية ولا للفردية بل الفردية الكاملة والمنطقية تستلزم الأخذ بالنظام الاشتراكي .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

ج – الاعتقاد ان العمل هو الأساس الشرعي لكل تملك ، ولولا هذا الاعتقاد لما انتقد الاشتراكيون نظام التملك الفردي ، لأن هذا النظام في نظرهم يجلب لبعض الأفراد دخلاً من دون عمل ويحرم العمال نتائج سعيهم وتعبهم . فالاشتراكية لا تلغي إذن حق الملك الفردي ، بل تقيم هذا الحق على أساس شرعي ، وتريد أن تحسن حال الطبقة الفقيرة الكادحة . فلا ملك إلا لمن يكدح في العمل ، ولا حق في الحياة إلا لمن يستحق الحياة . (راجع : تعاونية ، وتكافل ، وجماعية ، وحرية ، وشيوعية ، ونقابية) .

الاشتقاق

في اللاتينية	Derivatio
في الفرنسية	Dérivation
في الانكليزية	Derivation

الاشتقاق في اللغة هو أخذ شق الشيء، تقول اشتق الكلمة من الكلمة أي أخرجها منها، وهو عند أهل العربية أن تجد بين اللفظين تناسباً في أصل المعنى والتركيب فترد أحدهما الى الآخر، أو هو أن تأخذ من اللفظ ما يناسبه في التركيب فتجعله دالاً على معنى يناسب معناه. فالمأخوذ مشتق، والمأخوذ منه مشتق منه. والاشتقاق ثلاثة أقسام: (١) الاشتقاق الصغير وهو أن يكون بين اللفظين تناسب في الحروف والتركيب نحو ضرب من الضرب. (٢) الاشتقاق الكبير، وهو أن يكون بين اللفظين تناسب في اللفظ والمعنى دون الترتيب نحو جبذ من الجذب. (٣) الاشتقاق الأكبر، وهو أن يكون بين اللفظين تناسب في المخرج نحو نعق من النهق. (راجع تعريفات الجرجاني، الاشتقاق).

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

والاشتقاق في العلم الرياضي هو البحث عن مشتق تابع (Dérivée d'une fonction). ويعرفون مشتق التابع بقولهم هو نهاية نسبة تزايد التابع الى تزايد المتحول عندما ينتهي تزايد المتحول الى الصفر. وينتج عن ذلك: أن التابع يكون متزايداً أو متناقصاً في مجال ما عندما يكون مشتقه موجباً أو سالباً في ذلك المجال، وانه يكفي لايجاد قيم المتحول، التي تجعل التابع أعلى أو أدنى، وأن تبحث عن القيم التي تجعل مشتق هذا التابع مساوياً للصفر. وان المثل الزاوي للماس في نقطة من منحني تابع ما يساوي قيمة المشتق العددية الموافقة لفاصلة هذه النقطة.

والاشتقاق في علم الري هو أن تشتق من النهر قناة موازية له ، كما أن الاشتقاق في علم الطب هو أن تحول السبب المرضي الى ناحية أخرى من البدن .

والاشتقاق في علم النفس هو أن تستبدل بالفعل الموافق للظروف ، المحتاج الى توتر نفسي عال لا يستطيع المرء تحقيقه ، افعالاً أو ارتكاسات سهلة غير نافعة أو غير موافقة . فاذا خف التوتر أو الاشتداد النفسي حلت محل الأفعال العالية حوادث وطيئة كالفعل والادراك الخاليين من الغرض ، والتخيل الوهمي ، وارتجاج الدماغ والقلب والأحشاء ، واضطراب الحركات . ويسمى احلال هذه الحوادث الوطيئة محل الأفعال النفسية العالية بالاشتقاق النفسي . ولكن الاشتقاق لا يقتصر على استبدال الوطيء بالعالي ، لأن هناك اشتقاقاً يحول النزعات والغرائز والميول الضارة الى ميول نافعة . والدليل على ذلك ان وراء الحياة النفسية الظاهرة حياة مظلمة مؤلفة من النزعات الخفية والأحلام المكبوتة ، فاذا استبدل الانسان بالميول المكبوتة ميولاً مباينة لها في الظاهر ومطابقة لها في الباطن سمي فعله هذا باشتقاق الميول أو تحويلها ، فيتحول الطمع الى قناعة والطموح الى كرم ، واذا غير الانسان أهداف ميوله فرفعها من طور أدنى الى طور أعلى سمي فعله هذا بالتصعيد (Sublimation) ، فتنقلب الغريزة الجنسية الى نزعات أسمى منها كالعشق ومحبة الجمال والشعر والموسيقا . (راجع Pierre Janet, les névroses 2e prtie ch. IV. 4 ، راجع أيضاً اصطلاحات اللاشعور ، والتصعيد ، والكبت ، والتحليل النفسي) .

الاشتهاء

في اللاتينية Appetitio

في الفرنسية Appétition

في الانكليزية Appetence

اشتهى الشيء وتشهاه أحبه ورغب فيه رغبة شديدة ، والاشتهاء أو التشهي اصطلاح يستعمله الفيلسوف (لبنيتز) للدلالة على الفاعلية التي يتصف بها المناد

« Monade » (راجع هذا اللفظ) . قال : « الاشتهاء هو فعل المبدأ الداخلي الذي يحدث التغير أو الانتقال من إدراك الى آخر . نعم ان الشهوة لا تستطيع دائماً أن تصل الى كل الادراك الذي تنزع اليه ، ولكنها تدرك منه دائماً بعض الشيء وتنتهي إلى إدراكات جديدة » ، (راجع Leibnitz, La monadologie, 15) .

والمناد في نظر (ليبنيتز) جوهر روحي متوسط بين الصور العقلية والجواهر الفردة الجسمانية ، وهو جوهر بسيط لا يولد ولادة طبيعية ، ولا يموت موتاً طبيعياً ، وله طبيعة داخلية شبيهة بطبيعة النفس البشرية . وهو متصف بالإدراك الذي يهب له ذاتية شخصية تجمع بين الكثرة والوحدة . ومن صفاته أنه دائم التغير ، دائم الانتقال من حال الى آخر ، وانه ذو شعور وحياة وفاعلية عفوية ، وان حالاته المختلفة تؤلف وحدة لا مادية ، فهو إذن قوة ونزوع وفعل ، والاشتهاء هو تلك الفاعلية الروحية التي يتصف بها المناد ، وله وجهان أحدهما خارجي والآخر داخلي ، فاذا نظرت الى الاشتهاء من الناحية الخارجية كان قوة طبيعية ، واذا نظرت اليه من الناحية الداخلية كان نزوعاً ورغبة وشوقاً وإرادة . وجميع تغيرات المناد انما هي نتيجة لهذا الاشتهاء ، وهي تغيرات متصلة ، فكل حالة حاضرة ناشئة عن حالة سابقة ، وكل تغير فهو مثقل بالماضي وممتلئ من المستقبل .

الاشراق

في اللاتينية	Illuminatio
في الفرنسية	Illumination
في الانكليزية	Illumination

الاشراق في اللغة الاضاءة والانارة ، يقال أشرقت الشمس طلعت وأضاءت وأشرق وجهه أي أضاء وتلألأ حسناً ، وأشرق المكان أنار باشراق الشمس ، وأشرقت الشمس المكان أنارته .

وفي اصطلاح الحكماء هو « ظهور الأنوار العقلية ولمعانها وفيضانها على الأنفس الكاملة عند التجرد عن المواد الجسمية » (السهروردي ، حكمة الاشراق ، طبعة كُربين طهران ١٩٥٢ ، ص ٢٩٨) .

وحكمة الاشراق (Philosophie illuminative) هي الحكمة المؤسسة على الاشراق الذي هو الكشف (راجع هذا اللفظ) ، وهي عين حكمة المشارقة الذين هم أهل فارس ، وهذا المعنى يرجع في الحقيقة الى المعنى الأول لأن حكمة المشارقة أيضاً ذوقية وكشفية ، ولا فرق بهذا الاعتبار بين حكمة الاشراق والحكمة المشرقية (Philosophie orientale) التي تكلم عنها ابن سينا ، لأن الشرق هو المنبع الرمزي لإشراق النور . وتختلف حكمة الاشراق عن الفلسفة الارسطية بأنها مبنية على الذوق والكشف والحدس ، في حين ان الفلسفة الارسطية مبنية على الاستدلال والعقل . واكتساب النفس للمعرفة في فلسفة ابن سينا لا يتم بالاحساس ولا بالخيال ولا بالوهم بل يتم بالعقل ، وأعلى درجات العقل الإنساني العقل المستفاد الذي يتلقى الاشراق من العقل الفعال . قال ابن سينا : « فان الأفكار والتأملات حركات معدة للنفس في قبول الفيض كما ان الحدود الوسطى معدة بنحو أشد تأكيداً لقبول النتيجة وان كان الأول على سبيل ، والثاني على سبيل أخرى ، كما ستقف عليه ، فيكون النفس الناطقة إذا وقعت لها نسبة ما الى هذه الصور بتوسط اشراق العقل الفعال ، حدث فيها منه شيء من جنسها من وجه ولبس من جنسها من وجه » (ابن سينا ، كتاب الشفاء ، الفصل الخامس ، من المقالة الخامسة ، من الفن السادس من الطبيعيات ص ٣٥٦ من طبعة طهران) .

وقد بين السهروردي صاحب حكمة الاشراق انه لا شيء أظهر من النور ولا شيء أغنى منه عن التعريف ، فالشيء في نظره ينقسم الى نور وضوء في حقيقة نفسه أي في ذاته ، والى ما ليس بنور وضوء في حقيقة نفسه وهو الظلمة ، فان الظلمة هي عدم النور .

أما النور في نفسه ولنفسه فيسمى بالنور المجرد والنور المحض . وهذا النور المجرد إما أن يكون محتاجاً وفقيراً كالعقول والنفوس ، وإما أن يكون غنياً مطلقاً لا افتقار فيه بوجه من الوجوه ، إذ ليس وراءه نور ، وهو الحق سبحانه ، ويسمى نور الأنوار ، والنور المحيط ، والنور القيوم ، والنور المقدس ، والنور الأعظم الأعلى ، ونور النهار ، والنور الاسفهبد ، لأن الاسفهبد في اللغة الفهلوية زعيم الجيش ورأسه .

وأما ما ليس بنور في حقيقة نفسه فينقسم الى مستغن عن المحل كالجوهر الغاسق فانه مظلم لا نور فيه ، والى ما هو هيئة لغيره كالنور العارض أو العرضي ، وهو لا يقوم بذاته ، بل يفتقر الى محل يقوم به سواء كان محله الأجسام النيرة كالشمس أو الأجسام المجردة .

وكل جسم فهو في وجوده مفتقر الى النور المجرد ، والنور هو الظهور ، ونسبة النور الى الظلمة كنسبة الظهور الى الخفاء ، وخروج الموجودات من العدم الى الوجود انما هو خروج من الظلمة الى النور ، فيكون الوجود كله نوراً ، بهذا الاعتبار ، ويكون أقرب الموجودات الى نور الأنوار أكثرها كمالاً ، ويكون أبعدها عنه أقلها نوراً وبهاء ، والمثل الأعلى للحكيم أن يتوغل في التأله والبحث . واذا كانت السياسة بيد حكيم متأله كان الزمان نورياً . واذا خلا الزمان عن تدبير إلهي كانت الظلمات غالبة (راجع كتاب حكمة الاشراق لشهاب الدين السهروردي ، نشره المستشرق هنري كربين في مجموعة دوم مصنفات شيخ اشراق ، بطهران سنة ١٩٥٢ ، وكتاب « Avicenne et le récit visionnaire » لهنري كربين Henry Corbin أيضاً طبع في طهران سنة ١٩٥٤) .

(يتبع) جميل صليبا

أفكار أبي حنيفة الدينوري

في العلوم الطبيعية

إنّ أبا حنيفة أحمد بن داود بن وَنَند الدينوري من كبار علمائنا في القرن الثالث للهجرة . ومن أشهر تآليفه كتاب النبات الذي كان في ستّ مجلدات كبار ، وكان شرحه محمد بن معمر ابن اخت غنم في ستين مجلدة كما ذكره المقري في نفح الطيب ، وكفى من فضله ما يقول عنه الفاضل الألماني زِلبربرْج[1] (وكان نباتياً ومستشرقاً معاً) : ان اليونانيين بلغوا الى ما بلغوا في علم النبات في مدّة ألف سنة (ومنتهى علمهم كتاب ديسقوريدس) ؛ ولكن ما بلغ إليه المسلمون في قرنين أو ثلاثة فاق اليونانيين بكثير . ومما يجدر بالذكر ههنا أنّ كتب النبات اليونانية لم تكن تترجم الى اللغة العربية قبل وفاة الدينوري . فعلمه علم المسلمين وعلم الشرق .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

إنّ نسخة كتاب النبات كانت موجودة زمن الأتراك في إحدى مكاتب حلب ، كما تذكر فهرستها ، ولكن لا توجد هناك منذ عدة سنين . ويوجد المجلد الخامس منه في مكتبة جامعة استانبول (وقد نشر النصفَ الثاني من هذه المخطوطة المستشرقُ برنارد ليوين من أهل أبسالا بأسوج . ويشتمل على قاموس أبجدي للنباتات من حرف الألف الى الزاي) . والمجلد الثالث منه أيضاً يوجد في مكتبة جامعة يَيل (Yale) في أميركا ، ولكن قواعد تلك المكتبة التي

(1) Bruno Silberberg, Die Pflanzenbuch des Abū Hanīfa ad-Dīnawarī, ein Beitrag zur Geschichte der Botanik bei den Arabern (Zeitschrift der Assyriologie, Strassburg, 1910. pp. 225 - 60; 1911, pp. 39 - 68.

كتب بها إليّ مدير تلك المكتبة تجملا صعب الاستفادة لي . وكنت قد ظفرت بقطعة من هذا الكتاب في مكتبة شيخ الإسلام عارف حكمت بك في المدينة المنورة لما كنت هناك في السنة ١٩٤٦ م ، فنقلتها بيدي .

ان كثيرين من العلماء اعتنوا في السنين الخالية بالأفكار النباتية عند أبي حنيفة الدينوري ، خاصة زلبربرج الألماني ، وأحمد عيسى بك المصري ، والأمير مصطفى الشهابي السوري . ولكن لم يعتن أحد الى الآن ، فيما أرى ، بأفكاره وآرائه في العلوم الطبيعية .

لما تصفحنا قطعة المدينة المنورة ، والمجلد الخامس من كتابه (أي مخطوطة استانبول) وكذلك اقتباساته التي توجد في كتب اللغة ـ مثل المحكم لابن سيده ، والصيدنة للبيروني ، والمفردات للغافقي ، وغير ذلك من المخطوط والمطبوع الذي وصل الينا من حسن حظنا ؛ وقد جمعت تلك الاقتباسات في ١٥٠٠ صفحة تنتظر الطبع ، وفيها أيضاً القاموس الأبجدي للنباتات من حرف السين الى الياء ـ وجدنا أن أبا حنيفة الدينوري يذكر في أثناء توصيف النباتات المختلفة أشياء كثيرة تتعلق بالعلوم الطبيعية . لست من المتخصصين ولا من المشتغلين بالعلوم الطبيعية ، وليس غرضي من هذه الأسطر القليلة إلا لفت أنظار زملائي المتخصصين بالعلوم الطبيعية أن يعتنوا أيضاً بهذه الناحية ليكملوا تأريخ العلوم الطبيعية عند المسلمين وعند العرب .

أنا ألتقط بعض ما كتب الدينوري عن المسائل الطبيعية ، على سبيل المثال ، من قطعة كتابه التي توجد في المدينة المنورة ، وسيتمكن القارئ منها أن يعرف آراء الدينوري خاصة في مسئلة النار :

(١) باب في وصف الزناد : وهذا باب جمعت فيه أحسن ما حضرني من وصف الزناد ، ومن أي الشجر يختار ، وكيف يقتدح بها .

أفضل ما اتخذت منه الزناد شجرتا المَرْخ والعَفار . فيكون الانثى ، وهي الزندة السفلى ، مرخا ، ويكون الذكر ، وهو الزند الأعلى ، عفارا .

واختُلف في العفار . فزعم بعض أهل الرواة وبعض الأعراب أيضاً أنه ضرب من المرخ . ولا أحسب كذلك ، وان كان الزندان جميعاً كثيراً ما يكونان من الشجرة الواحدة . وأخبرني بعض علماء الأعراب أن العفار شجر يشبه شجر الغُبيراء ، منظره من بعيد كمنظره . وأما المرخ ، فقد رأيته ؛ وليست صفته هذه الصفة . المرخ ينبت قضباناً سمحة طوالاً سلباً ، لا ورق لها ... ومن فضيلة المرخ في كثرة النار وسرعة الوَرْي ما ذكر أبو زياد الكلابي فانه قال : ليس في الشجر كله أورى زناداً من المرخ . قال : وربما كان المرخ مجتمعاً ملتفاً ، فهبّ الريح ، فحكّ بعضه بعضاً ، فأورى ، فاحترق الوادي كله . قال : ولم نر ذلك في شيء من الشجر . وهذا شيء من أمر المرخ معروف . وقد ذكر غير أبي زياد أيضاً . (ورقة ٢٤٨/ب — ٢٤٩/ ألف) .

(٢) [صفة الزناد والاقتداح بها] . وصفة الزندة : انها عود مربّع في طول شبر أو أكثر ، وفي عرض اصبع أو أشف . وفي صفحاتها ، وهي خدودها ، فُرَض ، وهي نقر . الواحدة منها فرضة ؛ وتجمع أيضاً فراضاً . والزند الأعلى نحوها غير أنه مستدير ، وطرفه أدق من سائره . فأما وصف الاقتداح بها ، فانّ المقتدح اذا أراد أن يقتدح الزناد ، وضع الزندةَ ذاتَ الفرض بالأرض ووضع رجليه على طرفيها ، ثم وضع الزندة الأعلى في فرضة من فراض الزندة — وقد تقدم — فهيّأ في الفرضة مجرى للنار الى جهة الأرض بحزّ ، وقد حزّه بالسكين في جانب الفرضة . ثم فتل الزند بكفه كما يفتل المثقب . وقد ألقى في الفرضة شيئاً من التراب يسيرا ، يبتغي بذلك الخشونة ، ليكون الزند أعمل في الزندة . وقد جعل الى جانب الفرضة عند منفى الحزّ ربّة تأخذ فيها النار . فاذا فتل الزند ، لم يلبث الدخان أن يظهر . ثم يتبعه النار ، فتنحدر في الحزّ ، وتأخذ في الربّة . وتلك النار هي السقط ... وقال أبو زياد : يقال ارتجل فلانٌ الزندةَ اذا وضعها تحت ابهامي رجليه ، أو

جزٌّ في رجيه . ثم يجعل الزند في فرضة الزندة ، ثم يدير الزند في الفرضة ، وتحت الزندة خرقة ، ويعكّي الدخان . والتعكية تصعيد الدخان في السماء . فاذ خرجت النار ـ وانما تخرج في تلك الحكاكة التي خرجت بين الزندين ـ فصارت في الخرقة ، ضمّ الخرقة عليها وطرح الزندين ... فالربّة كل ما أوريتَ به النارَ من خرقة أو عطبة أو قشرة ... فان كان بعرة ففتيا ليأخذ فيها النارَ ، فهي فتّة ... وقال أبو زياد : خرفع العُشَر من أجود الحُرّاق ، يعني للزناد . وضروب الحرّاق كثير ، فمنها قشر شجر السِيداق الذي يغسل برمادها الكتّان . (ورقة ٢٥٠/ألف — ٢٥٥/ألف) .

(٣) كَشَّ يكِشُّ كشًّا : صوّت ؛ وسمعت كشّة الزند ، وذلك إذا هاج الدخان أن يتحوّل ناراً من قبل أن يقوى حرارته ، فيحدث من ذلك كما يحدث من الحطب إذا اندفع من جوفه دخان شديد الانزعاج كأنه النفخ ، وأرادت النار العلوق به فلم تقدر لقوّة اندفاع الدخان ، فحدث بينهما الصوت الذي يقال له « التّحبيح » . (ورقة ٢٥٤ / ألف) .

(٤) وإذا كان الصوت من الحطب ، فذلك « نَقيض » و « كَصيص » . وإذا اشتدّ ، كان فَرقعة كفرقعة المِلح . وأكثر ما يكون ذلك إذا ركبه ملح ، أو يبس من ذاته ، أو كان نقدا فيه القتَع ـ وهو الأكل ـ أو كان رطبًا ، أو مستكنًّا فيه ماء . (ورقة ٢٥٨ / ألف) .

(٥) باب في ألوان النيران والأرمدة والأدخنة ... فأما الجمر ، فلون جميع الحطب لون واحد أو قريب . ولكن في ألوان اللهب اختلاف ، وكذلك في ألوان الأدخنة والأرمدة . فاختلاف ألوان الأدخنة علة اختلاف ألوان اللهب . واختلاف أجناس الحطب ، مع اختلاف أحواله في الرطوبة واليبس ، علة اختلاف ألوان الأدخنة والأرمدة . على أنّ الأرمدة يلحقها اختلاف الألوان من جهة أخرى ، وهو النحو الذي ينطفئ عليه الجمر . وقد يعرض مثل

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

هذه العلة للدخان أيضاً . فأما العلة التي تعرض في اختلاف ألوان الدخان من قِبل اختلاف جنس الحطب فكالذي يعرض لدخان التَّنضُب فانه أبيض في مثل لون الغبار . ولذلك شبَّه الشعراءُ الغبارَ به . . . ودخان الرِمث أشدّ سواداً من دخان التنضُب ، ولم يبلغ أن يكون أسود ، ولكن أورق كلون الذئب . ولذلك شبَّهت العربُ لونَ الذئب بلون دخان الرمث ، والذئب أورق . (ورقة ٢٥٩/الف ـ ٢٥٩/ب) .

(٦) [ماهية النار والدخان] : قالوا : إنّ لهب النار على قدر ألوان الدخان . فكلما مال الدخان الى البياض مال لون اللهب الى الشقرة . وكلما كان الدخان أشدّ سواداً كان اللهب أشدّ حمرة . حتى اذا اشتدّ سواد الدخان اكمدّ اللهب . وبين دخان الحطب الواحد في أوّل ما تشتعل فيه النار ، وبينه إذا توسّطت الحال ، واذا تناهى حَمْيُ الحطب وقهرته النارُ ، اختلاف كثير . فانّ النار في أول ما تأخذ من الحطب يكون لهبها أقرب الى السواد . ولا سيما ان كان الحطب رطباً . ثم ترى اللهب يصفو ويميل الى الشقرة على قدر انهدام الحطب ورقّة دخانه . حتى اذا كان أخيراً وذكت النار ورقّ الدخان ، اشقارّ اللهب . حتى اذ انقطع الدخان الغليظ البتة وعاد الحطب جمراً ذاكياً متوهّجاً ، رأيت له لهباً لطيفاً قليل الشقرة قريباً من البياض . وذلك هو الأُوار . وما بقي له من لون حينئذ فهو من قِبل جنس الجمر . ألا ترى أنّ أُوار الحُمَم أخضر . وذلك لغلبة السواد على الفحم . وانما اللهب دخان حمي فآض ناراً . وكل شيء يحمرّ حتى يتناهى في الحرارة ويحوّل ناراً . وانما النار دخان انتهى في الحرارة ، أو جمر . ألا ترى أن كل شيء لا دخان له ، فانك إذا أحميته آض جمراً من غير أن يكون له لهب ، كالحجارة والحُمَم والحديد وما أشبه ذلك . وان كان في الحمم بقية من الصنف الذي يصير من الحطب دخاناً ، صارت تلك البقية أوارا ، وهو أرقّ من الدخان وألطف . ولذلك يكون لون الأوار أيضاً أضعف

لألوان وزرقة من لون اللهب . قال الأموي : الأوار مقلوب : أصله كان نور ، كما قالوا « بئس » ثم قالوا « أيس » . وإذا عريت النارُ من دخان أو نور أو جمر ، كانت بيضاء خالصة من البياض . كلون نار المهاة التي تقوم مقام القداحة ، وكلون نار المرآة المحرقة . فإنّ هاتين النارين بيضاوان من أنه لا دخان هناك ، ولا جمر . وإذا ألهبنا الربة المدخنة ، كان اللهب الساطع من الربة أحمر من أجل الدخان . وإنما ألهبتها نار بيضاء كالبردة . وليس هذا الكتاب موضع هذا الكلام لولا أن قوماً ممن ينظر في اللغة التبس عليهم أمر النار فيما وصفنا منه ، حتى ذهبوا مذاهب بعيدة ناكبة عن القصد . (ورقة ٢٦٠/ألف ـ ٢٦٠/ب) .

(٧) ومن النبات ما يستوقد رطباً ، كما يستوقد اليابس . وأكثر ذلك من أجناس الحمض . وأفضل الحمض القيسب ، فإنه ليس بين رطبه ويابسه فرق . (ورقة ٢٦١/ألف) [وفي لسان العرب وتاج العروس في مادة قسب ما يأتي : « والقيسب ضرب من الشجر . قال أبو حنيفة : هو أفضل الحمض . وقال مرة : القيسبة ، بالهاء شجيرة تنبت خيوطاً من أصل واحد ، وترتفع قدر الذراع ، ونورتها كنورة البنفسج . ويستوقد برطوبتها كما يستوقد اليبيس] .

(٨) ونيران الأدهان والصموغ والكباريت والزرانيخ شديدة اختلاف الألوان. منها الأسود ، ومنها الأخضر ، ومنها الأصفر ، ومنها الأحمر ، ومنها الأورق ، ومنها الأشهب ، في ألوان كثيرة غير محدودة .

وكذلك أرمدتها ، وأرمدة الأحطاب وحراقات الأشياء . فإن منها الأسود والأصفر والأخضر والأحمر . وترى رماد النار العظيمة أصنافاً . وهو رماد ساعته ، فترى ظاهره بخلاف وسطه ؛ ووسطه بخلاف أسفله . وفيه الأبيض والأسود والخصيف . ولذلك قيل للرماد أخرج ؛ والخُرجة لونان يختلفان . وقيل له أيضاً أورق وخصيف . ورماد الحجارة ، وهو الكلس ، أشد بياضاً . وكل ذلك على قدر الشيء المحترق ، وعلى قدر حاله في النفس والاختناق ،

وبلوغ الغاية وقصوره عنها ، وعلى بين ذلك بدل منذ كونها على ما لم يذكر ...

والطائفة المشعلة من النار : « شِهاب » ، والجمع : شُهُب . قال الشاعر ، ووصف الشعرى العَبورَ فشبّهها لعظم نورها بشهاب نار :

وقد غارت الشعرى العبور كأنها شهابُ غَضًا يرمى به الرجوانْ

واختار الغضا لذكاء ناره . وليس في الشجر أذكى ناراً ولا أبقى جمراً منه ، يقال انه ربما أُوقدت منه النارُ العظيمة ، ثم يرتحلون فتهمد أولاً أولاً ويبقى الجمر في عُقرها تحت الرماد الحينَ الطويل وقد هبّت عليه الأرواحُ وضربته الأمطار فدافع عنه ما فوقه من الرماد . أخبرني بذلك غير واحد . ولا أعلم ، بعد الغضا ، أكثر ناراً وأقل رماداً من حطب القَرَظ . أخبرني غير إنسان أنهم كانوا يوقدون ، وهم بمصر ، بحطب السَّنْط (وهو قرظ ينبت بنواحي سُوان) ، قالوا : فكنّا ربما أُوقدنا به النهار كله والليل كله فلا نجد من الرماد إلا اليسير مع ذكاء وقوده ... والعَصَل في ذلك مثل الغضا . والعصل يشبه الدِفلَى . وكذلك حطب المظ ، ويتخذ منه داذين يستوقد استيقاد الشمع . ويتخذ من أطراف العصل رِقْلي . والضُّبار أيضاً كذلك في جودة الحطب . وليس في الشجر اذا اشتعلت فيه النار وهو رطب أشد فرقعة منه ؛ انما هو بمنزلة الخاربق .

(ورقة ٢٦١ / ألف ـ ٢٦٢ / ألف) .

محمد حميد الله

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ما سمعت وما رأيت

في بلاد السوفيت

- ١ -

وجّه مجمع العلوم السوفييتي دعوة الى المجمع العلمي العربي بدمشق لتكليف أربعة من أعضائه بالسفر الى بلاد الاتحاد السوفييتي ، وكانت الغاية كما جاء في نص الدعوة الاطلاع على النشاط العلمي واطلاع العلماء السوريين على نشاط المؤسسات العلمية والثقافية وحياة الشعب السوفييتي .

وقد كلّف رئيس المجمع العلمي العربي بدمشق كلاً من الأعضاء : الأمير جعفر الحسني والشيخ محمد بهجة البيطار والدكتور سامي الدهان وكاتب هذه الكلمة ، وكان مني أني لم أتردد لحظة في قبول هذا التكليف الذي صادف هوى في نفسي وقد جبلت على حب السفر والسياحة في أرض الله الواسعة ، فسرعان ما تهيأت للأمر واتخذت له عدته ، ولم تمض أيام حتى أنهيت ترتيب شؤوني الخاصة في جانب المعاملات الرسمية التي انتهت في غاية من السرعة ، وغادرت دمشق صحبة الزملاء المذكورين مساء الأحد الواقع في ٣١ من تشرين الأول سنة ١٩٥٤ على متن احدى طائرات شركة S A S التي انطلقت بنا في الجو الرحب مع ركابها الذين يربون على الخمسين ، وكانت تطوي الفضاء تعلو السحب تارة حاجبة عنا رؤية اليابسة والبحر ، وتخترقها تارة اخرى دون أي انزعاج ، ناهيك بضيفاتها الحسناوات اللواتي تم بهن تلطيف وعثاء السفر وتخفيف وحشة الانطلاق في هذا الفضاء ، ونحن في ارتفاع عن الأرض يعدو في بعض الأحيان ألفي متر . وما هي إلا زهاء خمس ساعات من الطيران حتى حطت في مطار روما فتوقفت

فيها ساعة واحدة وكذلك فعلت في كل من جنيف وفرانكفورت وكوبنهاغن ، كنا نمضي هذه الفترات من الزمن على وجه البسيطة آكلين شاربين وفاحصين عن أوجه جديدة نراها وعن معروضات صناعية منوعة تنم على ما تنتجه تلك العواصم من طرائف ، الى أن انتهى بنا الطيران الى استوكهولم عاصمة بلاد السويد بعد ١٤ ساعة من الطيران قطعنا بها أو قطعت بنا مسافة ٤٦٥٠ كيلومتراً ، وانتقلنا بعد إتمام الاجراءات النظامية المتعلقة بالأمن والمكوس ، الى فندق وسط في صميم تلك العاصمة الجميلة ضيوفاً على شركة الطيران الاسكندنافية لنبيت ليلة واحدة ثم نتابع الرحلة . وما أن أخذنا قسطاً قليلاً من الراحة حتى سرنا طائفين في شوارع تلك العاصمة ، مستبضعين بعض الحوائج ، وكذلك كان دأبنا في ضحى اليوم الثاني . وغادرناها على متن الطائرة ذاتها ظهر ذاك اليوم ووجهتنا الشمال الشرقي من تلك الأصقاع الشمالية إلى أن حطت الطائرة في هلسنكي عاصمة فنلاندا بعد ساعتين كان يملأ نظرنا خلالها مناظر الجزر العديدة التي تغص بالأحراج . وفي هلسنكي ودعنا طائرتنا وودعنا ملاحوها ، وكان في لقائنا في المطار بعض موظفي السفارة السوفيتية في تلك العاصمة . وانتقلنا بعد توقف ساعتين من الزمن الى طائرة سوفيتية ذات محركين ، وهي دون طائرتنا السابقة ذات المحركات الأربعة مظهراً وحسناً ، خلو من الزخرفة إلا أنها والحق يقال بالغة حد الاتقان في حسن الطيران والمهارة البالغة في الانطلاق عن سطح الأرض ومنتهى الهدوء في الهبوط ، والغريب في الطيران السوفيتي عامة أنه لا يطلب فيه الى الركاب أن يوثقوا بوثاق المقعد كما هو الشأن في سائر الطيارات ، كما انه ليس ثمة أي تحذير من التدخين إبان صعود الطائرة وهبوطها ، في جانب الراحة التامة التي يشعر بها الراكب مع النقص الظاهر في كل ما يدعى كمالياً . وبعد طيران ساعة ونصف الساعة كنا نمتع البصر في منظر الأحراج الكثيفة والجزر الصغيرة المبعثرة في الخضم ، هبطت الطائرة في مطار لينغراد ، وسرعان ما صعد

اليها أحد موظفي الأمن السوفيتي محييا وفاحصا جوازات سفر الركاب الذين لم يكن عددهم ليزيد عن العشرين بينهم بعض الضباط برتب كبيرة . ولم تستغرق هذه المعاملات الشكلية سوى دقائق ، أذن لنا بعدها بالنزول من الطائرة ، ومررنا مع ركاب الطائرة تتقدمنا سيدة من موظفات المطار الى قصر قديم قيل إنه من بقايا عهد القياصرة ، فيه مطعم فسيح جلسنا والرفاق على إحدى موائده حيث تناولنا العشاء وعدنا بالترتيب نفسه الى الطائرة التي حلقت بنا في سماء لينغراد باتجاه موسكو ، فلاحت لنا أنوارها عن بُعد بعد ما يقرب من ساعة واحدة ، ولم تمض سوى ٤٥ دقيقة إلا وحطت الطائرة عصى الترحال في المطار .

وما ان نزلنا من الطائرة حتى لقينا في استقبالنا لفيفا من أعضاء مجمع العلوم السوفيتي يرافقهم بعض التراجمة وفيهم من يتكلم العربية الفصحى ، وهو شاب أسمر اللون طويل القامة عرفنا أنه آشوري الأصل يقيم في تلك البلاد منذ سنين ، ورجحنا أن تكون اللغة الفرنسية لغة التفاهم مع التراجمة الذين خصصوا لمرافقتنا باعتبار أن زملاءنا يتقن أكثرهم هذه اللغة . وألقى أحد المستقبلين كلمة بالروسية مرحبا بنا باسم مجمع العلوم السوفيتية ، ترجمت الى العربية من قبل الترجمان الذي تقدم ذكره ، فرد عليه رئيس الوفد الأمير جعفر الحسني بكلمة مناسبة شكر للمستقبلين حسن الاستقبال ، نقلها الى الروسية الترجمان الآشوري ، ولكننا فضلنا بعد ذلك كما هم فضلوا أيضا أن تكون لغة التفاهم معهم الفرنسية ، لا سيما وان ترجمانة روسية اسمها ناديا (وتلفظ في الروسية نادين) كانت الترجمانة المفضلة لحسن ترجمتها وسرعتها فيها بما يثير الاعجاب .

لم تفتح حقائبنا ولم يجر أي بحث عما معنا أعطينا سيارتين أقلتانا بعد مسير نصف الساعة من المطار الى المدينة في طريق عريضة وحسنة الإضاءة ، استدعى انتباهنا في طريقنا بناء جامعة موسكو الذي يقرب طراز بنائه من طراز ناطحات السحاب ، والشوارع التي اجتزناها كلها فسيحة ونظيفة ، الى أن توقفت سيارتنا أمام الفندق الذي خصص لمقامنا في موسكو ويعرف بفندق سافوي .

والذي علمناه فيما بعد أن هذا الفندق هو أحد الفنادق الكبيرة المعدة لاستقبال الأجانب تتبع مصلحة عامة من مصالح الدولة اسمها انتوريست ومعناها السياح الأجانب وعددها في موسكو ثلاثة وسيضاف اليها فندق رابع جديد لعله من أعظم الفنادق في أوروبا . يقف على باب كل من هذه الفنادق شرطي يتناوب وأحد زملائه ليلاً ونهاراً لا يفارقه أبداً .

وقد خصص لكل منا غرفة فسيحة تكاد تكون جناحاً خاصاً تشتمل على بهو للاستقبال حسن التأثيث مع بيانو ، في جانب غرفة المنام والحمام وتوابعه . والمطعم في الطابق الأرضي وكانت غرفنا موزعة بين الطابقين الأول والثاني .

لقد كان وصولنا الى موسكو مساء الثاني من تشرين الثاني ١٩٥٤ ونظم برنامج زيارتنا في اليوم التالي بأن زارنا الموفد من قبل مجمع العلوم وقدمت الى كل منا الخطوط الرئيسية للبرنامج المعد تاركين الينا الخيار فيما نقدمه في جانب ذلك . واليكم برنامج تلك الزيارة مترجمة عن الفرنسية :

الثلاثاء ٢ / ١١ الساعة ٢١٫٣٠ قدوم الوفد الى موسكو

الأربعاء ٣ / ١١ الساعة ١١٫٠٠ النقاش مع الوفد في برنامج الاقامة في الاتحاد السوفيتي

الساعة ١٥٫٠٠ زيارة العاصمة

الساعة ١٩٫٣٠ اوبرا (غالكا)

الخميس ٤ / ١١ الساعة ١٠٫٣٠ المعرض الزراعي

الساعة ١٥٫٢٠ متحف الثورة

الساعة ٢٠٫٠٠ السيرك

الجمعة ٥ / ١١ الساعة ١٠٫٣٠ معهد العلوم الشرقية

الساعة ١٠٫٣٠ المعهد الطبي

الساعة ١٦٫٠٠ الاستقبال في مجلس مجمع العلوم للاتحاد السوفيتي

الجمعة ٥ / ١١ الساعة ٢١و٣٠ باله «بحيرة البجع»

الساعة ١٠و١٥ معهد الآداب الدولي

السبت ٦ / ١١ الساعة ١١و١٥ مكتبة لينين

الساعة ١٦و٠٠ السينما

الساعة ٩و١٥ الساحة الحمراء

الأحد ٧ / ١١ الساعة ١٩و٣٠ اوبرا

الاثنين ٨ / ١١ الساعة ١٠و٠٠ قاعة الصور لتريتيا كوف

الساعة ١٦و٠٠ حفلة موسيقية

الساعة ٢٠و٠٠ حفلة موسيقية في الكونسرواتوار

وقد ترك هذا اليوم في الأصل فارغاً

ثم جرى ملؤه بعد موافقة أعضاء الوفد

الثلاثاء ٩ / ١١ - الساعة ١١و٠٠ معهد طبي

الساعة ١٢و٠٠ فرع العلوم التاريخية

الساعة ١٥و٣٠ معهد اللغات

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الأربعاء ١٠ / ١١ الساعة ١٠و٣٠ جامعة موسكو

الساعة ١٢و٠٠ معهد طبي

الساعة ١٩و٠٠ — ٢٠و٠٠ الاستقبال في المفوضية السورية

(وقد ترك في الأصل مكانه فارغاً)

الخميس ١١ / ١١ ستوديو

الجمعة ١٢ / ١١ الساعة ١٠و٣٠ معمل السيارات

الساعة ١٠و٣٠ معهد طبي

ونظم برنامج مماثل في زيارة كل من لينغراد وستالينغراد وطاشكند، وهو يبدأ من التاسعة والنصف أو العاشرة صباحاً حتى الرابعة عشرة، ومن الساعة الخامسة عشرة والنصف حتى التاسعة عشرة والنصف مساء، ولم تخل ليلة من

الليالي من السهر في أحد الملاهي من نوادي موسيقية الى أوبرا ودور التمثيل أو السيرك ، ولم يترك لنا من الفراغ سوى ساعات الطعام والمنام ، وانفردت عن رفاقي الثلاثة ببرنامج خاص تتضارب أوقاته وأوقات الزيارات الأخرى في معظم الأحيان ، كان يشتمل على زيارة بعض المؤسسات الطبية والمشافي ، كما أنه قد جرى بعض التعديل الطفيف في البرنامج باضافة زيارة بعض الأماكن لم تلاحظ في البرنامج المرسوم ٠

غادرنا موسكو مساء السبت ١٣ من تشرين الثاني بالقطار الى لينغراد وحللنا في نزل استوريا وبعد قضاء خمسة أيام فيها عدنا في ١٨ من الشهر بالقطار أيضاً الى موسكو حيث زرنا أماكن أخرى لم تكن في البرنامج السابق وفي صباح ٢٢ من تشرين الثاني غادرناها بالطائرة الى ستالينغراد ومكثنا فيها ٣ أيام عدنا بعدها بالطائرة الى موسكو ، وتركناها بعد استراحة ليلة واحدة وبالطائرة الى طاشكند في ٢٥ تشرين الثاني قضينا يوماً واحداً في سمرقند وعدنا في ٢٩ منه الى موسكو وزرنا في هذه المرة إحدى التعاونيات الزراعية وأقيمت لنا حفلة وداع رسمية في مجمع العلوم السوفيتي مساء ٣٠ من تشرين الثاني وغادرنا موسكو نهائياً على متن إحدى الطائرات الروسية الى هلسنكي بعد أن ودعنا في مطار موسكو لفيف من أعضاء مجمع العلوم وبعض المستشرقين الذين تعرفنا عليهم إبان مقامنا في العاصمة المذكورة ، وبعد أن هبطت الطائرة في مطار لينغراد مكثنا فيه ساعة واحدة تناولنا خلالها طعام الغداء ٠ وفي هلسنكي انتقلنا الى إحدى طائرات الشركة السكندينافية ذات المحركات الأربعة متجهين الى ستوكهولم التي لم نمكث فيها سوى ثلاث أيام زرنا خلالها بعض معالمها وانفردت بزيارة أحد المستشفيات فيها وفي ٤ من كانون الأول غادرنا ستوكهولم الى كوبنهاغن عاصمة الدانيمرك حيث قضينا فيها ٥ أيام وزرنا خلالها بعض المتاحف والمستشفيات وغادرناها على متن إحدى طائرات الشركة السكندينافية في ٨ من كانون الأول

عائدين الى دمشق بعد توقف ساعة واحدة في كل من فرانكفورت ومونيخ واستانبول وبيروت .

بلاد الاتحاد السوفيتي

سوفيت (Soviet) بالروسية معناها المجلس ، وأُطلق في الأصل على مجلس مندوبي العمال والجنود الذي عقد في بتروغراد (لينينغراد) خلال الثورة الروسية عام ١٩١٧ ، ثم على الدولة الروسية في النظام البولشفيكي . كما انه أطلق اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية U. R. S. S. على الاتحاد الفيدرالي الذي يجمع بلاد روسيا القيصرية وما انضم اليها من بلاد مجاورة ، بلغ عددها ١٦ دولة .

وهي تعد بحق (على حد قول لينين) عالماً قائماً بذاته لا من حيث اتساع مساحة البلاد فحسب ، بل بعدد السكان ناهيك بالموارد الطبيعية والامكانيات الصناعية ، فبالسعة تبلغ مساحة هذه البلاد ضعفي مساحة الصين وأضعاف الولايات المتحدة و ٣٠ ضعفاً من مساحة فرنسا . وتبلغ من الطول زهاء ١٠٠٠٠ كيلومتر (ما يقرب من ربع محيط الأرض) ومن العرض ٦٠٠٠ كيلومتر . وتوازي جنوباً الخط ٣٥ وشمالاً الخط ٨٠ مما يجعلها أوسع من أمريكا الشمالية بكاملها .

وقدرت مساحة البلاد السطحية بـ ٢١٩٢٣٦٩٠٠٠ كيلومتر مربع بما يقارب من سدس اليابسة بأجمعها . ويجعل هذا الامتداد الهائل لبلاد الاتحاد السوفيتي ان فرق الساعة يبلغ بين أقصى طرفيها ١١ ساعة ، إذ عندما ينتصف النهار في موسكو تكون الساعة في الحدود الروسية البولونية ١١ بينما هي ٢٣ في مضيق بهرينغ ، وليس الفرق في الساعة بين باريز وتوكيو بأكثر من ٥ ساعات .

ومع هذا الامتداد الوحيد في نوعه في العالم كله ، فان لبلاد الاتحاد السوفيتي من المناخ ما يكاد يكون متجانساً ، وهي خلافاً لما هو باد في معظم بلاد القارة الأوروبية من صعوبة الانتقال القريب من بلد يختلف عن سواه اختلافاً بيناً في درجة الحرارة وحالة الجو وما الى ذلك من الفوارق التي تبدو بجلاء في بعض

البلاد (كفرنسا مثلاً) فان بلاد الاتحاد السوفيتي الشاسعة ليوجد بين أطرافها المترامية تشابه في الاقليم والمناخ . والثلج يستر أرضها كلها في الشتاء بشكل بساط واسع يمتد من الشمال بالقرب من أصقاع القطب الشمالي حتى الجنوب في سواحل البحر الأسود ، ولا ينجو من برده القاسي سوى بعض السواحل من شبه جزيرة القريم المحمية بسلسلة من الجبال يجعلها تنعم ببعض الدفء في الشتاء [١] .

ويصعب تعليل السبب في هذا المناخ القاسي والمتشابه عندما يكتفى بالقاء نظرة عابرة على مواقع تلك البلاد بالنسبة الى ما يجاورها من بلاد القارة الأوروبية ، والخرائط التي بين أيدينا لا تتيح لنا معرفة موقع موسكو بالضبط ، فبينما تشير هذه الخرائط الى أن العاصمة المذكورة في مستوى باريز أو في الجنوب منها قليلاً ، نراها في الحقيقة تقع شمال باريز بـ ٨٠٠ كيلومتر ، ولينغراد شمال باريز بـ ١٤٠٠ كيلومتر ، ولا يوازي باريز في خط الطول سوى ستالينغراد وان يالطة الواقعة في أدنى جنوب البلاد توازي الخط المار من بوردو ، مما يجعل بلاد الاتحاد السوفيتي بمجموعها ذات مناخ شمالي بالنسبة الى سائر بلاد القارة الاوروبية .

وتمتاز بلاد الاتحاد السوفيتي في جانب هذا المناخ الموحد والسعة المنقطعة النظير بكثرة عدد السكان أيضاً . ففي أطلس اوكسفورد (the Oxford atlas) طبعة ١٩٥٤ ان عدد سكان هذه البلاد هو ١٩٣٠٠٠٠٠٠ استناداً الى إحصاء سنة ١٩٤٦ ، ويغلب للظن (كما يؤكد ذلك المطلعون) ان هذا الرقم قد ارتفع الى ٢٢٠ مليوناً في الوقت الحاضر . ولم يبلغ هذا العدد سوى ١٧٠٤٦٤٠٠٠ في احصاء سنة ١٩٣٩ ، واذا كان مرد بعض هذا الفرق الى اندماج بعض دول البالطيق وبولندا وفنلاندا واحدى مقاطعات رومانيا [٢] ، فانه مما لا شك فيه

(١) تبلغ درجة الحرارة الوسطى في يالطه + ٣,٥ في كانون الثاني و - ١٥,٤ شمالي سلسلة الجبال التي تحمي هذه البقعة (آستراخان) .

(٢) يروي تقويم (Wheitaker) ان الاندماج الذي تم سنة ١٩٤٠ قد زاد في مساحة الأرض الى ٩,١٣٨,٠١٢ ميلاً مربعاً وعدد السكان الى ١٨٢,٥٦٥,٠٠٠ مما يجعل نصيب كل ميل مربع ٢٠ شخصاً .

ان عدد السكان في بلاد الاتحاد السوفيتي آخذ بالزيادة المطردة بعد أن تحسنت الحالة الصحية في البلاد تحسناً ملموساً وقضي نهائياً على الأوبئة المستوطنة في بعض المقاطعات وما تعني به الحكومة من تطبيق أساليب الوقاية من العلل والأمراض المختلفة بما تكاد تكون الوحيدة من نوعها في العالم أجمع (وسأشرح ذلك في بحث خاص) .

واذا قيس عدد السكان بمقتضى إحصاء سنة ١٩٣٩ مع عدد السكان في الأقطار لوجدنا ان الرقم المذكور يساوي نصف عدد سكان الصين وهو دون عدد سكان الهند (سنة ١٩٣٩) بكثير ، إلا انه يزيد على عدد سكان الولايات المتحدة الأمريكية بـ ٤٠ مليوناً ، ويبلغ أكثر من ضعفي عدد سكان اليابان ، وثلاثة أضعاف والنصف من عدد سكان بريطانيا العظمى وايرلندا الشمالية . مما يجعل بلاد الاتحاد السوفيتي في عداد أكبر البلاد الآهلة بالسكان في العالم ، نجد مواطناً سوفيتياً بين كل عشرة من سكان العالم . ومع ذلك فانه ما يصيب الميل المربع من السكان لم يكن سوى (٢١) سنة ١٩٣٩ وأصبح (٢٤) سنة ١٩٤٦ وهو أعظم بكثير مما هو عليه في كندا (٣ في كل ميل مربع) أو استراليا (٢) ولكن أين منه في عدد المملكة المتحدة (٥٠٩) ومن اليابان (٤٠٠) وايطاليا (٣٤٣) والمانيا (٣٤٧ سنة ١٩٣٩) والصين (٢٣١) وبولندا (٢٣٣) وفرنسا (١٩٧) والولايات المتحدة (٤٤) .

ولا يغرب عن البال من ان في بلاد الاتحاد السوفيتي مساحات كبيرة متجمدة لا يمكن الاستفادة منها في جانب الأحراج الكبيرة البكر ، تخلو هذه وتلك من السكان مما ينبغي معه إسقاطها من مجموع المساحة السالفة . وعلى ذلك فاذا نظر الى البقاع الصالحة للزراعة وحدها لبلغت كثافة السكان بنسبة ١١٢ لكل ميل مربع ، مقابل ٩١ في الولايات المتحدة . ومع ذلك لا تجد بلاد الاتحاد السوفيتي في عداد البلاد الكثيفة السكان بل على العكس قليلتها .

ARCHIVE
http://archivebeta.sakhrit.com

وليس توزع السكان واحداً في جميع الأنحاء ، فناحية موسكو التي تكثر فيها المراكز الصناعية يصيب الميل المربع من مساحة أرضها ٢٥٩ شخصاً ؛ وفي أوكرانيا ذات التربة السوداء (Chernozion) التي لا تماثلها في الخصب أي تربة أخرى يختلف نصيب الميل المربع فيها بين ١٥٠ و ١٨٠ شخصاً ، ويبلغ هذا العدد ١٣٠ في المقاطعات المتاخمة لنهر الفولغا ٠ أما في سيبريا فاذا تركنا جانباً بعض النواحي الصناعية فان كثافة السكان فيها لا تتخطى ٢٥ أو ٤٠ حتى في الجنوب الغربي ، وهي أقل بكثير في البقاع المركزية وفي الجنوبية الشرقية ٠ وتختلف نسبة كثافة السكان في تركستان وفي القوقاز بين ٩٥ و ١٥٠ شخصاً في الميل المربع ، كما ان من الأماكن النائية ما تكاد تخلو من السكان تماماً (صحارى الأورال) وعلى الجملة إن كثافة السكان تتدنى من الغرب الى الشرق ولو تشابهت البلاد في المناخ ٠

وتتشابه مرامي السياسة في البلاد وسياسة العهد القيصري ، في صهر الأقوام المختلفة باللغات والعادات والدين في بوتقة الاتحاد السوفيتي ، واللغة الروسية هي هي السائدة في جميع جمهوريات الاتحاد ولو تتمع بعض هذه بما يسمى بالاستقلال الداخلي أو الحكم الذاتي ٠ وعدد هذه الجمهوريات الآن ١٦ موزعة نفوسها كما يلي :

اسم الجمهورية	عاصمتها	عدد النفوس
روسيا	موسكو	١٠٩،٢٨٠،٠٠٠
اوكرانيا	كيف	٤٠،٠٠٠،٠٠٠
روسيا البيضاء	مينسك	١٠،٣٨٦،٠٠٠
جورجيا	تفليس	٣،٥٤٠،٠٠٠
أرمينيا	اريوان	١،٢٨٢،٠٠٠
آذربايجان	باكو	٣،٢١٠،٠٠٠

اسم الجمهورية	عاصمتها	عدد النفوس
قازاقستان	آلما آتا	٦،١٤٦،٠٠٠
قيرخيزستان	فرونز	١،٥٠٠،٠٠٠
تركمانستان	عشقآباد	١،٢٥٤،٠٠٠
أوزبكستان	طاشكند	٦،٣٠٠،٠٠٠
طاغستان	ستالينآباد	١،٤٨٥،٠٠٠
كاريلوفنلاند	فليبوري	٤٧٠،٠٠٠
مولدافيا	كيشنف	٢،٢٠٠،٠٠٠
ليتوانيا	فيلنا	٢،٨٨٠،٠٠٠
لاتافيا	ريغا	١،٩٧١،٠٠٠
استونيا	تالين	١،١٣١،٠٠٠

(للبحث صلة)

الدكتور حسني سبح

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ايوانية البحتري

للمرحوم الشيخ عبد القادر المغربي

- ٣ -

(فهو يُبدي تجلُّداً وعليه كَلْكَلٌ من كلاكل الدهر مُرْمِي)

(الكلكل) الصدر ، والبعير إذا برك وألقى ثقله على الأرض فانما يكون مركز الثقل تحت كلكله ، فاتخذ البلغاء الكلكل مثلاً لشدة الوطأة وقوة الضغط (مالي والدهر يرميني بكلكله)

و (مُرمي) اسم فاعل من أرمى الشيء ورسا : ثبت ورسخ ومنه رست السفينة . والمعنى أن إيوان كسرى كالرجل العاقل يبدي الصبر والتجلد على شدائد الدهر أمام الناس ، حالة كونه رازحاً تحت كلكل عظيم من كلاكل الدهر أطبق عليه .

(لم يَعِبْهُ أنْ بُزَّ مِن بُسُطِ الديباج واستُلَّ من ستور الدِمَقْس)

(بزّه) سلبه ومنه المثل (من عزّ بزّ) وربما كان أصل معنى فعل (بزّه) سلبه بَزّه أو بزّته أي ثيابه . ثم عم استعماله في كل سلب . ومن التوارد في ذلك كلمة (dérober) الفرنسية فانها بمعنى سلبه وبديهي ان أصل معناها سلبه ثوبه . وبُزّ واستُلّ في بيت البحتري مجهولان . والدِمَقْس الحرير أو الأبيض منه . يقول : إن الإيوان لم يعبه أن سُلِب وجُرِّد من بُسط الديباج ولا أن استُلّ وعُرِّي من ستور الحرير . أي اذا كان في زمن سكانه الأكاسرة مفروشاً بالبسط ومجلّلاً بالستائر وأصبح بعدهم معرّى منها فليس ذلك بمُزرٍ به ، ولا حاطّاً من قدره . إذ أن له الآن من جلالته وروعته ما يكسوه مهابة في النفوس فوق مهابته مذ كان مغشّى بالحرير والديباج .

(مُشْمَخِرٌّ تعلُو له شُرُفات رُفِعَتْ في رؤوس رَضوى وقُدْس)

المشمخرّ من الجبال : المرتفع العالي ، ومنه قول البديع في قصيدة بشر بن عوانة :

نخرّ مضرّجاً بدمٍ كأني … هدمتُ به بناءً مشمخرّا

و (رَضوى) بفتح الراء جبل بين مكة والمدينة على مسيرة يوم من ينبُع . و (قُدْس) بضم القاف جبل عظيم بأرض نجد : أي إن ذلك الإيوان عالٍ مرتفع كأنما شُرُفاته مرفوعةٌ على رؤوس ذينك الجبلين . وهذا كقول عنترة في البطل الذي قتله :

(بَطَلٌ كأن ثيابه في سَرحةٍ)

أي إنه طويل القامة كأن ثيابه مُلْقاةٌ على شجرة من شجر السَّرْح .

(لابساتٌ من البياض فما تُبْـــــصَرُ منها إلا غلائل بُرْسِ)

قوله (لابسات) صفة للشُّرُفات . وشُرُفات القصر أعاليه المحيطة بإجّاره . والإجّار السطح وجمعه أجاجير . والمراد من (البياض) الثياب البيض ، يقال فلان (يلبس السَّواد والبياض) . والغلائل جمع غلالة : الثوبُ . والبِرْس بكسر الباء وتضم : القطن يقال (طار له أُلغام كالبِرس المندوف) والأُلغام الزَّبَد الذي يظهر على فم البعير . وهو كالرؤال للفرس وكاللُّعاب للانسان . وفي بعض النسخ أيضاً (لفائف برس) جمع لفيفة ما التف واجتمع من الشيء . ورواية الغلائل أحسن الروايتين ، وقد جاءت قافية (البِرس) في معارضة شوقي مضافةً الى العصائب مذ قال :

(جَلَّلَ الثلجُ دونها رأسَ (شيرى) … فبدا منه في عصائبِ برْس)

والعصائب جمع عِصابة : منديل يعصب به الرأس والعِمامة نفسها تسمى عِصابة أيضاً . أما (شيرى) فهو اسم جبل ويظن ان اسمه أعني شيرى محرف من كلمة (منشار) العربية وكانوا يطلقونها أي كلمة منشار على سلسلة الجبال . وجاءت (برس) أيضاً في لزوميات المعري قال .

لباسيَ البرْسُ فلا أخضرٌ … ولا خَلوقيٌّ ولا أدْكَنُ

يقول : إنه يلبَس من الثياب البسيط : فلا يلبس ثياب الشهرة ولا ثياب أهل الترف ولا الصوفية ٠

ومعنى بيت البحتري أن شرفات الإيوان تجلببت من الكلس ثياباً بيضاً ، فلا يقع نظرك منها إلا على غلائل قطنٍ أبيض ، أو على (كُرسُف) غزل من قطن أبيض أو على سبائب أي لفائف من قطن أبيض مندوف ٠ أما شوقي في شعره فجعل الثلج على رأس جبل (شيرى) عمائمَ متخذةً من نسيج قطنٍ وهو ما يسمى الشاش أو اليشمق بالتركية ٠

(ليس يُدرى أصُنعُ إنس لجنٍّ سكنوه أم صُنعُ جنٍّ لإنس)

أي ان الناظر الى الايوان يحار فيمن بناه ولأي غرض بني هل هو مما بنته الإنس للجن أو الجن للإنس ٠ أما إنه من بناء الجن للإنس فظاهر لأن البشر اعتادوا أن ينسبوا كل بناء فخم عظيم الى صنع الجن ، من ذلك قول النابغة في تدمر :

إلاّ سليمان إذ قال الإله له قم في البرية فاحددها عن الفَنَد
وخيّس الجنّ إني قد أذنت لهم يبنون تدمُرَ بالصُّفّاح والعَمَد

فلا عجب اذا توهم البحتري أن الإيوان من صنع الجن بنوه للأكاسرة ٠ أما توهمه في كونه من بناء الإنس للجن فمغزاه أن البشر إنما يسكنون في قصور وأبنية معهودة لنا ٠ وضخامةُ الإيوان وارتفاع طاقِهِ وعلوّ قصوره وجدرانه كل ذلك لم نعهد مثله لسكنى البشر ، فلم يبق إلا أن الإنس بنوه لمخلوقاتٍ غريبةٍ من غير جنسنا وهم الجن ، فهو يرتاب في أن الأكاسرة كانوا يسكنونه ويقول في نفسه ربما كان الجن هم الذين سكنوه وعمّروه ٠

(غير أني أراهُ يشهد أنْ لم يَكُ بانيه في الملوك بنِكْس)

(النِكس) الضعيف الدنيء الذي لا خيرَ فيه ٠ وضمير أراه يرجع الى الايوان فالبحتري يقول إني معها ترددتُ في أمر صانع الإيوان وفي غرضه

من تشييد هذا البناء العظيم فلن أتردد في حقيقة يشهد لي بها الإيوان نفسه وهي أن بانيه لم يكن ملكاً دنيئاً ضعيفاً في الملوك . فنحن إذا لم نعرف الباني عرفنا عظمته من أثره الذي تركه لنا وهو هذا البناء .

إن البناء اذا تعاظم قدره   أضحى يدل على مقام الباني

(فكأني أرى المراتب والقو   م اذا ما بلغت آخر حسي)

قوله (فكأني الخ ...) شروع في وصف مشهد آخر من مشاهد الايوان لم يره بعيني رأسه وانما رآه بعيني خياله وتوهمه ، ذلك أنه تخيل كسرى في مجلس له قد اتخذه في فضاء الإيوان حيث لا تظلهم سقوف ولا كنان . وقد شهدت هذا الاجتماع طبقات مختلفة من رعيته : عظماء المملكة ووفود الأقاليم والندماء والخطايا والقيان وغيرهم ممن انتظمهم هذا الزحام الذي تمثله الشاعر في نفسه ، كأنه مشاهد ملموس . ويحتمل أن يكون رأى صورة في جدران الإيوان تمثل هذا المجلس تمثيلاً رآه بعيني رأسه . لكنه بالطبع ليس حقيقياً ومن ثم جاز له أن يقول فكأني وكأني أي كأني أرى كسرى وقومه بأنفسهم لا برسومهم وصورهم . فتكون أرى بصرية وقد حذف كلمة (حقيقة) التي هي حال من المفعول . ويؤيد هذا المعنى البيت الآتي (وكأن الذي يريد اتباعاً الخ ...) على ما سيأتي في شرح معناه . فهو يقول إني اذا أجهدت نفسي واستنفدت آخر قوة من قوى شعوري وحسي كنت كأني أرى مراتب منسقة درجات درجات وقد تبوأها القوم بحسب منازلهم وأقدارهم : من وزراء كسرى وموابذته وأساورته وعظماء مملكته . والمراتب في قول البحتري أراد بها جمع مرتبة وهي صدر المجلس وتكون المراتب بمعنى مناصب الدولة كما قال الرضي :

ومن عجب صدود الحظ عنا   الى المتعممين على الخزايا
ففاتوا في المراتب والمعالي   وفتنا في الضرائب والسجايا

ثم شرع (أي البحتري) في وصف ما رآه من اجتماع الناس في هذا المجلس خيالاً محضاً أو صوراً مخيلة فقال :

(وكأنّ الوفود ضاحين حسرى : من وقوف خلف الزحام وجلس)

(ضاحين) جمع ضاحي من ضحا يضحو أو من ضحي يضحى إذا برز للشمس ووقعت عليه أشعتها . و (حسرى) جمع حسير وهو الكليل المعيي و (وقوف) جمع واقف و (جلس) بكسر الجيم المجالس . وهو يقع على الواحد والجمع والمؤنث والمذكر . يقول الشاعر إنه حين طاف في أفنية الإيوان وتخلل ساحاته مثّل له الخيال أو أنه رأى رسمًا يمثل جلوس كسرى الى عظماء مملكته في تلك الساحات ، خُيّل اليه أن وفودًا من أقاليم بلاده شهدوا حقيقة ذلك الاجتماع فكان منهم أُلجالس للملك ومنهم من لم يجد محلاً لجلوسه فبقي واقفًا خلف الزحام . وكلهم بارزون للشمس تعبون معيون . وتعبهم الذي تخيّله الشاعر إما بسبب مجيئهم من بلاد بعيدة فيكونون قد أتعبهم المسير والإسراع فيه لئلا يفوتهم شرف شهود هذا الاحتفال . أو أن تعبهم ناشئ عن فرط الزحام مع التعرض لحرارة الشمس . وفي أكثر النسخ (خنس) بالخاء والنون مكان جلس بالجيم واللام . و (جلس) رواية معجم البلدان طبع أوربا . أما (خنس) فهي في النسخ الأخرى . واشتقاقها من خنس إذا تأخر وتنحى . والخانس المتأخر : فيكون المعنى أن رجال الوفود لما لم يجدوا مكانًا يجلسون فيه ظلوا واقفين خلف الزحام . ومنهم رجال تأخروا وتنحّوا عن أولئك الواقفين ، إذ لم يمكنهم أن يبلغوا محل الزحام أيضًا . ويحتمل أن يكون قوله (خنس) من خنس من بين أصحابه اذا استخفى وتوارى ، ويكون المراد بهؤلاء طائفة النساء اللواتي كن مستخفين عن الأنظار وبينهن القيان كما يأتي :

(وكأنّ القيانَ وسطَ المقاصيـــر يُرجّعن بين حُوّ ولُعْس)

لم يقف الخيال بالشاعر عند حد ما رآه في الساحة الكبرى وإنما تخطّى به الى القيان أي المغنيات اللواتي كنّ في المقاصير جمع مقصورة وهي الغرف

ARCHIVE http://archivebeta.sakhrit.com

المقصورة على النساء لا يدخلها غيرهن . فالشاعر رأى بخياله أو بعينه صورةً خبَتْ له القيان في المقاصير وهن يُرجّعن في الغناء أي يُردّدن أصواتهن في حزنهن تفنناً وإبداعاً في الصنعة . ثم وصف الشاعر هؤلاء القيان بالحسن والجمال والقصر من أوصاف حسنهن على وصف الحوّة واللَّعَس فقال : إنهن كنّ (حوّاً) جمع حواء (لُعْساً) جمع لعساء . والحُوّة واللّعَس وكذلك اللّمى ثلاثتها بمعنى واحد : وهو أن يضرب احمرار الشَّفَة الى السواد فإن ذلك من المستملح عند العرب ، ويظهر أن جدتنا الأولى (حواء) كان فيها هذا الضرب من الملاحة فكانت شفتاها ضاربتين الى السواد ولذا سميت (حواء) . وكذلك جدنا الأول آدم (صلوات الله عليه) كان أسمر اللون لأن اشتقاق اسمه من (الأُدْمة) وهي السمرة . أما ان الحُوّة واللّعَس واللّمى بمعنى واحد فدليله قول ذي الرُّمة :

لمياء في شفتيها حُوّةٌ لَعَسٌ وفي اللثات ، وفي أنيابها شَنَب

فهو قد قال عنها انها لمياء أي ذات لَمَى ثم فسّر لنا معنى اللمياء فقال ان في شفتيها وفي لثاتها حوّة وكأنه نظر بعين الغيب الينا والى قصورنا في فهم معاني كلمات لغتنا فأبدل من الحوة كلمة (اللّعَس) تفسيراً لها . أما (الشَّنَب) فهو بردٌ ورقة وماء في الأسنان . وقد جمع أحمد شوقي في معارضته لهذه القصيدة بين الكلمتين أيضاً فقال :

لا تحسّ العيون فوق رُباها غيرَ حُورٍ حُوّ المراشف لُعْس

ومن أنواع البديع نوعٌ يسمى (الأحاجي) وهي من قبيل الألغاز : تعمد الى كلمتين مستقلتين وتسأل مخاطبك على كلمتين مرادفتين لهما بحيث يتألف منهما كلمةٌ واحدة مستقلة في معناها فتقول له مثلاً أحاجيك في (انهض انهض) فتقول (قُمقم) وهو اسم للإناء المعروف . وتقول له أحاجيك في (سار في الليل مدةً) فتقول في الجواب (مسراحين) جمع سرحان بمعنى الذئب . ويسألك عن (اسكت ارجع) فتقول صهباء ، ثم يسألك شعراً :

يا من له حسن لفظ تثني عليه المثاني
ما مثل قول المحاجي أحوى الشفاه جفاني

جوابه (أَلْعَسْقَلاني) وهو اسم ابن حجر المحدّث المشهور فقوله : (أحوى الشفاه) يراد فيه (ألعس) وقوله (جفاني) يراد فيه (قلاني) فإذا جمعتَ بين (ألعس) و (قلاني) تألف منهما اسمٌ واحد مستقلٌ وهو (العسقلاني) . والغرض من هذا البيان إثبات أن الحوَّة واللَّعَس شيء واحد وأن قول البحتري بين (حوّ ولعس) هو من قبيل عطف التفسير . وبناءً على هذا يرد على البحتري اعتراض نحوي أو لغوي ، وهو أن كلمة (بين) لا تضاف إلا الى متعدد وقد وقعت (أي بين) في كلامه مضافةً الى شيء واحد لا متعدد فهو يقول إن تلك القيان هنّ ما بين نساء حوّ لُعس أي سمر الشفاه ثم سكت وكان من المنتظر أن يقول كن بين نساء حو لعس ونساء أُخر حُمر الخدود مثلاً . وقد يقال في الجواب انه ذكر الموصوفات بالحوّة واللعس وسكت عن الباقيات ليذهب الذهن في تعيينهن كل مذهب ، كأنه قال بين حوّ لُعس وبين غيرهن من ذوات الأوصاف المختلفة . هذا وربما كان المعنى الصحيح للبيت غير ما ذكرناه ، وهو أن (بين) هنا ليست لتنويع القيان وتقسيمهن الى لُعس وغير لُعس وانما هي هنا ظرفيـة بمعنى وسط والمراد بالحوّ اللعس نساء القصر كأنهن فالشاعر يقول إن المغنيات كن يرددن أصواتهن في وسط نساء القصر اللواتي كن أظهرُ أوصافهن وأملحها حوّة شفاههن ولعَسها .

(وكأنّ اللقاءَ أولَ من أمْســـس ووشكَ الفراقِ أولَ أمسِ)

مغزى هذا البيت والذي بعده دقيق جداً : وهو منتزع من خيال غاية في السموّ ولطفِ المأخذ : ذلك أن الشاعر لما تمثـل أو رأى كسرى وعظماء مملكته ووفودَ أقاليمه ونساء قصره كأنهم أمامه حقيقةً يرى مراتبهم وأوضاعهم بل كلَّهم وإعياءهم ويسمع قيانهم كما يرى الحو اللعس من نسائهم — تمثّل

ذلك كله قريباً من زمنه الذي هو فيه حتى كأن لقاءهم واجتماع بعضهم لبعض كان أول من أمس أي قبل ثلاثة أيام ثم تفرقوا أول أمس أي قبل يومين .

أما استعمال أمس وأول من أمس فقد أوضحه صاحب لسان العرب بقوله (تقول ما رأيته مذ أمس. فإن لم تره يوماً قبل ذلك قلت ما رأيته مذ أول من أمس . فان لم تره يومين قبل ذلك قلت ما رأيته مذ أول من أول من أمس) . ولكن الظاهر من هذا الكلام أنه لا فرق بين (أول أمس) و (أول من أمس) أما في شعر البحتري فيفهم أنه فرّق بينهما فهو جعل اللقاء والفراق في يومين : (أول أمس) الفراق و (أول من أمس) اللقاء . فأول أمس قبل يوم . وأول من أمس قبل يومين . فهل له دليل من كلامهم ؟

(وكأنّ الذي يريد اتباعاً طامعٌ في لحوقهم صبحَ خمس)

هذا البيت كما قلنا آنفاً يدل على أن الشاعر يريد أنه رأى بعينه صورةً مرسومةً على الجدران تمثل له كسرى وقومه : فهو يرى صورهم بعينه لكن المصوّر كان حاذقاً جداً حتى جعله يتخيل أنه كان يراهم حقيقةً بأجسامهم وأشكالهم وأوضاعهم الطبيعية ، ولذلك كان يقول كأني وكأني . وفي هذا البيت أبدع الشاعر في خياله أيّ إبداع ، فهو يقول إن الذي يراهم مصوّرين أمامه تحدثه نفسه باتباعهم واللحوق بهم . لكن المصوّر أتقن تصوير الأشخاص من حيث القرب والبعد والمسافة فمن ينظر اليهم يظنهم بعيدين عنه مع أنه لو أراد لمسهم بيده لفعل . وقد حدثني صديقنا الشيخ عبد القادر المبارك (رحمه الله) بمناسبة هذا البيت أن مراسح التمثيل تكون عادةً مصدَّرة بستار ينقش عليه رسم شارع مستطيل وتكون على جانبيه الدور والقصور . ومن دقة الصنعة في التصوير يحسب الرائي أن هناك مسافةً حقيقيةً ممتدةً بين الأبنية الشاهقة القائمة على الجانبين مع أنك لو لمست الستار لوقعت يداك على أصباغ منقوشة على سطح مستوي . قال وقد اتفق لي يوماً أن كنت على مرسح من هذه المراسح

في بعض المدارس فتمشَّيتُ نحو الستار وكدتُ أصدمه بجبيني ظاناً أن أمامي منفسحاً للسير . ثم انتبهتُ فجأة للأمر فوقفتُ متعجباً . والحاصل أن مصوّر مجلس كسرى أبدع في تصويره حتى يخيّل للرائي ان الرسم بعيد عنه وأنه اذا أراد اللحوق بالقوم الذين فيه لا يطمع أن يبلغهم إلا في صبيحة اليوم الخامس من سيره نحوهم .

* * *

(عُمِرَتْ للسرور دَهْراً فصارَتْ للتعزّي رباعهم والتأسّي)

رجع الشاعر في هذا البيت الى صحوه من خياله ، واستأنف الكلام على الإيوان نفسه . وضمير (عُمرت) يرجع الى المقاصير المذكورة قبيل البيت أو الى (الحِلَل) أي المنازل المذكورة قبل أبيات وعَمْرُ المنازل في كلام البلغاء أكثر ما يستعمل بمعنى سكناها ، واقامة أهلها فيها . عَمَروا المكان بالتخفيف والتشديد جعلوه عامراً آهلاً بحلولهم فيه . وهذا هو المراد بقوله (عُمِرَتْ) مجهولاً بالتخفيف وبالتشديد : أي إن منازل كسرى وربوع إيوانه كانت مسكونة آهلة بهم زمناً طويلاً ؛ أما اليوم فقد تغيرت ودَرَسَت وتحول الغرض من بنائها : فبعد أن كانت تلك الربوع للسرور واللهو أصبحت للتعزّي والتأسّي أي للعظة والاعتبار . يراها المُصاب المحزون فيتسلّى ويتعزّى ويتخذ من كسرى وقومه الذين رماهم الدهر بكلكله أسوةً لنفسه فيصبر ويتجلّد . والرباع كالربوع جمع رَبْع بمعنى الدار والمنزل يَنْزل فيه القوم أيام الربيع . ثم استُعمل في المنزل مُطلقاً نزلوه في الربيع أو في غير الربيع . واستعمال (عمر المكان) بمعنى أنهم جعلوه آهلاً بحلولهم هو الأغلب في كلام البلغاء أما في شعر البحتري هذا فيحتمل بل هو الأقرب تناولاً أن يكون المراد بقوله (عُمِرَتْ) العمارة التي هي البناء بالحجر والطين . أي أن تلك المنازل والربوع بُنِيَتْ وشُيِّدَتْ بقصد اللهو واغتنام فرص السرور ولكنها أصبحت الآن خراباً يَباباً للاتعاظ والاعتبار .

(فلها أن أعينها بدموع موقفات على الصبابة حُبُس)

يقول الشاعر: أما وقد زرتُ منازل كسرى وتسلّيت برؤيتها عن مصيبتي بمقتل (المتوكل) فقد أصبح من حقها عليّ أن أعينها فأذرفَ دموعي عليها . وأجعلها (أي أجعل الدموع) وقفاً محبوسةً على الصبابة والأسى . وذكر الإعانة بالدمع كثيرٌ في أشعار المتأخرين . وكان العرب ونساؤهم يعبّرون عنه بالاسعاد وهو الإعانة والمساعدة على الندب والبكاء على الميت . ومما قاله أبوتمام في الاعانة والاسعاد :

ما في وقوفك ساعةً من باس تقضي ذمام الأربُع الأدراس
فلعل عينك أن تُعين بمائها والدمعُ منه خاذلٌ ومواسي

ومعنى الصبابة الشوق أو أرق الشوق . ويُريد بها هنا لوعة الأسى التي لذّعت قلبه برؤية هذه الآثار . ووَقَفَ وحَبَسَ بمعنى واحد يقال وقفتُ الدابةَ وحبستُها ، ووقفتُ الدارَ في سبيل الله وحبستُها ونحن نسمي الأوقاف في بلادنا أوقافاً أما أهل المغرب فيسمونها أحباساً . وقول البحتري (مُوقفات) اسم مفعول من (أوقف) بالهمز وليس بفصيح بل الفصيح في الاستعمال (وَقَفَ) الثلاثي فكان الفصيح أن يقول هنا (مَوقُوفات) . و (حُبُس) بضمتين جمع حبيس بمعنى محبوس .

(يتبع)

ARCHIVE http://archivebeta.sakhrit.com

التكية السليمانية في دمشق

- ٢ -

وجميع أراضي قرية داريا الكبرى من أعمال اقليم الداراني تابع الشام تشتمل على أراضي معتملات ومعطلات وأقاصي وأداني وأشجار ودمنة عامرة ووهاد وتلال ومفارة [١] وبساتين ومنافع وحقول المعلومة الحدود عند الأهالي والجيران والمبينة الحقوق لدى كل ذي وقوف وعرفان كل قاطن بتلك الأراضي والأماكن بجميع حدودها وحقوقها ومرافقها ومنافعها وتوابعها ولواحقها سهولها وعوامرها ومطمئنتها وغوامرها ومنابعها وسواقيها وسوافلها وعواليها وجبالها وقلالها ووهادها وتلالها ومخنشها [٢] وغياضها ومروجها ورياضها ومصيفها ومقتصبها ومشتاها ومحتطبها وجميع حقه هو للأوقاف المذكورة المرصدة الموضحة المعمورة ذكرت أم لم تذكر، حررت أو لم تحرر وقفاً شرعياً وتأبيداً صحيحاً وارصاداً مرعياً وتخليداً صريحاً.

ولقد تبين ذلك واتضح، ووضح شأنه وصح، حيث أقرّ واعترف جناب المقر الأشرف العالي المدرار درهم الموالي زين الفخر والفخار رهين القدر والوقار ملاء الاقبال انسى [٣] السناء والاقبال الجلي التمكين الجليل المكين ليث غابة الصولة المدبر أمور جمهور الدولة ضيغم غيضة الوغاء يفترس ممن بغى صدر العزة الغراء ركن السلطنة الزهراء بزابيز (؟) الاسارة آصف صف الوزارة المشير الأكرم الوزير الأعظم رستم باشا [٤] وفقه الله لما يشاء وأدام أيامه وأبقاه عوناً وغوثاً للملة الباهرة الوكيل باقرار المشروع بالوقف والرجوع الآتي ذكر المجموع المتحقق

---

(١) كذا ولعلها : ومنارة أو ومفازة . (٢) لعلها : مخنشها . (٣) صوابها : اسنى .

(٣) تصدر الوزارة في زمن السلطان سليمان مرتين مشهود له بالدراية والاقتدار على زيادة أموال الدولة . توفي عام ٩٦٨ هـ ودفن في جامع شهزاده وله خيرات ومبرات .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وكالته بالعموم والخصوص على موجب الشرع المنصوص من جانب السلطان الواقف خادم خير المعاكف ظل الله الأعلى الأعلم على وفود وقود (؟) خليفة العالم وكل الله اليه نظام السداد وكل أمر كما يراد مدى الاحماد[1] وأمد الأسناد بأن السلطان الواقف الذارف العوارف مد ظله الوارف وقف جميع ما ذكر وعين ان يصرف ما يتحصل من أصول الأوقاف الموصوفة من القرى والمزارع المرصدة الموقوفة مع ما يتحصل منها من ساير حاصلها المتعارف في أفكار ذلك الطرف في مصالح الجامع الشريف المشنف بأشرف تشنيف والعمارة العامرة المتبع ذكرها السابغ نعمها وشكرها . وشرط أن يرتب متول متخل عن الخيانة متعال عن الجنابة ، متحل بحلى العفاف والأمانة ، مطرز بطراز الأمانة ، يشغل الأوقاف على كمال الديانة ، ويشتغل بتنظيم أحوالها باعتناء بأعباء استغلالها ويستقل في ...[2] غلالها واصلاح اختلالها لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصيها[3] ، ولا يدع حقيرة ولا خطيرة إلا أبداها يصون صلة ضميره عن عايد الحرام ، ويتحاشى عن آثام الأنام ، يحفظ الزوايد وفضلة العوايد لإصلاح الرقبات ومرمة الخربات ، لا يواني في خدمة ، وتفريغ ذمته ، عما في عهدته ، ويعطى له كل يوم خمسين درهماً . وان يرتب كاتب شهيد ، لا ينقص ما أتمن ولا يزيد ، يكتب كما علمه الله غير ساه ولا عاب[4] ولا لاه ، في أنواع حواصل الوقف كما وكيفاً ، ولا يرى على الورى في ذلك حيفاً ، ويضبط ما أصرف في مصارف الوقف ووظائفه ، ويوزع على كل خادم وظائفه وتنظيمه في سمط الجمع والحساب ، على نمط السداد والصواب ، ويعطى له كل يوم خمسة عشر درهماً .

وان يرتب على الأوقاف الموقوفة بقضاء الشام ، حرس الله تعالى قُطانها عن الشآم والسآم .

---

(١) صوابها : الاعمار او الآماد .

(٢) بياض يتسع لكلمة واحدة ولعلها : تحصيل او جباية .

(٣) نكتبها اليوم : أحصاها (٤) لعلها : عابث .

ARCHIVE http://archivebeta.sakhrit.com

وان يرتب جاب ليجبي مال الوقف وغلاله ويسير ساعياً وهاده وتلاله ، متماشياً على جادة الاستقامة متحاشياً عما يؤديه الى الندامة ، ويعطى له كل يوم ستة دراهم .

وان يرتب على الأوقاف الكائنة في قضاء بعلبك وناحية كرك جاب آخر أمين ، وثيق لا يمين ، يسعى في استحصال الغلال أصيلاً ، ويجد في مصالحه بكرة وأصيلا ، يجمع حقوق الوقف ومغاله ، لا خائناً له ولا عاله ، ويعطى له كل يوم ستة دراهم . وأشرط السلطان ذو السلطان الواقف العلي الشان الجلي البرهان لا زال ذكران ذكراه الباهر عن خطبة خطبة السلطنة الزهراء أن يرتب بالجامع الشريف ، خطيب متدين عريف ، ورع مصقع فصيح ، بارع جهوري نصيح ، عالم بمعالم خطاب الخطابة ، يتلي ويرعى كتابه ، يبين للناس ما نزل اليهم ، ويتحرى طباعهم لما فرض عليهم ، يخطب يوم الجمعة في الجُمَع والعيد في الأعياد ، على الدين المشروع المعتاد ، ويدفع اليه كل يوم عشرة دراهم .

وأن يرتب امامان من أهل الصلاح ، يتفرس منهما سيما الفلاح ، مجودان مجيدان يرتلان كلام المجيد بايمان ، دينان ، تقيان ، عن مثالب المناهي نقيان نعمانيا المذهب ، سنيا الاعتقاد ، ثابتا القدم على سبيل سنن الرشاد ، عالمان بأركان الصلوة وواجباتها وسننها وآدابها ومستحباتها ، يؤمان الجماعة بالجامع المعمور ، ويقيمان خدمته على الوجه المبرور ، يحضر كل واحد منهما بنوبة كل وقت من الصلوات الخمس المكتوبة ، والتراويح المسنونة المندوبة ، ويدفع الى كل واحد منهما كل يوم سبعة دراهم .

وان يرتب ثمانية مؤذنين ليقيموا الأذان والتحميد ويؤدوا إقامة الصلوات يستلذ الصماخ في صوتهم ، دينين متورعين ، متناوبين متوزعين ، ويعطى لكل واحد منهم كل يوم خمسة دراهم .

وان يرتب موقت ماهر في علم الميقات يوقت للمصلين مواقيت الصلوات ، ترصد بمرصد المرصاد ، ويكون ربعه أنس الأرصاد ، لا يرقى في درجة الا وفقها ، ولا ينال دقيقة الا حققها ، ويعطى له كل يوم خمسة دراهم .

وا[ن] يقام مرقي يقيم الخطيب من قاعته ، ويدله على المنبر من ساعته ، آخذاً سيف السنة بيده ، ويرقي الخطيب الى معضده ، وينقل حديث الالفات بألذ الأصوات ، ويعطى له كل يوم درهم واحد .

وان يرتب بواب وفراش وكناس وشعال ، يتبكر بفتح الباب وتغليقه بالغدو والآصال ، ويفرش الفرش ، ويبسط البسط ، أشرف فرش ، وأحسن بسط ، ويكنس الجامع كما دعى اليه داعي الاستدعاء ، ويشعل المشاعل حين يغشى ، ويوقد القناديل بالليل اذا يغشى ، يتحفظ على الفرش والبسط تحفظاً ، ويتيقظ في تنظيف المشاعل وحمايتها تيقظاً ، ويفتح في الصدد بعد ساعة الاداء وينفذ ، ويعطى لمن يتعهد ذلك كل يوم خمسة دراهم .

وان يرتب مجمر يبخر في الجمع والأوقات المعتادة حسبما كانت عليه العادة يروح الروح . . . (١) ويعطر مشام الانس والجن ويعطى له كل يوم درهمان .

وان يرتب سبعة قراء حفاظ ، مجودين بأجود ترتيل واحتفاظ ، يكون أجودهم تجويداً وترتيلاً شيخاً على الباقين ، يرتلون ترتيلاً جليلاً بفتح بعشر من كلام الله الفتاح ، عاصماً لهم عن السهو نافعاً بالافتتاح ، ويقرأ كل منهم عشراً من القرآن العظيم والفرقان المجيد الكريم ، ويعطى للشيخ الرئيس كل يوم خمسة دراهم ، ويعطى لكل من الباقين كل يوم درهمان .

وان يرتب معرّف يعرف نعم المقتضى الانعام ، ويعلم معالم الشكر على الأنعام ، ويدعو لبقاء السلطان الجليل والخاقان النبيل ، ويهدي ثواب ما تيسر من القرآن ، الى أرواح أنبياء الهادي المستعان ، لا سيما نبينا محمد المصطفى عليه وعليهم سلام من اصطفى . ويعطى له كل يوم درهمان .

وان يرتب ثلاثون رجلاً من القراء يقرأ كل واحد منهم في الجامع الشريف والمسجد اللطيف بكرة النهار بكل يوم جزءاً كريماً من القرآن المجيد ، على الترتيل

---

(١) بياض بقدر الكلمتين .

والتجويد ، ويكون واحد منهم شيخاً لهم ، ويعطى له كل يوم أربعة دراهم ، ولغيره كل واحد منهم درهمان .

وان يرتب رجل يفرق الأجزاء الكريمة عند التلاوة في الوقت المعهود ويعطى له كل يوم درهمان .

وان يرتب رجل يراقب من حضر ومن غاب من القراء المذكورين ويضع النقطة إذا لم يحضر واحد منهم ، ثم يعلم المتولي في رأس الشهر عند التفريق على الموظفين ، ويعطى له كل يوم درهمان .

وان يرتب رجلان يقرأ كل واحد منهما على الكرسي عشراً من القرآن العظيم أحدهما بعد صلوة الظهر والآخر بعد صلوة العصر ، ويعطى لكل واحد منهما كل يوم اربعة دراهم .

وان يرتب واعظ ليعلم الناس الدين ويحقق لهم اليقين في ثلاثة أيام من الأسبوع منها الجمعة ويعطى له كل يوم عشرة دراهم .

وان يرتب قارئ محود من حسان الأصوات ، اذا قرأ القرآن مالت اليه المسامع للانصات ، يقرأ كل يوم بعد صلاة الصبح سورة (١) يس ، لتنتشر بركاتها بين الحاضرين المستمعين ، ويدعو بعدها بالدعوة الصالحة الجامعة لازدياد درجات واقفه العلي الشان ، قوي البرهان ، كان الله معه ، ويعطى له كل يوم ثلاثة دراهم .

وان يرتب قارئ محود يحسن التجويد والترتيل يرتل كلام الله المجيد ممن يميل الى حسن صوته وتلاوته المستمعون ، يقرأ كل يوم بعد صلاة العصر سورة (١) عمّ يتساءلون ، ويدعو بعده للواقف الواقف على مواقف الخيرات ويستنزل له من حضرة القدس مزيد البركات . ويعطى له كل يوم ثلاثة دراهم .

وان يرتب رجل موصوف بالأمانة ، معروف بحسن الديانة لحفظ المصاحف الشريفة الموضوعة هنالك من المواضع الحنيفة ، ويعطى له كل يوم درهمان .

(١) في الأصل : صورة

وان يرتب كناس وفراش محترم يكنسه ويفرشه عند الحاجة على الوجه المحترم ويعطى له كل يوم ثلاثة دراهم .

وان يرتب بواب بالباب الشرقي يرصد ويكنس الاصطبل الشرقي على النهج السديد ، وبواب آخر بالباب الغربي قائم بخدمته ويكنس الاصطبل الغربي لدى حاجته ، وعليهما مؤنة حمل زبل الاصطبلين الى المزبلة . ويعطى لكل منهما كل يوم خمسة دراهم .

وشرط السلطان الجليل والخاقان النبيل الواقف المشار اليه لا زال بنياناً من المنان مشاراً اليه وما برحت عمارة العالم عامرة بوجوده ، منعمة برحب نواله وجوده ، أن يرتب فراش ينزل المسافرين والضيفان النازلين في منازلهم حسبما شرطه الواقف الخطير ، ويكرمهم كما رسمه رسول الله الكريم القدير ، ولا يهتك أستار أعراضهم لدى الاضافة ، ويهتم في إحضار النزيل وأكل الضيافة ، ولا يتوانى في خدمته ، ويهتم اهتماماً ، ويقوم برعايتهم بالأدب قياماً ، ويعطى له كل يوم خمسة دراهم .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وأن يرتب شيخ ينظر في طعام العمارة المعد للمستحقين ويذوقه ويتعرف استواءه وطعمه واعتدال أجزائه حسبما يروقه ويتفرغ على نظر تعرفه ومعرفته علماً وحكمة غرفه ويكيفيه تفرقه [1] على أهل الفقر وفرقته كل غدوة وعشا ما بداه رطب وخشن ، ويعطى له كل يوم ستة دراهم .

وان يرتب نقيبان عتيدان رقيبان دينان تقيان عن طمع قطم الحق ، أحدهما يوزع الخبز والآخر اللحم ، على المستحقين حسبما بان استحقاقهم المبين ، ويكون وظيفة كل منهما ستة دراهم .

وان يرتب أربعة أساتذة لرسم طبخ الطعام المعد لإطعام أولي الاستطعام ، مهرة في تسوية أجزائه وامتزاجه واختلاطه وحسن انضاجه متناوبين مثنى على السنن الأسنى ، ويعطى لكل أستاذ منهم كل يوم سبعة دراهم .

(١) لعلها : وبكيفية تفرقته .

وان يرتب ستة تلاميذ لرسم خدمة الأساتذه باعداد العدد ، وامدادهم في الطبخ بكل مدد ، بحسن التعاون على مراسم الطبخ من غير تهاون ، مقتدين لهم في التناوب ونوب التعاقب ، ويكنس المطبخ من يتعهد الطبخ ولا مساهي ، ويعطى لكل تلميذ منهم كل يوم أربعة دراهم .

وان يرتب خباز ماهر أستاذ ، قادر على تعديل العجين واخبازه ، واعطائه حسن تمييزه وامتيازه ، ويعطى له كل يوم سبعة دراهم .

وان يرتب أربعة تلاميذ لخدمة خبز الخبز وامداد الخباز ، لنخل الدقيق وعجين الخمير وتقطيعه عند الاعواز ، ويعطى لكل تلميذ منهم كل يوم خمسة دراهم .

وأن يرتب وكيل خرج للعمارة يشتري مهماتها في ابانها ، ويدخر حوائج الطعام في اوانها ، لا يتوانى ولا يتكاسل ، فان شوهد[1] الجهد أحلى من عسل الكسل ، يعطى له كل يوم ستة دراهم .

وان يرتب رجلان لرسم حمل الصحون المشحونة ، بألوان أطعمة ملونة ، منظمة كلآل مكنونة ، الى بيوت الضيافة وروادها في أماكنها واعادتها الى مخازنها ، ويعطى لكل منهما كل يوم درهمان .

وان يرتب ثلاثة رجال لحمل الطاسات المحشوة بالطعام الى فقراء الأنام الحاضرين بها غدواً وعشياً ، ويعطى لكل منهم كل يوم درهمان .

وان يرتب رجل لغسل أواني بيوت الضيافة ، وتنظيف مواعين دور الضيافة ، ويعطى له كل يوم درهمان .

وثلاثة رجال لغسل تلك الطاسات ونظيرها بتقبيرها وتنقيرها ، ويعطى لكل منهم كل يوم درهمان .

ورجل لتمويه الأواني والمواعين وتبييضها إذا الجأت التحسين ، ويعطى له كل يوم أربعة دراهم .

---

(١) لعلها : شري أي حنظل .

ودقاق لحنطة يدقها كما يحتاج اليه ، ويتوقف حسن طبخها عليه ، ويعطى له كل يوم خمسة دراهم .

وخازن حفيظ أمين ، وثيق مكين ، يتعهد حفظ ما في مخزن العمارة متجانباً عوز الطمع وعاره ، ويعطى له كل يوم ستة دراهم .

وتلميذ للخازن يعطى له كل يوم درهمان .

وحمال يحمل اللحم الى محله بالعمارة المعمورة ، ويؤدي خدمته على طريقة الامان المبرورة ، ويعطى له كل يوم أربعة دراهم .

واربعة نفر لتنقية الحنطة والأرز حسبما تستريح أسنان الطاعم عند صدمة دقاق الحجارة عند تناول المطاعم ، ويعطى لكل منهم كل يوم درهمان .

وبوابان يقومان بأبواب العمارة والمآكل يكتنسانها غدواً وعشياً ، ويعطى لكل منهما أربعة دراهم .

وخازن حفيظ فظ غليظ أمين غير غدار ، يصرف المخزون من الحنطة بالأنبار ، واتخذ من الحطب بالمحاطب عند الحاجة من غير نصب ، ويعطى له كل يوم اربعة دراهم .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وعين الواقف الشامل الاحسان ان لكل قاص ودان أن يطبخ كل غدوة للأضياف المسافرين الأرز المفلفل والمرق الحامض أحسن تعيين ، وعين له سبعة عشر مناً من الأرز النقي ، وعين أن يطبخ لهم كل عشي الأرز المفلفل والحلو المزعفر ، وأعد لها عشرين مناً من الأرز الصافي وللأطعمة المعدة المزبورة بكرة وأصيلاً عشرة مناً من سمن البقرات السمان . وعين الواقف الواجب الاحترام محيي سنة أملح الأنام أمده الله برعايته ، ونظر اليه بعين عنايته ، لمزعفر المعد للضيفان من العسل المصفى ستة أمنان ، وثمنا لملح الأطعمة والخبز من الملح ، وثمن الحمص والتوابل ومحسنات المرق الحامض كل يوم عشرين درهماً فضياً ، ولخبز المسافرين كل يوم خمسين مناً من الدقيق الطيب على التحقيق لطبخ الأطعمة المذكورة كل يوم قنطاراً من الحطب يجلب من كل حدب ، ولخيل المسافرين كل يوم أربعة وعشرين كيلاً شعيراً بالكيل الشامي ، ويوزع

كل من الأطعمة صباحاً ومساءً غدواً وعشياً على حساب أربعة وعشرين صحناً موزعاً على أربعة وعشرين سماطاً لكل من بيوت الضيفان من الأسمطة سفرتان وعلى كل سفرة من الجلاس خمسة أنفس ، ويضاف الى كل سفرة من الطعام المعد للفقراء الطعام الآتي تفصيله : صحن واحد تشتمل كل سفرة على صحن لحم وثلاثة ألوان من الطعام ويعطى لكل سفرة عشرة أخباز .

وعين السلطان الواقف النبيه المنوه شأنه بأنوه نوبه ، لا زالت نعم انعامه دايمة على العباد الى ميعاد المعاد والتناد ، لطعام عامة الفقراء مخصوصاً ، معيناً منصوصاً ، من لحم الضأن المبين الشأن ، كل يوم مائة منّ وسبعة وثلاثين منّاً ونصف منّ ، وشرط أن يطبخ نصفها بكرة ونصفها الباقي عشية . وشرط السلطان مد الله ظلال اجلاله على مستمد نوال أفضاله أن يطبخ في ليالي الجمع وليالي رمضان المبارك الشريف ويومي العيدين وليلة البراءة المنيفة الأرز المفلفل والحلو المزعفر ، وعين لكل مرة ثلاثة وتسعين منّاً من الأرز النقي ، وللطعامين المرقومين لكل مرة ستة وعشرين منّاً وثلاثة أداني [1] من السمن البقري ، وللمزعفر منها لكل نوبة ثمانية وعشرون منّاً من العسل الحرى . وعين عين الدولة الباهرة ، زين السلطنة الزاهرة ، السلطان المندوب لله ، مبتغياً رضاه ، مرتجياً مزيد آلائه لا زال جامع وجوده الرشيد مستنيراً بأنوار التأبيد لثمن استماع [2] الكافور والزيت والحصر للجامع الشريف ، وبيوت الضيافة ، والمطبخ المنيف ، والمخزن العامر ، في كل سنة عشرة آلاف درهم .

ثم شرط الواقف الجلي البرهان أسبغ الله عليه سوابغ نعمه وهناه بما هيأ له من هناء كرمه لطعام الضيفان خاصة ، على العموم ناصة ، كل يوم من لحم الضأن الطري السمين الشان اثنين وسبعين منّاً من الله المنان عليه منا ، يطبخ نصفه ستة وثلاثون منّاً صباحاً يوزع على أربعة وعشرين صحناً ، ونصفه الباقي يطبخ رواحاً ، يوزع أيضاً على ما صرحنا .

(١) لعلها : اواقي . (٢) لعلها : ابتياع .

وعيّن ، تقبل الله له عمله ، وأظفره ما أمله ، لأنواع الأطعمة والخبز كل يوم من الملح النقي اثني عشرة منّاً ونصف منّ ومن الحمص ثمانية أمنان ونصف من ، وثمن التوابل واللبن والحصرم والفلفل وساير محسنات طعام الفقراء كل يوم ثلاثين درهماً فضة ، وسبعة قناطير حطب .

وشرط السلطان أيده الله بر بالبر بره ، وكثر بالخير خيره ودره ، لخبز الفقرآء ما يأتي : خمسة وسبعين منّاً دقيق خالص نقي في التدقيق . وشرط السلطان أيده الله ونصره وقواه وأظفره أن يطعم بالمأكل كل غدوة ثمانمائة فقير عابل وعشياً كذلك بلا نهر عابل ، ويقطع خمير الخبز المعد للفقراء بعد ما عجن واستعد الفا خبز ويقطع اللحم المطبوخ على أن يكون كل قطعة ثمانين درهماً وزيتا ويقطع الخمير على أن يستقر بعد الاختيار كل كثرة على مائة درهم وزنه غير محترق ولا ني ويوزع المرق المعد سداً للرمق صباحاً ورواحاً على خمسمائة طاس ، لكل مائة ثمانية أمنان من الأرز وكيل من القمح مع ما لزمه ، ويعطى لكل اثنين من فقراء الناس طاس ، ويعطى لكل فقير خبز من غير تقتير .

ARCHIVE
http://archivebeta.Sakhrit.com

وشرط السلطان الباني للخير ابتغاء لفضل الله خير شكر لشكور سعيه في المبرات ، ومر عالم السر بالمسرات أن يفرز من غلال وقفه المسطور ومحصول برصده المبرور كل يوم مائة درهم فضي على الوجه المذكور المرضي ، ويصرف للعلماء العاملين المنقطعين المنجذبين اطعاماً في اقتناء الكمالات الانسية ، وحرصاً على اقتناص الملكات القدسية . ، تجرداً عن رياسة الرياسة الفانية ، ورغبة في ذات اللذات الباقية الى طريقة التجريد للترقي الى مراقي التوحيد امداداتهم بنظم معايشهم وبحسن انتعاشهم في معاشهم ويوجه الى كل من الموصوفين المتجذبين [1] المسغوبين كل يوم قدر يمده على قضاء أرده من درهمين الى سبعة دراهم حسب استحقاقهم ومراتب طباقهم لا يزاد ولا ينقص مما نطق به الكتاب ونص ، فمن

(١) لعلها : المنجذبين كما سبق اعلاه .

أخل بخدمته بطرف فتور وتوان أخذه الله بنكال الهون والهوان ، وما يأخذه من الأجر يكون سحتاً وحراماً ، ويبوء مبوأ دار البوار مقاما .

وشرط جعل الله قيام خيام اقباله على عمدان الخلود ، وربط أطناب سرادقات اجلاله بأوتاد أبد الأبود ، أن يكون جملة أمور الأوقاف ومصالحها منوطة بصائب رأيه وصالحها بحيث يتصرف فيه كيف يتراءى لرأيه النبيه من نقص وظائفها ، وزيادة مصارفها ، وبدلها وإعادتها ونقصها واجارتها ، وعزل أصحابها ، ويستبد في تبديل الشرايط ويستأثر في تحويل الضوابط الى ما هو أحسن وأنفع وأعجب وأبدع مرة بعد أخرى على النهج الأخروي .

وشرط الواقف الجليل الشان الجلي البرهان لا زال منظوراً بنظر عين الله التي لا تنام وبلغه عزاً لا يحام حوله ولا يرام ، أن يكون كل من يتولى قضاء دمشق الشام من كرام العلماء الأعلام ناظراً على أوقافه المزبورة على الوتيرة المبرورة ، بحيث لا يحل جليل من مراسمها عن إحاطة علمه ، ولا يدق دقيق من معالمها عن احاطة فهمه ، ويحاسب متعاطي محصولها في فروعها وأصولها دخولاً وخروجاً من كل الأرجاء تعييناً مرضياً وشرطاً مرعياً . وأقربا أنه(١) :

اخرج الأوقاف المذكورة عن ملكه ، ونقض ربقة سلكه ، وعزل سلطان تصرفه عن حاطته ، ولم يتمكن سطوة تمكنه من احاطته ، وسلَّم جميع المزارع والقرى المرقومة بأمرها لا لفخر المفاخر والأكارم ، مستجمع المفاخر والمكارم ، عمدة من عليه الاعتماد ، معدن شيم البر والسداد ، عين أعيان الخزانة الخاقانية ، أسعد السعاد في نماء الأموال السلطانية ، المشرف بالمجد الجلي ، المشنف بالقدر العلي ، مولا محمد چلبي الدفتري الشهير بابن شريفه أفاض الله عليه من فضله الشريف ، بعد ما نصبه نصبة للتولية تخليه لأمر الوقف وتخليه الى استثبات أمر

---

(١) صوابه : وأقر بأنه .

التسجيل والاستتباب لحكم التسجيل . وقد تسلمها من الواقف الرفيع القدر المنيع الصدر سلطان سلاطين الانسان انسان عين العدل والاحسان سلمه الله السلام ومد ظله على أمد المدد أشرف ظله تسليماً خاوياً عن جماح الموانع ازمة رمتها ونسلماً حاوياً لصحاح الشرايط بحجة جملتها اقراراً صريحاً ، واعترافاً صحيحاً ، مصادقاً لتصديق الحقيق بالاعتداد من قبل المتولي المشار اليه المعان في جميع ما نظم في سمط الرق المنشور ، من أمور الوقف المبرور المشكور ، فلما انتظم نظام تمامه واشق [1] نسق اختتامه بحسن اهتمامه ، وانتهى ما خطته أقلام المقال ، وآل حال الوقف الى هذا المآل ، أراد الوكيل الجليل المشار اليه ، لا زال ببنان الأعيان مشاراً اليه ، أجود ارادة رايد راد جادة الاجادة أن يرجع من جهة الواقف المزبور ومحرز البر المبرور مسترداً اياها عن المتولي المتحلي المستخلي مستبداً بنقض ما أبرمه الواقف وأبده وبفسخ ما أحكمه وشاده وشيده معتنياً به ، سجل ما عقده وسد باب ما سدده عانيا نظم الأوقاف : مزارعها وقراها ، بأمر رقيها وربقة عراها ، في سلك ملك المالك ، على أسلم المالك ، فتخاصما وتنازعا ، وتحاكما وترافعا ، الى المولى الفضل المولى الكامل الخير المجد مجير المتشرع النحرير النجيب في كل تورع محق حق الطريقة الطريفة ، رافع علم العلم والشريعة الشريفة ، الناطق بالصواب الصدر المصدر أعلى الكتاب بتوقيعه الشريف المستطاب أدامه الله مدى الأحقاب ، فشرع في استرداد ما بيد المتولي من الأوقاف الموقوفة على الوتيرة الموصوفة ، مستنداً بعد لزومها بخصوصها وعمومها على قول المجتهد الهمام ، القرم القمقام ، الركن الراسخ ، العلم الشامخ ، ذي السناء الشارخ الحيز الجلي الأشم ، الحبر اللحي [2]

---

(١) صوابها : واتسق .

(٢) لعلها : البحر اللجي .

الخضم ، الجليل الضخم النبيه الأعلم ، رافع مورد الغموض عن حدود عرائس التنزيل على حدود الأخدود ، المجدود المعبود ، النبيل سراج الأمة ، تاج الأئمة ، عنوان ديوان السداد ، سلطان سرابر الاجتهاد الهمام الأكرم ، الامام الأعظم أبي حنيفة النعمان حفه الله تعالى بنعيم الرضوان .

نظم :

ان المذاهب جلها وأجلهـا يعزى الى البحر الخضم الكوفي
هذب به نفسا وخذه مذهبا اذ من قضاه كفاه آخر كوفي

فعارضها المتولي المزبور اعراضاً على الوجه المبرور بأن وقفية تلك المزارع والقرى حسبما قصه نص الكتاب وأقر وان لم تكن لازمة مقدمة عند أعظم أئمة الأمة تاب التواب عليه ، وأحسن بالمغفرة اليه ، لكنها عند المجتهد الأكرم الهمام الطمطام الامام ابي يوسف تلزم ، بقول الواقف : وقفت ، وعند المجتهد الامام القرم القمقام الامام محمد رحمها الله الصمد يلزم بالتسليم الى المتولي على ما وضعت فطالب المتولي الحاكم بحكم نص الكتاب النظر في أمر الوقف والحكم بلزومه كما يستطاب على منطوق قولها السديد ، وموجب مذهبها الرشيد ، فنظر في ذلك نظراً أنيقا وتدبر في الأمر تدبراً وثيقا ، وشاهد في يد المتولي برهاناً جليا ، وغاية دليله سلطاناً عليا ، فرأى رأيه الصائب ، وبدا لنظره الثاقب ، أن تمهيد أركان الخير وتشييد مباني الوقف هو الأوفق لا غير وان حسنة مجلبة الحسنى ، وترجيح جانب التقرب وسيلة الفوز الأسنى ، فحكم بصحة الوقف ولزومه ، وصحة شرايطه ورسومه ، وقضى بذلك بخصوصه وعمومه ، حكماً محكماً ، وقضاء مبرماً ، مستوفياً ما يجب في الحكم رعايته حسبما عرجت اليه دراية الفرع وروايته ، فصارت جملة ما وقف على ما وقف عليه ، ووصف فيه وصفاً ، ووقفاً لازماً مستجلاً منيراً ، لا ينهدم قواعده ، ولا يتصلى مقاعده ، ولا تغير شرايطه ، ولا ينخرط في سلك التحريف خرايطه ، ولا يحل لأحد ممن يؤمن بالله واليوم الآخر من سلطان

أو وزير أو أمير أو قاض أو وارث غايب أو حاضر تغيير هذا الوقف المرفوع السقف عن نسقه ، المحرر المقدر بعدما تحرر وتقرر ، فالذي يتعرض لتحويله ويسعى في تبديله ويبتغي نقض عراه ويتبع في ذلك هواه ويجنح الى جناح تغييره ، ويطمع في إبطاله بتزويره ، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، وليتبوأ مقعده ومبواه [1] من سجن سجين وليتجرع ما لا يسيغه من غسلين .

فمن بدله بعد ما سمعه فانما اثمه على الذين يبدلونه ، إن الله سميع عليم . واجر الواقف على الحي الكريم ، ووقع الاشهاد والتحرير على النمط المنظوم في سمط التقرير في سابع الشهور شهر الله الفرد الأصم رجب المرجب لسنة أربع وستين وتسمائة ، من هجرة من بعث الى كل فئة .

جعفر الحسني

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(١) لعلها : ومثواه .

أبو الفتح بن جني

وأثره في اللغة العربية

عصره ، مكانته العلمية ، آثاره

- ٧ -

آراء ابن جني في العربية

نظرياته الخاصة ومذاهبه التي انفرد بها

أحب الامام أبو الفتح بن جني اللغة العربية وأغرم بها حباً وغراماً عجيبين ولا غرو فان ذلك الامام المصنف المرهف الحس الذي آتاه الله عقلاً كبيراً ، وعلماً واسعاً ، وملكة عجيبة قد اطلع على أسرار هذه اللغة العربية الشريفة فأحبها الى درجة التدله بها وبأسرارها ، وصنف الكتب في تبيين غرائبها وكوامن دررها ، وتعداد فضائلها ، يقول في مقدمة كتابه النفيس (الخصائص) وهو يهدي الكتاب الى الأمير بهاء الدولة بن بويه : «هذا أطال الله بقاء مولانا الملك السيد المنصور بهاء الدولة ... كتاب لم أزل على فارط الحال وتقادم الوقت ملاحظاً له عاكفاً الفكر عليه ، منجذب الرأي والروابة اليه ، واداً أن أجد مهملاً أصله به ، وخللاً أرتقه بعمله ... هذا مع إعظامي له واعتصامي بالأسباب المتناطة به واعتقادي فيه انه من أشرف ما صنف في علم العرب ، وأذهبه في طريق القياس والنظر ... وأجمعه للأدلة على ما أودعته هذه اللغة الشريفة من خصائص الحكمة ، ونيطت به من علائق الاتقان والصنعة» [1] .

(١) الخصائص الطبعة الأولى ١/٢ ، ٣

ويقول أيضاً : « هذا أمر قدمناه امام القول على الفرق بين (الكلام) و (القول) ليرى منه غور هذه اللغة الشريفة الكريمة اللطيفة ، ويعجب من وسيع مذاهبها ، وبديع ما أمدّ به واضعها ومبتدئها »[١] . ويقول أيضاً : « اذا تأملت حال هذه اللغة الشريفة الكريمة اللطيفة وجدت فيها من الحكمة والدقة والارهاف والرقة ما يملك عليّ جوانبَ الفكر حتى يكاد يطمح به أمام غلوة السحر »[٢] .

وابن جني من شدة إعجابه باللغة العربية ، والقرآن الكريم ، والشعر العربي والأحاديث النبوية يكاد يؤمن بأن هذه اللغة لغة تسحر من يتعمق في دراستها ، وتفهم أسرارها ، وإعجاز مبانيها حتى يقول : « وكلام العرب لمن عرفه وتدرب بطريقتها فيه جار مجرى السحر لطفاً وإن جسا (أي جفا) عنه أكثر من ترى وجفا ... »[٣] .

فأنت ترى من هذا القول ومما سلف من أقواله قدر الدرجة السامية التي وصلت اليها اللغة العربية في قلبه . ولا ريب في أنه ما قال هذه الأقوال إلا بعد الفحص والتمحيص الدقيق ، وإلا بعد أن قرأ وسمع وحفظ ، ووسع عقله من علوم العرب والإسلام الشيء الكثير . فقد كان رحمه الله واسع المعرفة لا في علوم العربية من نحو وصرف وعروض وأدب وبيان وحسب بل في جميع مناحي العلم والمعرفة التي بلغها الناس في عصره ؛ فهو من كبار علماء الكلام ، وكثيراً ما كان يذكر أقوال علماء الكلام في كتبه ويناقشها ويرد عليها[٤] ، وهو من علماء الفقه يذكر كثيراً من أقوال رجال هذا العلم ويناقشها ، ولعله كان حنفي المذهب فقد كان ذا صلة شديدة بكبير فقهاء الحنفية في عصره وهو الامام ابو بكر احمد ابن علي الرازي الجصاص (- ٣٧٠) ، وكان يناقشه ويذكر فضل شيخه أبي علي الفارسي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(١) الخصائص الطبعة الأولى ١ / ١٥
(٢) الخصائص الطبعة الأولى ١ / ٤٥
(٣) الخصائص الطبعة الأولى ١ / ٢١٢
(٤) الخصائص الطبعة الأولى ١ / ٣٠

في حضرته [١] وهو ينقل بعض آراء أبي حنيفة النعمان في كتبه ويقيس عليها في العربية [١] .

وكان ابن جني من علماء بعض اللغات الأجنبية كالفارسية فقد ظهر ذلك مرات في كتبه ، ولا غرابة في ذلك فانه كان عالماً لغوياً يبحث في فقه اللغات وأحوالها ، وجدير بمثله أن يتقن بعض اللغات الأجنبية ليقيس عليها ويستشهد ببعض أحوالها وأوضاعها في القضايا اللغوية ، ثم أن كثرة مخالطته لشيخه الامام ابي علي الفارسي وهو من أرباب هذه اللغة وعلمائها ، تحمله بتعلمها ويتقنها ، وينقب عن الشواهد والمصطلحات التي تعينه في دراساته اللغوية فقد ذكر في (الخصائص) في فصل عنوانه (القول على أصل اللغة إلهام هي أم اصطلاح) : إن العلماء قد انقسموا في هذا الأمر الى قسمين ؛ قسم يرى انها إلهام من الله سبحانه ، وقسم يرى أن الناس اصطلحوا على ذلك ، وهو أميل الى القسم الثاني ، وأن اللغة تواضع واصطلاح لا وحي من الله ولا توقيف ، وقد أطنب في بيان ذلك والتدليل عليه ، ومما قال : « فكأنهم جاءوا الى واحد من بني آدم فأومأوا اليه وقالوا انسان انسان انسان فأي وقت سمع هذا اللفظ علم ان المراد به هذا الضرب من المخلوق . وإن ارادوا سمة (عينه) أو (يده) أشاروا الى ذلك وقالوا (يد ، عين ، رأس ، قدم) ونحو ذلك ، فمتى سمعت اللفظة من غير هذا عرف معنيها وهلم جرا . . . ثم لك من بعد ذلك أن تنقل هذه المواضعة الى غيرها فتقول الذي اسمه انسان فليجعل مكانه (مَرْدْ) والذي اسمه رأس فليجعل مكانه (سَرْ) وعلى هذا بقية الكلام . . . » [٢] . وكلتا (مرد) و (سر) فارسيتان معنى الأولى رجل ومعنى الثانية رأس .

وله أقوال أخرى كثيرة في (الخصائص) و (سر الصناعة) تدل على معرفته باللغة الفارسية والشعر الفارسي وأوزان العروض وأصول تلك اللغة .

* *
*

(١) الخصائص الطبعة الأولى ١ / ٢١٤
(٢) الخصائص الطبعة الأولى ١ / ٤٢ – ٤٣

وكانت لأبي الفتح نظريات خاصة في اللغة والنحو والصرف انفرد بها، واعتمد فيها على بحوثه الخاصة ومعارفه العامة وتوسّعه في مباحث فقه اللغات، ولم يكن أبو الفتح ميالاً الى مذهب بعينه، فانه لم يكن بصرياً ولا كوفياً ولا بغدادياً وانما كان صاحب طريقة منفردة خاصة به؛

فمن ذلك قوله بالاشتقاق الأكبر: وقد عقد له باباً مطولاً في الخصائص ذكر فيه ان هذا البحث الذي لم يبحثه أحد قبله من أئمة النحو البصريين أو الكوفيين، وان كان أستاذه ابو علي الفارسي قد ألم به بعض الالمام واستعان به وخلد اليه ولكنه لم يسمّه وانما كان يبحث في بعض مسائله عند الضرورة، ولكن صاحبنا ابن جنى نظم أموره وسماه حيث يقول في باب (الاشتقاق الأكبر): « هذا موضع لم يسمه أحد من أصحابنا غير أن اباعلي رحمه الله كان يستعين به ويخلد اليه مع اعواز الاشتقاق الأصغر لكنه مع هذا لم يسمه وانما كان يعتاده عند الضرورة ويستروح اليه، ويتعلل به، وانما هذا التلقيب لنا نحن، وذلك ان الاشتقاق عندي على ضربين كبير وصغير فالصغير ما في أيدي الناس وكتبهم .. وأما الاشتقاق الأكبر فهو أن تأخذ أصلاً من الأصول الثلاثة فتعقد عليه وعلى تقاليبه الستة معنى واحداً تجتمع التراكيب الستة وما يتصرف من كل واحد منها عليه وان تباعد شيء من ذلك رُدّ بلطف الصنعة والتأويل اليه كما يفعل الاشتقاقيون ذلك في التركيب الواحد ... نحو: (ك ل م) و(ك م ل) و(م ك ل) و(م ل ك) و(ل ك م) و(ل م ك)، وكذلك (ق و ل) و(ق ل و) و(و ق ل) و(و ل ق) و(ل ق و) (ل و ق) »[1]. وقد ذكر في صدر الكتاب أن هناك فرقاً واضحاً بين أصلي هاتين المادتين (قول) و(كلم) وان مادة (ق و ل) أين وجدت وكيف وقعت من تقدم بعض حروفها على بعض وتأخره انما هو للخفوف والحركة،

---

(١) الخصائص الطبعة الأولى ١، ٥٢٥ - ٥٢٦

وجهات تراكيبها الستة مستعملة كلها ، لم يهمل شيء منها ... وأما مادة (ك ل م) فهذه أيضاً حالها وذلك انها حيث تقلبت فمعناها الدلالة على القوة والشدة والمستعمل منها أصول خمسة والمهمل منها أصل واحد وهو (ل م ك) فلم تأت منه في ثبت .

ومن ذلك قوله بنظرية ترافع الأحكام : فقد عقد لها باباً خاصاً في الخصائص فقال : « باب في ترافع الأحكام ، وهذا موضع من العربية لطيف لم أر لأحد من أصحابنا فيه رسماً ولا نقلوا الينا فيه ذكراً ، ومن ذلك مذهب العرب في تكسير ما كان من (فَعَل) على (أفعال) نحو : عَلَم وأعلام ، وقَدَم وأقدام ... قال سيبويه فان كان على (فَعَلَة) كسّروه على (أفْعُل) نحو : أَكَمَة وآكُم ، ولأجل ذلك حمل (أَمَة) على انها (فَعَلَة) لقولهم في تكسيرها (آمٍ) الى هنا انتهى كلام سيبويه ، الا انه أرسله ولم يعلله ، والقول فيه عندي ان حركة العين قد عاقبت في بعض المواضع تاء التأنيث وذلك في الادواء نحو قولهم (رَمِثَ رَمَثاً) و (حَبِطَ حَبَطاً) و (حَبِجَ حَبَجاً) فاذا ألحقوا التاء أسكنوا العين فقالوا (حَقِلَ حَقْلَةً) و (مَغِلَ مَغْلَةً) فقد ترى الى معاقبة حركة العين تاء التأنيث ، ومن ذلك قولهم (جَفْنَة وجَفَنَات) و (قَصْعَة وقَصَعَات) لما حذفوا التاء حركوا العين فلما تعاقبت التاء وحركة العين جريا لذلك مجرى الضدين المتعاقبين فلما اجتمعا في (فَعَلَة) ترافعا أحكامهما فأسقطت التاء حكم الحركة وأسقطت الحركة حكم التاء فآل الأمر الى أن صار كأنه (فَعْل) ، و (فَعْل) باب تكسيره (أفْعُل) وهذا حديث من هذه الصناعة غريب المأخذ لطيف المضطرب فتأمله فانه مُجدٍ عليك مقوٍ لنظرك [1] » .

فأنت ترى أن ابن جني في ملاحظته الدقيقة العجيبة هذه قد كشف عن سر من أسرار هذه اللغة لم يتنبه اليه احد من العلماء الكبار قبله ولا حوّم حوله

(١) الخصائص الطبعة الأولى ١ / ٢ ٥

أحد بعده وهذا يؤيد ما قلناه عنه من رهافة الحس ، ودقة النظر في البحث عن أسرار لغة القرآن وانتظام أحوالها اللغوية انتظاماً عجيباً يدهش كل من ينظر اليه .

ومن ذلك قوله بنظرية وضع أصول العربية : وحرصه على أن يكون لعلم النحو أصول مثل أصول الكلام وأصول الفقه ، فقد كان ابن جني عالماً استقرائياً متتبعاً ، ومنطقياً مدققاً ، اطلع على أسرار العربية وخصائص نحوها فرأى أن العلماء الأقدمين أهملوا ناحية مهمة في التأليف وهي ناحية ايجاد فن من فنون العربية أطلق عليه فن أصول العربية و « ذلك اننا لم نر أحداً من علماء البلدين ـ الكوفة والبصرة ـ تعرض لعمل أصول النحو على مذهب أصول الكلام والفقه »[1] وان كتابي ابي الحسن الأخفش الذي سماه (المقاييس في النحو) وأبي بكر بن السراج الذي سماه (كتاب الأصول) لم يكونا في هذا الصدد على الرغم من أن اباالحسن الأخفش « قد كان صنف في شيء من المقاييس كتيباً اذا أنت قرنته بكتابنا ـ أي الخصائص ـ علمت بذلك انا نبنا عنه فيه وكفيناه كلفة التعب به وكافأناه على لطيف ما أولانا من علومه المسوقة الينا ، المفيضة ماء البشر والبشاشة علينا ، حتى دعا ذلك أقواماً نزرت من معرفة هذا العلم حظوظهم ، وتأخرت عن إدراكه أقدامهم ، الى الطعن عليه ، والقدح في احتجاجاته وعلله »[1] فهو يقدر عمل أبي الحسن حق قدره ، ويحمل على أولئك العلماء الذين غمطوه حقه ، ولم يعرفوا مبلغ الجهد الذي بذله ، فابن جني عالم منصف نبيل ، كريم الخلق ، يعطي كل أحد من العلماء الذين سلفوه حقه ، وابن جني حين يحاول ايجاد علم أصول العربية يريد أن يجعل ذلك العلم ذا قواعد ثابتة ، منطقية تعتمد على الاستقراء والبحث ، وان تكون علل تلك القواعد أشبه بعلل المتكلمين لا بعلل الفقهاء ، فان علل المتكلمين تحيل الى الحس ولا كذلك علل الفقهاء في زعمه حيث يقول « اعلم ان علل النحويين وأعني بذلك حذاقهم المتقنين لا ألفافهم

---

(١) الخصائص الطبعة الأولى ١ / ٣

المستصفين أقرب الى علل المتكلمين منها الى علل المتفقهين وذلك انهم يحيلون على الحس ويحتجون فيه بثقل الحال أو خفتها على النفس وليس كذلك علل الفقه وذلك أنها إنما هي اعلام وأمارات لوقوع الاحكام ووجوه الحكمة فيها خفية عنا »[1] . ونحن وان كنا لا نشاطره رأيه في أن علل الفقهاء هي كما وصف ، فاننا نذهب مذهبه في وجاهة علل المتكلمين ، ولا نرى ان ثمة فروقاً بين علل حذاق المتفقهين وحذاق المتكلمين وليس ههنا موضع المناقشة في ذلك وانما نريد أن نبين رأيه في وجوب إيجاد علم أصول العربية ، وقد كان رحمه الله مغرماً بذلك وقد كرر هذا القول مراراً في (الخصائص) و (سر الصناعة) فقال في بعض تلك المواضع : « واعلم انا مع ما شرحناه وعنينا به فأوضحناه من ترجيح علل النحو على علل الفقه وإلحاقها بعلل الكلام لا ندعي انها تبلغ قدر علل المتكلمين ولا عليها براهين المهندسين غير انا نقول ان علل النحويين على ضربين أحدهما واجب لا بد منه لأن النفس لا تطيق في معناه غيره ، والآخر ما يمكن تحمله إلا أنه على تجشم واستكراه له »[2] .

والحق أن ابن جنى قد جاء في هذا الباب بأقوال ونظريات رائعة ولكنه لم يكن في ذلك إلا متقيلاً آثار شيخه الإمام أبي علي الفارسي ، فقد كان رحمه الله شديد الميل الى تقعيد قواعد العربية ، وتنظيم علم أصول هذا ، وضبط أقيستها وعلى غراره نشأ تلميذه ، فنظم تلك القواعد ورتبها وتعمق في البحث أكثر من أستاذه وقد ذكر في الخصائص بعد أن أورد بعض مسائل القياس في العربيَّة وقال : « فإن معرفة هذه الحال فيه أمثل من معرفة عشرة أمثال لغته وذلك ان مسألة واحدة من القياس أنبل وأنبه من كتاب لغة عند عيون الناس ، قال لي أبو علي رحمه الله بحلب سنة ست وأربعين : أخطئ في خمسين مسألة

(١) الخصائص الطبعة الأولى ١ / ٤٦ والطبعة الثانية ١ / ٤٨

(٢) الخصائص الطبعة الأولى ١ / ٩٠

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

في اللغة ولا أخطيء في واحدة من القياس »[١] فهذا يدلنا على شدة عناية أبي علي الفارسي بالقياس وضبط القواعد وتقنين قوانين اللغة العربية ، وهو يرى أن جهله بالمسائل اللغوية أو خطأه فيها أمر لا بأس عليه منه أما جهله بالقياس وتخليطه فيه فأمر لا يصح التساهل فيه والوقوع فيه .

ومن ذلك وضع كثير من قواعد علم فقه اللغة: فان علم فقه اللغة ، وهو الذي اصطلح المحدثون اطلاقه على علم الفيلولوجيا « Philologie » ، هو علم محدث في اللغة العربية لم يكتب فيه أحد من الأقدمين العرب ولا المحدثين إلا بعد أن اتصلوا بالثقافات الغربية الأوربية .

على ان علماء أوربة المحدثين يختلفون في مدلول هذه الكلمة فمنهم من يذهب الى ان هذا العلم هو مجرد علم قواعد الصرف والنحو ونقد نصوص الآثار الأدبية ومنهم من يذهب الى أنه ليس إلا درس اللفظ ومناقشة أحواله وأوضاعه ، ولكنه درس شامل للحياة العقلية اللغوية من جميع وجوهها ، واذا صح هذا فمن الممكن أن تدخل في دائرة علم الفيلولوجيا كافة فنون اللغة المختلفة من تاريخ اللغة ، ومقابلتها باللغات الشقيقة والبعيدة ، ودراسة النحو ، والصرف ، والعروض ، وعلوم البلاغة ، وعلم الأدب بمعناه الواسع ، فيدخل فيه إذن تاريخ الأدب الخاص ، وتاريخ العلوم من حيث تصنيف الكتب العلمية ، وتاريخ الفقه اللغوي من حيث تدوين اللغة في المجاميع والمعاجم ، كما يدخل فيه تاريخ الدين من حيث درس الكتاب المقدس ، والكتب الدينية الأولى ، وكتب علم الكلام ، ولا سبيل الى معرفة كنه هذه الحياة العقلية إلا بدرس أحوال المركز الذي نشأت فيه تلك الآثار الأدبية[٢] .

ولا شك عندنا في أننا اذا تتبعنا ما كتبه أبو الفتح بن جني في (سر الصناعة) و (الخصائص) و (شرح تصنيف أبي الحسن) وجدناه يحاول محاولات صادقة في وضع

---

(١) الخصائص الطبعة الأولى ١ / ٤٨٢
(٢) راجع النثر الفني زكي مبارك ٢ / ٣٨

أسس علم الفيلولوجيا العربية أو علم فقه اللغة كما يسميه بعض العلماء المحدثين ·

والحق أن ابا الفتح كان له نصيب وافر في ايجاد علم فقه اللغة العربية من ناحية دراسة اللغة العربية ، والبحث في أصول مفرداتها واشتقاقها ، ودرس قواعدها ونقد نصوصها الأدبية وآثارها اللغوية ، والدينية ، مع ملاحظة كثير من الأسباب العقلية التي عملت في تكوين هذه اللغة وتطور مفرداتها ·

وقد حاول في عصر (ابن جني) وبعده بقليل جماعة من أئمة النحاة والصرفيين ان يسيروا في السبيل التي سار عليها إلا انهم لم يوفقوا ولم يستطيعوا ان يتمموا مابدأ هو به ، فقد أراد الإمام اللغوي ابو الحسين احمد بن فارس الرازي النحوي (- ٣٩٥) أن يؤلف في هذا الموضوع كتاباً فألف كتابه المعروف (بالصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها) ، ولكن كتابه هذا خرج وكأنه ككتب الأقدمين ، أو كأنه أقرب الى كتب اللغة منه الى كتب فقهها وعلم أسرارها ·

أما ابن جني فانه ألف كتبه في صلب هذا العلم الذي يبحث عن نشأة الألفاظ العربية والوقوف على أسرارها وطرق توليدها وتفريعها وتقليبها ·

ومن ذلك رأيه في نشأة اللغات : فقد ذهب كثير من العلماء القدماء وبعض المحدثين الى ان اللغات توقيفية ، بمعنى ان الله سبحانه أوحى بها الى أنبيائه وأوقفهم على مفرداتها كلمةً كلمةً ثم انهم علموها لتابعيهم ، وقال آخرون : بل إن اللغات مشتقة من أصوات الحيوانات والطبيعة وان الانسان الأول قد حاكى هذه الحيوانات وتلك الطبيعة واشتق من ذلك ما أعانه على تفهيم مراده لسامعيه · وقال فريق ثالث : بل ان اللغات انما اخترعها الانسان بمحض تفكيره وخالص إرادته ، وانه تواضع عليها كأن يجتمع اثنان أو أكثر فيحتاجون الى تسمية بعض الأشياء فيتفقون فيما بينهم على التسمية وتنتشر بعدئذ ·

وقد ذهب كثير من علماء المسلمين القدماء الى القول الأول مستدلين على

ذلك بالآية الكريمة التي قالها الله تعالى حكاية عن آدم عليه السلام وهي : « وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة »[١] وقالوا إن معنى هذه الآية هو أن الله تعالى علم آدم أبا البشر جميع الألفاظ في جميع اللغات وأن آدم علمها أبناءه فتناقلوها من بعده وهكذا اختلفت لغات سكان الأرض .

وهو قول عجيب غريب لا نرى في الرد عليه أبلغ مما سمعناه من أستاذنا المرحوم العلامة الشيخ احمد الاسكندري في بعض محاضراته التي ألقاها علينا في كلية الآداب بالجامعة المصرية في سنة ١٩٤٨ فقد قال : إن البداهة تقضي ببطلان هذا القول ، فان شهادة العقل والاستقراء وتتبع نطق الأطفال تشهد بأن اللغة تتدرج وتنمو بحسب الحاجة اليها . فلا يصح أن يقال إنها كلها قد وجدت دفعة واحدة وما ذهب اليه شيخنا الاسكندري هو الصحيح الذي قال به ابن جني وتوصلت اليه اليوم مباحث علماء فقه اللغة وعلماء الاجتماع وهو ان اللغات هي كائنات حية تعيش كما يعيش كل حي ، وتموت كما يموت ، وان منشأها الأصوات الأولى ، ولم يقل العلماء قولهم هذا إلا بعد التجربة العلمية والدراسة العميقة وبعد أن ذهبوا بأنفسهم الى مواطن الشعوب البدائية في القارات والجزر النائية واتصلوا بأفراد هذه الشعوب وعاشوا معهم فترة من الزمان وتأملوا أقوالهم وعاداتهم وتكبدوا كثيراً من المتاعب والمشقات في سبيل جمع معلوماتهم ، وما كانوا يشعرون بقيمة لمعلوماتهم إلا اذا توفروا على جمعها بأنفسهم عن طريق الملاحظة المباشرة والتدقيق فيما جمعوه وتصنيفه ومقارنته باللغات الحية وتحديد أوجه الشبه وأوجه الخلاف والمفارقات بين اللغات مما أداهم الى هذه النتيجة[٢] .

---

(١) يشبه هذا ما نجده في سفر التكوين : الاصحاح الثاني رقم ١٩ — ٢٠ : « وجبل الرب الاله من الأرض كل حيوانات البرية وكل طيور السماء فأحضرها الى آدم ليرى ماذا يدعوها ، وكل ما دعا به آدم ذات نفس حية فهو اسمها ، فدعا آدم بأسماء جميع البهائم وطيور السماء وجميع حيوانات البرية وأما لنفسه فلم يجد معيناً نظيره » .

(٢) للتوسع في هذا راجع ترجمة « المدخل الى علم الاجتماع » تأليف مونييه الفرنسي طبع مصر ص ٦٩ و ٨٦ .

أما ابن جني فقد ذهب الى هذا القول منذ أكثر من ألف سنة فقد قال في الفصل النفيس الذي عنونه بقوله (باب القول عن أصل اللغة أإلهام هي أم اصطلاح : هذا موضع محوج الى فضل تأمل غير أن أكثر أهل النظر على ان اللغة انما هي تواضع واصطلاح لا وحي وتوقيف إلا أن أبا علي رحمه الله قال لي يوماً : هي من عند الله واحتج بقوله تعالى : « وعلم آدم الأسماء كلها » وهذا لا يتناول موضع الخلاف وذلك انه قد يجوز ان يكون تأويله ، اقدر آدم على ان واضع عليها ، وهذا المعنى من عند الله لا محالة .... والقديم سبحانه لا يجوز ان يوصف بأن يواضع أحداً من عباده على شيء، إذ قد ثبت ان المواضعة لا بد معها من إيماء واشارة بالجارحة نحو المومأ اليه والمشار اليه والقديم سبحانه لا جارحة له فيصح الايماء والإشارة بها منه .. وذهب بعضهم الى ان أصل اللغات كلها انما هو من الأصوات المسموعات كدوي الريح وحنين الرعد وخرير الماء وشحيج الحمار ونعيق الغراب وصهيل الفرس ونزيب الظبي ونحو ذلك ثم ولدت اللغات عن ذلك فيما بعد وهذا عندي وجه صالح ومذهب متقبل [1] .

مذهبه في علم اللغة :

كانت دراسات علم اللغة قبل مجيء أبي الفتح محصورة بطريقة من الطرائق الأربع التالية وهي الإملاء ، والإفتاء ، والتعليم ، والرواية . وقد وصف لنا الجلال السيوطي ترجمة طريقة الأقدمين هذه فقال : « وظائف الحافظ في اللغة أربعة أحدها وهي العليا (الإملاء) كما ان الحفاظ من أهل الحديث أعظم وظائفهم الإملاء وقد أملى حفاظ اللغة من المتقدمين الكثير فأملى ثعلب مجالس

(١) الخصائص الطبعة الثانية ١ / ٤٦ – ٤٧ . ولنلاحظ ان ابن جني بعد ان قال بهذا القول في أصل نشأة اللغات رجع عن رأيه هذا في اللغة العربية خاصة وله في ذلك حجج فارجع اليه اذا شئت في آخر الفصل القيم الذي عنوانه « باب القول على أصل اللغة » من الخصائص الطبعة الثانية ص ٤٠ وما بعدها .

عديدة في مجلد ضخم وأملى ابن دريد مجالس كثيرة ٠٠٠٠ وطريقتهم في الاملاء كطريقة المحدثين سواء بكتب المستملي أول القائمة : مجلس أملاه شيخنا فلان بجامع كذا في يوم كذا ويذكر التاريخ ثم يورد المملي باسناده كلاماً عن العرب والفصحاء فيه غريب يحتاج الى التفسير ثم يفسره ويورد من أشعار العرب وغيرها بأسانيده ومن الفوائد اللغوية باسناد وغير اسناد ما يختاره وقد كان هذا في الصدر الأول فاشياً كثيراً ثم ماتت الحفاظ وانقطع املاء اللغة من دهر مديد ٠٠ والوظيفة الثانية (الافتاء) وليقصد التحري والابانة والإفادة والوقوف عند ما يعلم وليقل في ما لا يعلم - لا أعلم - واذا سئل عن غريب وكان مفسراً في القرآن فليقتصر عليه ٠٠٠٠٠ والوظيفة الثالثة والرابعة : (الرواية والتعليم) ومن آدابها الاخلاص وان يقصد بذلك نشر العلم وإحياؤه والصدق في الرواية والتحري والنصح في التعليم والاقتصار على القدر الذي تحمله طاقة المتعلم (١) » .

وكان العلماء المتقدمون قبل ابن جني يوردون معلوماتهم اللغوية إيراداً غير منظم لا رابط بها إلا قليلاً وكان اهتمامهم مصبوباً الى الجزئيات أكثر منه الى الكليات بل كان قليل منهم من يعنى بالاهتمام بالكليات والضوابط العامة وكانوا يتبعون الطرق التي أشار اليها السيوطي في مزهره فيملون معلوماتهم عن اللغة وعن مفرداتها مفردة مفردة كالذي نجده في كتب المبرد (— ٢٨٥) وكتب الأصمعي (— ٢١٦) بل وكتب أبي علي القالي (— ٣٦٥) وهي كتب تشتمل على كثير من أخبار العرب ومباحث الأدب وقصص التاريخ والمفردات اللغوية ، وقد ظل هذا الحال حتى أطل القرن الرابع للهجرة فأخذ علماؤه من شيوخ ابن جني وطبقته يعمدون الى تنظيم مباحث علم اللغة وشعروا بضرورة تنظيم المباحث اللغوية تنظيماً يعتمد على المنطق والترتيب وهكذا (فتح القرن الرابع للهجرة فتحاً جديداً في كل من الناحيتين الرئيسيتين لعلوم اللغة العربية وهما

(١) المزهر للسيوطي . طبع القاهرة سنة ١٢٨٢ ، ٢ / ١٦٢ - ١٦٩

(النحو) و (عمل المعاجم) وقد تخلص علم اللغة كما تخلص علم الكلام من طريقة الفقهاء ومناهجهم حتى من الناحية الشكلية)[١] .

والحق أن القرن الرابع كان مبدأ تطور عام لا في علوم العربية بل في سائر علوم الاسلام . أما ما يتعلق بعلوم العربية وبعلم اللغة خاصة فقد أخذ علماء هذا القرن يسيرون على الخطة التي كان الخليل بن احمد (— ١٧٠) قد بدأ بها ولكن أحداً من علماء عصره أو الذين جاءوا بعده لم يتمّا الى ان كان القرن الرابع ، ولا شك في ان اطلاع هؤلاء الأئمة على طرائق العلماء الأقدمين من يونان وسريان وروم قد كان له بعض تأثير في تطور هذا العلم في القرن الرابع ، حتى أصبحنا نجد هذه الأبحاث اللغوية تدور في مجالس بعض الأمراء كعضد الدولة البويهي (— ٣٧١) قال الأستاذان ميتز وريشر : إن أئمة اللغة في القرن الرابع الهجري قد شعروا بالحاجة الماسة الى منهج يسيرون عليه والى تناول مادة بحثهم على طريقة منظمة ، وقد كان لمعرفة العلماء العرب المحدثين بعلوم اليونان اللسانية اثر كبير في ذلك ، وكان البحث يدور في مجلس عضد الدولة حول الفرق بين النحو العربي والنحو اليوناني وأصول استنباطها . وقد ميز أبو سليمان السجستاني النزعة الجديدة في النحو بأن قال : (نحو العرب فطرة ونحونا فطنة) [راجع أخبار العلماء للقفطي . طبع اوربا ص ٢٨٣] وإذا وجدنا ابن فارس (— ٣٩٥) يؤلف لأول مرة مقدمة في النحو فينبغي ألا نرى في هذا سوى وليد للمقدمات (الايساغوجي) التي كتبها علماء اللغة اليونانية . وأكبر ما تمّ على أيدي علماء اللغة هو تحديد معاني الكلمات وعمل المعاجم ونجد ههنا حداً واضحاً يفصل بين عهدين وطريقتين وكان حمزة الاصفهاني (— ٣٥٠ أو ٣٦٠) خاتمة اللغويين القدماء الذين كانت كتبهم لا تشتمل إلا على عبارات للخطباء والبلغاء الذين ألفوا كتباً من المترادف وأخرى يستعين بها الخطباء في الخطبات ففي كتاب الموازنة مثلاً

(١) آدم ميتز في (الحضارة الإسلامية في القرن الرابع) ترجمة الدكتور عبد الهادي ابو ريده ص ٣٨٧

ذكر أربعمائة كلمة في معنى (الشقي) وكذلك جمع في كتاب الأمثال أكثر ما يعرض في لغة الخطباء من عبارات المفاضلة نحو: أبيض من التاج، وأشجع من الفيل ... وقد كان جمعه وافياً بحيث لم يصنف علماء القرون التالية شيئاً اليها، وكان سلفه قد جمع من هذه العبارات ثلاثمائة وتسعين فجمع هذا ألفاً وثمانمائة .. وكذلك ظهرت في القرن الرابع دراسة جديدة للاشتقاق اللغوي وبقيت عصراً طويلاً وكان أستاذ هذه الدراسة ابن جني الموصلي (— ٣٩٢) .. وهو الذي ينسب اليه ابتداع مبحث جديد في علم اللغة وهو المسمى بالاشتقاق الأكبر وهو البحث الذي لا يزال يؤتي ثمره الى اليوم والذي يختص بمادة الكلمة دون هيئتها ولم يكن لعلماء اللغة من العرب انتاج أعظم من هذا وقد كان ابن جني معتزاً بنظريته هذه (١) .

والحق أن عمل ابن جني في الاشتقاق الأكبر، والتراتيب اللغوية، والمباحث الكلامية، والدراسات الصرفية التي خلفها في كتبه العديدة التي سنعرض لها في آخر هذه المقالات، هو العمل الجدي المثمر الذي طوّر مباحث اللغة وجعل لها أسلوباً جديداً انتظم أمره بابن جني ولكن أحداً من العلماء بعده لم يتم ما بدأ به .

مذهبه في النحو :

انقسمت مذاهب النحو الى اربع مدارس رئيسة هي : مدرسة أهل البصرة ومدرسة أهل الكوفة، ومدرسة أهل بغداد، ومدرسة أهل الأندلس . وأصل هذه المدارس وأولها مدرسة أهل البصرة؛ ففي هذه المدينة نشأ علم النحو العربي، ومؤرخو الآداب العربية يختلفون في أولية وضع النحو العربي بين أربعة من أهل العلم هم: الامام علي بن أبي طالب عليه السلام، وأبو الأسود الدؤلي، ونصر بن عاصم الليثي، وعبد الرحمن بن هرمز .

(١) راجع المصدر السابق ص ٣٨٧، ٣٩١ وراجع بحث الأستاذ O. Rescher في كتابه عن الامام ابن جني ص ٢٠ Studien uber Ibn Ginni - Z. A. 1909

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أما الامام علي : فأقدم من نسب اليه ذلك هو أبو العباس المبرد (— ٢٨٥) حيث يقول : « أول من وضع العربية ونقط المصاحف أبو الأسود وسئل عمن أرشده الى الوضع في النحو فقال تلقيته عن علي » [١] . ويقول ابن النديم (— ٣٨٥) : « وزعم أكثر العلماء أن النحو أخذ عن أبي الأسود وأن أبا الأسود أخذ ذلك عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه » [٢] .

وأما أبو الأسود (— ٦٩) فقد أجمع كل من كتب في تاريخ النحو على نسبة وضع هذا العلم اليه ، وأول من ذكر ذلك هو محمد بن سلاّم الجمحي (— ٢٣٢) فقد ذكر في مقدمة كتابه طبقات الشعراء ما يلي : « وكان أول من أسس العربية وفتح بابها ونهج سبيلها ووضع قياسها أبو الأسود الدؤلي ..... ووضع باب الفاعل والمفعول والمضاف وحروف الجر والرفع والنصب والجزم » [٣] . وجاء بعد ابن سلاّم الامام ابن قتيبة (— ٢٧٦) فقال : « ... لأنه أول من عمل في النحو كتاباً » . وجاء بعد ابن قتيبة أبو العباس المبرد (— ٢٨٥) فقال : « ... أول من وضع العربية ونقط المصاحف ابو الأسود الدؤلي » . وجاء بعد المبرد ابن النديم صاحب الفهرست وقد رأيت قوله فيما سبق ، ثم تتابع المؤرخون بعدهم ينقلون أقوالهم .

وأما نصر بن عاصم (— ٨٩) فقد كان فقيهاً وعالماً بالعربية وفصيحاً بارعاً ، تعلم من أبي الأسود الدؤلي وروى عنه القرآن الكريم قال ابن النديم في الفهرست : « وقال آخرون : رسم النحو نصر بن عاصم الدؤلي ويقال الليثي » [٤] . وقال ياقوت : « أول كتاب وضع في النحو على التحقيق هو كتاب نصر بن عاصم » [٥] .

(١) أورد هذه العبارة ابو بكر محمد بن الحسن الزبيدي (— ٣٥٠) في كتابه طبقات النحاة . وهو مخطوط في خزانتنا

(٢) الفهرست لابن النديم ص ٥٩

(٣) الشعر والشعراء طبعة البابي الحلبي ٢ / ٧٠٧

(٤) راجع تاريخ علوم اللغة للمرحوم الأستاذ الجليل طه الراوي ص ٧٦ وما بعدها .

(٥) ارشاد الأريب في ترجمة نصر بن عاصم

وكان نصر هذا من نبهاء أصحاب أبي الأسود وتلاميذه وهو الذي روى عنه صحيفته في العربية وهي المعروفة (بالتعليقة) حتى قال بعضهم: إن أول اسناد علي عرف في الأدب هو اسناد نصر الى أبي الأسود في تعليقته هذه . وقد ألف نصر في العربية كتاباً لم يصل الينا[1] .

وأما عبد الرحمن بن هرمز (— ١١٧) فقد كان أحد القرّاء العلماء بالعربية والأنساب ، وقد قيل في ترجمته إنه أول من ألف في النحو . وكان من تلاميذ أبي الأسود وأصحابه أيضاً . قال الزبيدي : كان من أعلم الناس بالنحو وأنساب قريش .

والذي نراه في هذه القضية ان أبا الأسود هو الذي وضع أسس هذا العلم ولعله أطلع الإمام علياً على ما أراد أن يضعه أو أنه فعل ذلك الوضع برأي الإمام وتوجيهه . وأما عمل نصر بن عاصم وعبد الرحمن بن هرمز فهو قيامهما بإتمام ما بدأ به أستاذهما أبو الأسود ، ويقال ان نصراً هو الذي قام بتمييز الحروف المتشابهة كالباء والتاء والثاء والنون والياء ، والصاد والضاد والطاء والظاء وما يشبه ذلك . كما يقال ان عبد الرحمن هو الذي رتب ما تلقاه من شيخه أبي الأسود وألفه في كتاب ، وخصوصاً إذا عرفنا أن نصراً وعبد الرحمن قد عاشا طويلاً بعد أستاذهما فكان طبيعياً ان يكملا ما بدأ به .

وصفوة القول ان أبا الأسود هو الذي وضع أساس بناء النحو في البصرة وذلك بأن ضبط قراءة القرآن الكريم[2] ثم وضع بعض القواعد العامة المتعلقة بالمرفوع والمنصوب والمجرور أو ما أشبه ذلك .

هذا ما نرتأيه في المقدار الذي ساهم به أبو الأسود وأصحابه في وضع العربية أما ما يقال من أنهم وضعوا أبواب النحو ، كما تذكر ذلك بعض المصادر العربية

---

(١) راجع تاريخ علوم اللغة للمرحوم الأستاذ الراوي ص ٧٦ وما بعدها

(٢) راجع نزهة الألباء لابن الانباري ص ١١

القديمة ، وأنهم قسموا الكلمة الى اسم وفعل وحرف وذكروا النواصب والجوازم ، وبوّبوا النحو وغير ذلك فأمر يستبعد وقوعه في ذلك الزمن المبكر ، ولكن الذين بحثوا في هذه الموضوعات وبوّبوا النحو ، هم رجال الطبقة الثانية التي جاءت بعد أبي الأسود وتلاميذه في القرن الثاني للهجرة أمثال عبد الله بن ابي اسحق الحضرمي ، ويونس بن حبيب ، والخليل بن احمد ، وعيسى بن عمر الثقفي . لقد كانت البصرة بيئة عربية لقربها من المربد الذي كان يقصده عرب البادية العربية يتبارون ويتناشدون الأشعار حتى غدا أجلّ سوق للعرب في الجاهلية والاسلام . وكان هؤلاء العلماء البصريون أصحاب قياس وتقنين يحاولون ضبط أساليب اللغة بالقواعد المنطقية التي أفادوها من الاطلاع على المنطق اليوناني، الذي ترجم في عصرهم . وكانوا حريصين على القياس وطرد القواعد واهمال كل ما يخالف أقيستهم ونظرياتهم اللغوية التي وضعوها مستنيرين بالعقل السليم والمنطق الصحيح ، والفلسفة اليونانية حتى قال صاحب الانصاف : « إنهم بنوا كلامهم من اعتبار حكم المشاكلة والمحافظة على أن تجري الأبواب على سَنَن واحد ، وقالوا ألا ترى انهم حملوا المضارع على الماضي اذا اتصل به ضمير جماعة النسوة نحو تضربن وحذفوا الهمزة من اخوات أَكْرَمَ نحو تكرم ويكرم ، والأصل فيها تؤكرم ونؤكرم ويؤكرم كما قال : فانه أهل لأن يؤكرما

وكذلك حذفوا الواو من اخوات يَعِدُ نحو أعد ، وتعد ، ويعد ، والأصل أوعد ، ويوعد ، وتوعد ، حملاً على يَعِد ، كل ذلك لتحصيل التشاكل والفرار من نفرة الاختلاف [1] » .

مدرستا البصرة والكوفة :

يوجب البصريون سير اللغة في سبيل واحدة متشابهة متشاكلة لا شذوذ فيها ولا اختلاف وهم يشبّهون القياس النحوي بالقياس الفقهي ويقولون لا بد لكل

---

(١) الانصاف ص : ٣ - ٤

قياس من أركان أربعة : أصل وفرع وعلة وحكم ، ويقولون قد يخرج عن القياس شيء من كلام العرب ولكنه يظل مسموعاً ولا يقاس عليه غيره ، ويقولون : يحمل الأقل والأندر على الأعم الأكثر ، وهذا أولى من حمل الأعم الأكثر على الأقل الأندر(١) ، ويقولون : لا بد لكل أمر من دليل وعلة ، ويقولون : لكل قاعدة أصل ولا يصح العدول عن هذا الأصل ، ومن عدل عن الأصل بقي مرتهناً باقامة الدليل(٢) .. وما الى ذلك من القواعد والأصول والأقيسة التي تعتمد على علمي المنطق والأصول ، ونظريات الفلسفة .

وأما مدرسة الكوفة فقد كانت مدرسة تميل الى التوسع وعدم التقييد وكان رجالاتها يعتمدون على سعة رواياتهم وكثرة محفوظهم كما كانوا لا يتقيدون بالقواعد النحوية ، ويقولون ان كثيراً مما نظن انه شاذ عن الأسلوب العربي لمخالفته الأقيسة انما هو صحيح ... فمذهبهم أقرب الى السليقة منه الى الصنعة ولعل سبب ذلك هو انهم كانوا يعتمدون على المعين الأدبي الذي تدفق عليهم أكثر من اعتمادهم على المنطق اليوناني وتعقيداته ، وعلى الفلسفة وقواعدها كما كان يفعل رجال المدرسة البصرية الذين أغرقوا في الاعتماد على نحو السريان ، وعلوم اليونان ، وثقافات الفرس ، على عكس الكوفيين الذين كانوا أميل الى الانطلاق عن كل هذه القيود .

وأوائل من عرف من الكوفيين بالاهتمام بالعربية جماعة منهم :

أبو معاوية شيبان بن عبد الرحمن التميمي (— ١٦٤) الامام النحوي المقرئ المؤدب الذي كان من كبار رجال علم القرآن والحديث والعربية ، ولد في البصرة ولكنه أقام في الكوفة وتعلم على رجالاتها وروى القرآن عن عاصم بن بهدلة ابن أبي النجود الأسدي الكوفي إمام القراء وأحد القراء السبعة ، وقرأ العربية

(١) الانصاف ص : ٢٧٧

(٢) الانصاف ص : ١٣٤

على أبي عمرو بن العلاء وطبقته .. وروى عنه الحسين بن علي الجعفي الكوفي الامام الزاهد وأحد أعلام القراءات . وله كتاب في الحديث ، وقصد في آخر عمره بغداد وفيها مات [١] .

وأبو مسلم معاذ بن مسلم الهرّاء (— ١٨٧) مؤدب عبد الملك بن مروان ، وشيخ أبي الحسن الكسائي إمام نحاة الكوفة ، وأبي جعفر الرؤاسي أول من صنف من أهل الكوفة وكان الهراء من أئمة النحاة الرواة ، أخذ عن الامام جعفر الصادق ، وكان صديقاً للكميت الشاعر ، وله شعر لا بأس به ، وقد عمّر طويلاً ، قال ابن خلكان : قرأ على الكسائي وروى عنه وصنف في النحو كثيراً وكان يتشيع ، وله شعر كشعر النحاة وكان في عصره مشهوراً بالعمر الطويل ، وكان له أولاد وأولاد أولاد فمات الكل وهو باقٍ [٢] ويقول ابن الأنباري في النزهة : وقيل إنه كان يكنى أبا علي وهو من موالي محمد بن كعب القرظي ، وهو عم أبي جعفر الرؤاسي .. ولا مصنف له يعرف .

وأول من عرف من الكوفيين بالتصنيف والبحث عالمان جليلان هما :

أبو جعفر الرؤاسي محمد بن الحسن بن أبي سارة النيلي النحوي (— ١٩٠) وقد تلقى العلم عن عمه معاذ بن مسلم الهرّاء وعن أبي عمرو بن العلاء ، وعيسى ابن عمر الثقفي ، وكان بارعاً بالنحو والصرف والقراءات ، وكانت له اختيارات في القراءة والوقوف . وقد روى عنه يحيى بن زياد الفراء ، وخلاّد بن خالد الصيرفي ، وعلي بن حمزة الكسائي [٣] . وكان سيبويه يجله ويثق بعلمه وكلما قال في كتابه (قال الكوفي) عناه . قال ابن درستويه : زعم أبو العباس

---

(١) راجع تهذيب التهذيب ٤ / ٣٧٣ ، وغاية النهاية لابن الجزري ١ / ٣٢٩ وتاريخ علوم اللغة للراوي ص ١٢٢

(٢) راجع بغية الوعاة للسيوطي ص ٣٩٣ ؛ ونزهة الالباء لابن الانباري ص ٦٤ والكنى والألقاب لقمي ٣ / ٢٣٩

(٣) انظر النهاية لابن الجزري ٢ / ١١٦ والبغية ص ٣٣ والنزهة ص ٦٥

احمد بن يحيى ثعلب : إن أول من وضع من الكوفيين كتاباً في النحو الرؤاسي والفراء . وقال الفراء : لما خرج الكسائي الى بغداد قال الرؤاسي قد خرج الكسائي الى بغداد وأنت أميز منه فجئت الى بغداد فرأيت الكسائي فسألته عن مسائل الرؤاسي فأجابني بخلاف ماعندي فغمزت قوماً من علماء الكوفيين فكانوا معي فقال : مالك قد أنكرت لعلك من أهل الكوفة ، فقلت : نعم فقال : الرؤاسي يقول كذا وكذا وليس صواباً ، وسمعت العرب تقول كذا وكذا حتى أتى على مسائلي فلزمته . وقال الرؤاسي : أرسل إليَّ الخليل بن احمد يطلب كتابي فبعثته اليه فقرأه ووضع كتابه[1] ويقال لكتابه (الفيصل) . وقال المبرد : عرف الرؤاسي بالبصرة وقد زعم بعض الناس أنه صنف كتاباً في النحو فدخل البصرة ليعرضه على أصحابنا فلم يلتفت اليه ولم يجسر على إظهاره لما سمع كلامهم . وقد ألف الرؤاسي كتباً عديدة منها (الفيصل) و (معاني القرآن) و (التصغير) . و (الوقف والابتداء الكبير) و (الوقف والابتداء الصغير) وقد ضاعت هذه الآثار كلها فيما أعلم .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

والكسائي الامام علي بن حمزة بن عبد الله بن بهرام (— ١٨٩) وكان شيخ الكوفة الأعظم وموطد قواعد مذهبها في النحو والقراءة ، وهو أحد القراء السبعة المشهورين ، قرأ على حمزة ثم اختار لنفسه قراءة ، وسمع العلم من سليمان بن أرقم ، وأبي بكر بن عياش ، وسفيان بن عُيينه ، وتعلم النحو من الرؤاسي ومعاذ الهراء ولزمه حتى انفد ماعنده ، ثم خرج الى البصرة فلقي الخليل وجلس في حلقته فقال له رجل من الأعراب تركت أسداً بالكوفة وتميماً وعندهما الفصاحة وجئت الى البصرة !! ثم انه قال للخليل : من أين أخذت علمك هذا ؟ فقال : من بوادي الحجاز ونجد وتهامة فخرج ورجع وقد أنفد خمس عشرة

(١) انظر ارشاد الأريب ٢ / ١٣٨ والبغية ص ٣٥ والنزهة ص ٦٦ والمزهر ٢ / ٢٠١ وطبقات الزبيدي ص ٦١ وبركلمان C. A. L. ١ / ١١٥ والذيل ١ / ١٧٧

قنينة حبر في الكتابة عن العرب سوى ماحفظ ، وقدم البصرة فوجد الخليل قد مات ، وفي موضعه يونس بن حبيب فجرت بينهما مسائل أقر له فيها يونس وصدّره في موضعه . قال ابن الاعرابي : كان الكسائي أعلم الناس ضابطاً عالماً بالعربية قارئاً صدوقاً إلا أنه كان يديم شرب النبيذ . وقال ابن درستويه : « كان الكسائي يسمع الشاذ الذي لا يجوز إلا في الضرورة فيجعله أصلاً ويقيس عليه ما أفسد النحو بذلك[1] » . ولا شك في ان ابن درستويه إنما قال ذلك بعقلية نحاة البصرة المنطقيّين المتشددين . وقد نبغ من تلاميذه ، أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء ، وأبو عبيد القاسم بن سلاّم . وله كتب كثيرة ذكرها الخطيب البغدادي في ترجمته والزبيدي في طبقاته وياقوت في معجمه ، وابن خلكان في وفياته ، واحمد امين في ضحى الاسلام . ولم يبق من هذه الكتب إلا رسالة في (لحن العامة) وكتاب (المتشابه في القرآن)[2] .

ويلي الكسائي عند الكوفيين تلميذه يحيى بن زياد بن عبد الله بن الفراء (— ٢٠٨) الذي تصدر في الكوفة بعد أستاذه الكسائي . قال ثعلب : لولا الفراء لما كانت اللغة لأنه حصلها وضبطها ولولا الفراء لسقطت العربية لأنها كانت تتنازع ويدعيها كل من أراد ويتكلم الناس مقادير عقولهم وقرائحهم فتذهب وأمره المأمون أن يجمع أصول النحو وما سمع من العرب فأمر أن تفرد له حجرة من حجر الدار ووكل بها جواري وخدماً للقيام بما يحتاج اليه . . . حتى حققت (الحدود) وأمر المأمون بكتبه في الخزائن . وكان أعلم الكوفيين بعد الكسائي ، وكان يميل الى الاعتزال ، زائد العصبية على سيبويه وقد ألف عدة

---

(١) راجع البغية ص ٣٣٦ والنزهة ص ٨١

(٢) راجع بروكلمان G. A. L. ١ / ١١٥ والذيل ١ / ١٧٨

كتب ذكرها الخطيب البغدادي ، وياقوت ، والسيوطي ولم يبق منها إلا كتاب (معاني القرآن) و (الفاخر) في الأمثال و (المقصور والممدود) و (المذكر والمؤنث) و (الأيام والليالي)[١] .

هؤلاء هم أئمة المدرسة الكوفية التي كانت في أول أمرها بعيدة عن طريق المناطقة والفلاسفة ولكنها لم تلبث في عهد الفراء أن تأثرت بالمنطق والقياس على طريقة أهل البصرة ولكنها لم تغال غلو أهل البصرة[٢] .

(للبحث صلة) الدكتور محمد أسعد طلس

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(١) راجع بروكلمان G. A. L. ١ / ١١٦ والذيل ١ / ١٧٨

(٢) راجع الانصاف طبعة بريل ص ٥٤ ، وتاريخ علوم اللغة ترواوي ص ١٢٢

التعريف والنقد

خريدة القصر وجريدة العصر

قسم شعراء الشام ، الجزء الأول

ألّفه العماد الاصفهاني وحقّقه الدكتور شكري فيصل ونشره المجمع العلمي العربي في ١٨ ÷ ٦٩٠ صفحة (١) و ٨ رواميز – المطبعة الهاشمية بدمشق ، سنة ١٩٥٥

عُنِي العرب ، في مطلع عصر التأليف ، بالشعراء القدامى ؛ فجمعوا ما أُثِر عنهم وشرحوه ونقدوه . ثم جعلوا أُولئك الشعراء طبقات في الزمان وفي الإتقان ، وترجموا لهم وقوّموهم . ولكنّ هؤلاء المؤلفين لم يلتفتوا إلى عصريهم ، ولم يُقرّوا لهم بأيسر الفضل ؛ ولذلك دواعٍ ، من أعظمها ، فيما نظن ، عناية هؤلاء المؤلفين الأوائل بسلامة اللغة وصحة التعبير قبل كل شيء ، وهما إنما يُلتَمسان في عصري الجاهلية وصدر الإسلام .

ثم دخل الشعر العربي في طور جديد ، ونبغ فيه من المتأخرين مَن لا يقلّ عن المتقدمين ، في إشراق الديباجة وصحة الحوك وجمال المعاني والصور وتنوع الأغراض ؛ ففطن القوم إلى هذا الشعر الجيّد الجديد ، وأخذوا يؤلفون في طبقات الشعراء المحدثين والمولّدين ، ويعكفون على تذوّق منظومهم ، وينزلونهم المنزلة التي هم أحق بها . وفي المكتبة العربية تصانيف كثيرة ، كتبها أصحابها في هذا الشعر الحديث وشرحه ونقده ، وفي شعراء أواخر القرن الثالث وما بعده

(١) أخطأ الطابع في ترقيم بعض الصفحات ، فانتقل من ص ١٦٠ الى ص ١٧٧ ، وتجاوز الأرقام ١٦١ إلى ١٧٦ ، وعلى ذلك يقع نص الكتاب في ٦٧٤ صفحة فقط .

إلى يوم الناس هذا . ومن أجلّ هذه التصانيف كتاب (خريدة القصر وجريدة العصر) .

مؤلف هذا الكتاب هو عماد الدين القرشي الاصفهاني الكاتب (٥١٩—٥٩٧م). نشأ في فارس ، وطوّف في بلاد العراق والشام ومصر ، ولقي فضلاءها وأدباءها ، وأخذ عن كبار علمائها وشيوخها ، وصحب نور الدين وصلاح الدين ، وشهد حروبهما مع الفرنجة . وكان عالماً فاضلاً ، كاتباً شاعراً ، متمكناً من الفارسية ، مالكاً ناصية العربية ، طويل الباع فيها ، مولعاً بالنثر المصنوع المعقد ، يصوغ به رسائله ، ويفرغ فيه ما يؤلفه في تاريخ عصره الأدبي والحربي والسياسي ، ويكثر من التسجيع والترصيع والتجنيس والمطابقة ، حتى ليعسر على الحافظ استظهار أسماء بعض كتبه ، ككتابه (نصرة الفترة وعصرة القطرة) في تاريخ السلاجقة ، و (الفتح القسي في الفتح القدسي) في فتوحات صلاح الدين ، و (نحلة الرحلة وحلية العطلة) في اضطراب البلاد بعد موت صلاح الدين ، و (خريدة القصر وجريدة العصر) الذي نعرّف به هنا .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ويطول بنا الكلام إذا شئنا التحدث عن المصنفات التي ألف العماد كتاب (الخريدة) على نسقها ، وعن الكتب التي أُلفت بعده على غراره ، وعن المؤلفين الذين اعتمدوا (الخريدة) ، ونهلوا من معينها ، كياقوت وابن خلكان وابن شاكر والصفدي وابن السبكي وابن الفوطي وسبط ابن الجوزي وأبي شامة وابن كثير ...[1] فنقتصر هنا على التعريف (بالخريدة) فحسب .

كسّر العماد كتابه هذا على اثني عشر جزءاً ، جعلها أقساماً أربعة ؛ فقصر القسم الأول على شعراء العراق ، ووقف الثاني على شعراء العجم وفارس وخراسان ، وخصّ الثالث بشعراء الشام والموصل وجزيرة بني ربيعة وديار بكر وأضاف إلى هذا القسم شعراء الحجاز وتهامة واليمن ، وجمع في الرابع شعراء مصر وصقلية

(١) اقرأ كلمة في ذلك كله في : (الخريدة) ، القسم العراقي ، الجزء الأول ، المقدمة : ص ص ٨٢ — ٩٦ .

والمغرب وبلاد الأندلس . ولئن انفسحت رقعة مواطن هؤلاء الشعراء في المكان (فامتدت من أقصى المشرق العربي آنئذ إلى أقصى المغرب) فقد ضاقت في الزمان ، إذ يقول العماد : « وقد ذكرتُ أهل عصري ، وأهل عصر آبائي وأعمامي ، فالكتاب مشتمل على العصرين : السالف الماضي ، والحاضر التالي . وأكثرُ ما أوردتُه شعرُ مَن أروي عن واحد ، عنه ، إنْ لم أكن أدركتُه وسمعته منه . ولم أقتصر على المنتقى المنتقد ، والمتنخّل المنتخب ، بل ذكرتُ لكل شاعر ما وقع إليّ من شعره ، وأثبتّه : إما لمعنى غريب ، أو لفظ مستحسن ، أو أسلوب رائق .... » [1] . وقد اعتمد الدكتور شكري فيصل ماقاله ابن خلكان في ترجمته العماد ، إذ جعل الخريدة تحتوي على تراجم (الشعراء الذين كانوا بعد المائة الخامسة إلى سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة) [2] . وما نرى قول ابن خلكان حقًّا ، ففي الخريدة مثلاً ترجمة للشريف أبي الحسين علي بن حيدرة العقيلي ، وكان يعيش في النصف الأول من القرن الخامس [3] ، وأخرى للباخرزي صاحب « دُمية القصر » وقد توفي سنة ٤٦٧ هـ ، وثالثة للأمير تاج الملوك أخي صلاح الدين ، وقد توفي سنة ٥٧٩ هـ .

وقد يحسب القارئ بادئ بدء أن (الخريدة) موقوفة على الفحول من الشعراء ، ولكنه لا يلبث ، إذا ما مضى في مطالعتها ، أن يرى فيها شعراً للمغمورين منهم ، بل ولبعض الفقهاء والمحدّثين وأبناء الأجناد ، ثم يرى ، إلى جانب هذا الشعر أيضاً ، قدراً وافراً من نثر عصر العماد ، وقد غلبتْ على أكثره الصنعة ، وأثقله البديع ، فغاضت محاسن معانيه ، بالتأنق المتكلف في زخرفة مبانيه ؛ ولا عجب ، فالعصر عصر القاضي الفاضل وليّ نعمة العماد ، وأستاذه في هذا المذهب الفني ، ورائده في تأليف جزء الخريدة المتعلق بالمغرب .

(١) المصدر السابق ١ / ٧ .
(٢) راجع (الخريدة) ، قسم شعراء الشام ، الجزء الأول ، المقدمة : ص ٣ .
(٣) راجع (الخريدة) ، قسم شعراء مصر ، الجزء الثاني ، ص ص ٦٢ – ٦٣ .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

من عادة العماد في (الخريدة) أن يوطئ لكلام على الشاعر أو الكاتب بترجمة مسجّعة له ، ويعقب على ذلك بإيراد نتف من أخباره ، وأنباذ من رسائله أو أشعاره ، وقد ينسق هذه الأشعار على القوافي المتلاحقة على حروف المعجم ... ، ولكنه لا يلتزم ذلك كله دائماً ، ولا يتبع في التوطئة نسقاً واحداً ؛ فقد يغفل ذكر تاريخ ولادة المترجَم له أو وفاته ، أو يقتصر على ذكر اسمه وينتقل إلى ذكر شيء مما اختاره له . ووصفه لهؤلاء الأدباء غامض مبهم في الحين بعد الحين ، فالعماد يُضفي على أكثرهم ثوباً واحداً في معناه ، من الإشادة بمحاسنهم ، والتنويه ببراعتهم ، فكلهم « قسّ في الفصاحة ، وقيس في الحصافة ، وحاتم وعمرو في السماحة والحماسة » . وقد يكون هذا الثوب من الثناء ضافياً فضفاضاً على بعضهم ، وضيقاً قصيراً على الآخرين . فأكثر أحكامه النقدية لا يعيننا اليوم على إحلال الشاعر المنزلة التي يستحق ، بل ولا على تبيّن المنزلة التي كانت له عند العماد وأهل عصره ، وليست (الخريدة) في جملتها إلا قصائد ومقطّعات من الشعر وشذوراً من النثر ، اختارها أصحابها أو انتقاها المؤلف ، منها الحسن ومنها ما هو دون ذلك ، تسبقها توطئة في التعريف بصاحبها ، ليست من حرّ النقد الأدبي كما نفهمه اليوم إلا في الندرى . على أن (الخريدة) رغم هذا كله قد تعين مَن يتصدى لكتابة تاريخ الأدب والنقد في القرنين الخامس والسادس .

وقد يودع العماد (الخريدة) نتفاً من أشعاره ، ويقول في بعضها : « وما أوردتُها لجودتها ، على أنها ما تقصر عن الغاية ، بل لمناسبتها وكونها لائقة بهذا الموضوع . »[1] .

* * *

نهض بعض أفاضل علماء العراق ، بتكليف من المجمع العلمي العراقي منذ أكثر من خمس سنوات ، تحقيق القسم العراقي من (الخريدة) ،

(١) الخريدة ، قسم شعراء الشام ، ١ / ٣٠ .

وصدر في أوائل هذا العام (١٩٥٦ م) الجزء الأول منه ، كما كان قد صدر في القاهرة قسم شعراء مصر ، الجزء الأول سنة ١٩٥١ والجزء الثاني سنة ١٩٥٢ م .

أما القسم الشامي فقد عهد المجمع العلمي العربي بتحقيقه إلى الدكتور شكري فيصل ، الأستاذ في كلية الآداب في الجامعة السورية ، وصدر الجزء الأول منه في أواخر العام ١٩٥٥ م ، واعتمد المحقق خمسة مخطوطات تتفاوت قيمها ، ولكن أجلها مخطوط المكتبة الوطنية في باريز ، ويقدّر الدكتور فيصل أن يقع قسم شعراء الشام في ثلاثة أجزاء ، ويرجو - عندما يفرغ من نشرها - أن يعقب عليها بدراسة (للخريدة) ومؤلفها ، وللشعر في هذه الفترة .

وفي هذا الجزء الأول من قسم شعراء الشام ترجمة ومختارات لخمسة وأربعين علَماً : من شعراء بلاد الساحل الشامي (٣) وشعراء دمشق (١٠) وعلماء دمشق والقدس (١٠) وفضلاء دمشق (٨) وحمص (٢) وحماة (٢) وبني منقذ (١٠) . وفي تضاعيف هذا الجزء فصول ورسائل نثرية طويلة ، كرسالة (النسر والبلبل) ، للمهذب الدمشقي ، ورسالة في الصيد والشراب ، للأمير يعمر بن عيسى .

أنفق المحقق الفاضل ، مشكوراً محموداً ، الكثير من الجهد والوقت في إخراج هذا الجزء للناس ، وطبعه طبعة علمية نقدية منقّحة صحيحة ، فجمع ما تيسّر له من أصول الكتاب ، وقارن بين الروايات ، وتخيّر أفضلها ، وضبط الكلمات التي يتوقّف جمهور القرّاء عندها ، وشرح معنى الغريب منها ، وترجم لمن وردت أسماؤهم في المتن ، واستند في ذلك إلى المراجع العربية الموثوقة ، فيسّر بذلك قراءة هذا السفر الثمين ، وهوّن الإفادة منه على أيسر وجه وأهدى سبيل .

ووطّأ المحقق بمقدمة تعرّف بالكتاب ومؤلفه ، وتصف الأصول التي اعتمدها ، تقفوها رواميز هذه الأصول . ثم ألحق بهذا الجزء مستدركاً أودعه ما بدا له فيه رأي مستأنف بعد أن سبق طبعه ، وعقّب على ذلك بستة فهارس لأبواب هذا الجزء ، وأسماء شعرائه ، والمختار من منظومه ومنثوره ، وللأماكن ،

والأعلام ، والمراجع والكتب الواردة في متنه وحواشيه . ووضعُ فهارس متقنة وافية لمثل هذا الكتاب توسيع أمر محتّم في كل طبعة نقدية ، ولا يقدرها حق قدرها إلا الباحثون المتتبعون ، ولا يعرف عناء وضعها على الوجه الأكمل إلا من اضطلع بمثل هذا الأمر وكابد مشقاته . وفهارس هذا الجزء متقنة وافية تدل على الدقة والدأب والتبصر ؛ ولكننا كنا نودّ لو تبسط المحقق في التعريف بالكتب التي اعتمدها هو أو أشار اليها العماد، في فهرس (المراجع والكتب) ، فذكر فيـه حذاء المطبوع منهـا الطبعة والطابع ومكان الطبع وزمانه ؛ والى جانب المخطوط خزانته ورقمه ووصفه بايجـاز . وليس في فهرس (الأعلام) ما يميز صفحات الكتاب وحواشيه التي ورد فيهـا تعريف وافر بالعَلَم من الصفحات التي أشير فيهـا إليه إشارة عابرة ، وفي العادة أن يومأ إلى ذلك بأرقام متباينة . هذا واننا لنرجو أن يقوم المحقق أو أحـد تلامذته ـ بعد أن يتم نشر الكتاب بأصباره ـ بوضع فهرس آخر لألفـاظ (الخريدة) التي تنكرها المعاجم ، أو تغفل المعنى الذي حمّلته تلك الألفاظ في ذلك العصر ، حتى تنمى معرفة لغة أدبائه ، ويمهد بذلك إلى وضع معجم تاريخي بأطوار لغتنا العربية .

وقد يؤخذ على المحقق بعض الحواشي ، فهو مثلاً إذا ورد اسم الإمام الشافعي في المتن (ص ٣٣) ذكر في الحاشية : «أنه أشعر الناس وآدبهم» . وليس في مثل هذا التعريف بالإمام الشافعي كبير غناء ، ولا يشفع للمحقق أنه أخذ هذا الوصف عن غيره ، أو أن عدوى أسلوب العماد قد سرت إليه فيه .

وفي الكتاب تطبيعات ، أثبت الفهرس الثامن أكثرها وفاته بعض ما لا يفطن جمهرة القراء إليه ، كذكره كتاب «معجم الآداب في مجم الأسماء والألقاب» (ص ٥) ، والصواب «مجمع الآداب في ....» ، وقوله : «والمثل مجمع في الأمثال» (ص ٣٨٥) وصوابه : «والمثل في مجمع الأمثال .» وقوله : «بكا على ما كان .» ص ٢٨٨ وهي «بكى ....» .

... هذه العنوانات وأمثالها لا تقدح في محاسن هذه الطبعة النقدية ، ولا تعفي المنصف من إزجاء أطيب الثناء والحمد للمحقق الدكتور شكري فيصل ، فبجهوده وجهود ثلة من المحققين في هذا العصر أتيح لهذا الجيل أن يطلع على الكثير من ذخائر تاريخنا وأدبنا ، مجلوة في أجمل عرض وعلى أصح نهج وأيسر سبيل ، وغدا فضل بعثها من خزائنها ، ونشرها نشراً علمياً لا تجارياً ، مشاعاً بين علماء العرب والمستشرقين .

* * *

وكلمة أخيرة ، هي أن (الخريدة) هذه الموسوعة الثمينة ، مقسمة الى أقسام ، اضطلع بتحقيق جزءين منها باحثون من مصر ، وجزء ثالث باحثان عراقيان ، وجزء رابع باحث دمشقي ، وولّى كل من هؤلاء وجهة مستقلة ، فكانوا طرائق قدداً في نهج التحقيق والشرح ووضع الفهارس ، وفي الاعتماد على الأصول ؛ واطلع بعضهم على مخطوطات لم يطلع عليها الآخرون فيفيدوا منها ، وطبعت هذه الاجزاء بأحجام مختلفة ... فحبذا لو تضامّ المجمع العلمي العربي والمجمع العلمي العراقي ، وأقرّا طريقة واحدة في نشر الأجزاء الباقية من قسم شعراء الشام والعراق ، ثم حفزا همة (الإدارة الثقافية في جامعة الدول العربية) كيما تشترك معهما في نشر أقسام الكتاب الأخرى التي لم يتصدّ أحد لتحقيقها ، كقسم شعراء العجم وفارس وخراسان وصقلّيّة والمغرب والأندلس ، وفي إعادة نشر القسم المصري على النسق الذي يقر الرأي عليه ، وفي وضع فهارس موحدة شاملة وافية للخريدة في أجزائها كلها ، ليعم نفعها ويسهل على الباحثين الرجوع إليها ، ولهم ولمن يعينهم على تحقيق هذه الأمنية وافر الشكر واصبا .

عبد الهادي هاشم

طبقات الأطباء والحكماء

تأليف أبي داود سليمان بن حسان الأندلسي المعروف بابن جلجل
ألفه سنة ٣٧٧ هـ . حققه فؤاد سيد ، امين المخطوطات
بدار الكتب المصرية . مطبوعات المعهد العلمي الفرنسي
للآثار الشرقية بالقاهرة (١٩٥٥)

هو أول مؤلف في تاريخ الأطباء والحكماء ظهر في الأندلس . وهو من أقدم ما كتب في هذا الموضوع . ويعد مع الفهرست الذي ألفه ابن النديم في نفس السنة التي ألف فيها ابن جلجل كتابه هذا وذلك في حدود سنة ٣٧٧هـ من أقدم الوثائق الهامة في تاريخ العلوم بعد كتاب تاريخ الأطباء والحكماء لاسحق ابن حنين المتوفى في سنة ٢٩٨ .

نقل عنه نقولاً كثيرة صاعد الأندلسي في كتابه طبقات الأمم وابن أبي أصيبعة في عيون الأنباء وطبقات الأطباء، وابن القفطي في إخبار العلماء بأخبار الحكماء، وابن العبري في مختصر تاريخ الدول وغيرهم . ويتميز هذا الكتاب كما أشار اليه المحقق بأن مؤلفه يعتمد فيما رجع اليه من مصادر على تراجم عربية لأصول لاتينية تاريخية . بينما أكثر الكتب التي نقلها العرب او غيرهم من المترجمين كانت عن أصول يونانية . والقليل منها عن اللغات الفارسية والسريانية والهندية . مما جعل لهذا الكتاب قيمة علمية خاصة . وقد استقى ابن جلجل ما جاء في كتابه هذا من مصادر منها ما هو عن طريق النقل من الكتب التي اطلع عليها ككتاب الألوف لأبي معشر وغيره . ومنها الأخبار المروية بالسماع ممن عاصره من العلماء وقد انفرد بها ونقلها عنه من جاء بعده . ومن هذه النصوص ترجمة ماسرجويه لكتاب إهرن القس أيام مروان بن الحكم . وان الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز وجده في خزائن الكتب وانه استخار الله في إخراجه ال

المسلمين وبثه في أيديهم . ولا يخفى ما لهذا النص من الأهمية في تاريخ حركة النقل والترجمة وحفظ المؤلفات في خزائن خاصة في صدر الدولة الأموية .

ومما تحسن الاشارة اليه ما ذكره المؤلف في مقدمة كتابه من أنه ألف هذا الكتاب إجابة لسؤال شريف أديب من أشراف عصره ، ووصفه بالشريف الأصل الطيب النجد . الأموي القرشي . نجل الخلفاء وسلالة الأئمة الداعين الى الهدى . فقد سأله أن يكتب اليه عن أول من وضع صناعة الطب وتكلم فيها . وذلك لأنه لم ير لأحد من المتقدمين في ذلك كتاباً مرضياً ولا كلاماً مقنعاً مشبعاً . مما يدلنا على ما كان عليه علية القوم من ملوك وأشراف وأمراء في الأندلس في ذلك العهد الذهبي الغابر من ولع شديد بالتنقيب عن الحقيقة والمعرفة ومن أثر خالد في الحض على التأليف ونقل العلوم ونشرها بين الناس وازدهار الحضارة .

اعتمد المحقق في تحقيق هذا الكتاب على نسخة وحيدة لم يعثر على نظيرها في مكتبات العالم على ما بلغ اليه بحثه . وقد اعتبر النصوص المنقولة من ابن جلجل في كتب من ألف في هذا الموضوع كابن أبي أصيبعة والقفطي والعمري وصاعد وغيرهم نسخاً غير مباشرة صحح بها النص وحقق منها الخلاف الوارد في العبارة أو اللفظ مع المحافظة على نص المؤلف كما ورد في النسخة المخطوطة . وانما بين ذلك في الحواشي معزواً الى مصادره .

وقد عني المحقق عناية كبرى يشكر عليها بالبحث عن تراجم الشخصيات التي وردت في المتن . على ما في ذلك من صعوبة ومشقة . فأتى بتراجمهم مع ذكر مصادرها ، كما عني بالتعريف بالكتب والمصنفات الواردة في تراجم الأطباء وتعيين أماكن وجودها في العالم . وقد ألحق بكل ترجمة تعريفاً موجزاً بصاحبها لتعيين عصره وتاريخ مولده ووفاته بذكر اسمه كملاً . متماً بذلك النقص الكبير الوارد في الأصل إذ المؤلف أوجز في ذلك إيجازاً شديداً حتى انه لم يذكر تواريخ الوفاة لمن ترجمهم .

ويربو ما أضافه المحقق على كتاب ابن جلجل في مقدمته وفي حواشيه وذيوله من الشروح والتراجم والوثائق التاريخية والملاحظات القيمة على عدة أضعافه مما يوضح لنا الجهود الجبارة التي بذلها لإخراج هذا الكتاب القيم على الصورة الكاملة التي ظهر بها والتي لا يحتاج الناظر فيها الى الرجوع لأي مصدر آخر لإيضاح غامض . أو معرفة ما ليس بمعلوم لديه .

ويقع الكتاب بـ ١٨٠ صفحة منها ٤٠ صفحة حوت المقدمة و ١١٦ صفحة حوت كتاب ابن جلجل مع حواشي المحقق . وقد صنف المؤلف الأطباء والحكماء الذين أتى على تراجمهم في تسع طبقات ذكر في الأولى الطبقة العالية الأولية ممن تكلم في الحكمة الطبية والفلسفة العلوية . ثم الطبقة الثانية الحكمية الرومية اليونانية ثم الطبقة الثالثة من حكماء اليونانية الذين كانوا في دولتهم بعد الفرس ممن شهر في الطب والفلسفة . ثم الطبقة الرابعة من حكماء اليونانية ممن تكلم في الدولة القيصرية بعد بنيان روما . ثم الطبقة الخامسة من الحكماء الاسكندرانيين . ثم الطبقة السادسة ممن لم يكن في أصله روميا ولا سريانياً ولا فارسياً . ثم الطبقة السابعة من حكماء الإسلام ممن برع في الطب والفلسفة ، ثم الطبقة الثامنة من حكماء الإسلام ممن سكن المغرب ، ثم الطبقة التاسعة الأندلسية الحكمية منهم والطبية .

وقد اختتم الناشر هذا المؤلف بتعريف الكتب التي تكرر ذكرها في المراجع مختصرة . ثم بفهرست الأعلام . ثم بفهرست الأماكن . ثم بفهرست أسماء الكتب الواردة في متن الكتاب . ثم بثبت المراجع وبيان طبعاتها ثم بفهرست الكتاب .

هذا ولا يسعني بعد هذا الوصف الموجز لهذا الكتاب القيم إلا أن أثني على ما بذله المحقق من العناية الكبرى في إخراج هذا الكتاب الذي يُعد بما أُضيف اليه من الحواشي من أنفس التحف التاريخية التي يفخر بها أدبنا وتاريخنا العلمي .

الدكتور أسعد الحكيم

أعيان الشيعة

تأليف السيد محسن الأمين عضو المجمع العلمي العربي
الأجزاء : السابع والثلاثون والثامن والثلاثون والتاسع والثلاثون

ان مؤلف «أعيان الشيعة» لمن أبرك المجتهدين الاماميين على مقلديهم في الديار الشامية لما قام به من الاصلاح المذهبي والاجتماعي ، فقد حارب البدع السيئة ، وعمل بروح تسامحه وقوة عقله على تقريب القلوب بين الطائفتين الاسلاميتين الكبيرتين من السنة والشيعة ، وأشار على قومه بأن يصلّى عليه بعد وفاته في الجامع الأموي الكبير ، وقضى رحمه الله حياته كلها في العلم والتعلم وإصلاح العقول والأرواح ، وأكبر مؤلفاته أعيان الشيعة ، وهو دائرة معارف رجالية كبيرة لا يستغني عنها عالم ولا أديب في أبحاثه ، فقد كتب عن دعبل الخزاعي مئة صفحة في الجزء الثلاثين ، ومن أهم ما في هذه الصفحات إيراده القصيدة التائية التي زادت عن مئة وعشرين بيتاً ، وقد نوّه بذلك الأستاذ فرّاج مؤلف «دعبل الخزاعي» ودعا للمؤلف بأن يجزيه الله أعظم الجزاء ، كما نوّه بفضل الفقيد الدكتور عبد العزيز عزت أستاذ الأخلاق وعلم الاجتماع بكلية الآداب بجامعة القاهرة في كتابه «ابن مسكويه فلسفته الأخلاقية ومصادرها» ، وذكر أن ما كتبه الفقيد في الجزء العاشر قد بلغ خمساً وستين صفحة تشتمل على خير ما ذكره العلماء عن مسكويه ، وخير ما لهذا الحكيم من منظوم ومنثور في الحكمة والأدب .

وفي هذه الملحمة من العلماء والأدباء من يراهم السنة من أعيانهم ، وإذا كان من يحب آل البيت ، ويتخذ حبهم ذريعة تقربه زلفى الى الله ، يعدّ شيعياً ، فما أحرى هذه الملحمة الرجالية : أن تبلغ من الأجزاء ألوفاً ، فهي على ذلك من مظاهر جمع الشمل وتوحيد الكلمة الإسلامية مما كان فقيدنا يسعى اليه ويجمع القلوب المتنافرة عليه رحمه الله .

وتحتاج الأجزاء الباقية الى عناية تامة بتصحيح نصوصها ، فان فيما نشر بعد وفاة المؤلف من الأغلاط أو الهفوات المطبعيـة ما ليس معاً فلا نتعرض له ، ومنها ما لا يحمل وقوعه فى مثل هذه المعلمة ولا يرضى صاحبها مما يفسد المعنى بعضه ، أو ينكسر به وزن الشعر ، ولم ينبَّه له في التصحيحات كما في البيت التالي (٣٧/ ٤٥) ، وهو من الخفيف :

ما حنيني الى زرود ولا را مة لولاكم ما بهـا لي مرامُ

فان صدر البيت سليم وعجزه غير قويم ، وما هو كذلك في ديوان الشاعر ، ويستقيم الوزن لو قيل :

ما حنيني الى زرود ولا را مة مالي بهـا سواكم مرامُ

وجاء في (٣٧/ ٥٠) :

لي الله كم لي وقفة بعد وقفة مع الدهر ردت علا الدهر أجذما

والصواب : «مع الدهر قد ردّت ...» .

وفي (٣٧/ ٥٣) قوله :

لو طلبتم لي مزيداً في الهوى ما وجدتم فوق ما بي مزيدا

ويستقيم وزن العجز لو قال : (فوق ما فيّ ...) .

وقوله والضمير يرجع لمهجته (٣٧/ ٥٦) :

تركتهـا بين ندمان غطارفة غروا غلـة بيض مصاليت

والصواب : «غروا بها غلة ...» .

ومن هفوات العروض أو المطبعية قوله (٣٧/ ٥٩) :

وانهضن بهمة حازم أنت الذي رصّعت تيجان الرياسة جوهرا

ويجبر كسر الشعر بعدم توكيد الفعل : «وانهض بهمة ...» .

وجاء في البيت الذي يليه : (جادعاً نبن) والصواب (عرنين) وهو من المطبعة ، وجاء في البيت الذي يليه من غلط المطبعة : (والمجرة مبرا) والصواب

(منبرا) ، وبذلك لم يخل بيت من هذه الأبيات الثلاثة المتوالية من هفوة ، وقد ذكرتها على سبيل المثال .

وانظر الى هذا البيت (٣٧ / ٦١) وهو من مجزوء الكامل :

وأنا اذا استنجدت لم يكن بك منجدي

فانك تجد ان الشطر الثاني (يكن بك منجدي) مكسور .

ومن محاسن الجزء الثامن والثلاثين بحث عن ديك الجن عبد السلام بن رغبان في ثمان صفحات ، وفي ترجمته من الشعر والأخبار ما قلما يعثر عليه ، وفي الجزء التاسع والثلاثين ترجمة الأمير الأديب عبد الله بن سنان الخفاجي الحلبي صاحب سر الفصاحة [1] والذي كان يتشبه بالشريف الرضي في شعره ، فقد جاءت ترجمته في ٣٧ صفحة ، وفيها من خبره ومختارات شعره الشيء الطريف .

وكنا نود لو أشبع المؤلف البحث عن الإمام أبي الفتح عثمان بن جني ، فقد ترجمه في سطر واحد ، وذكر أنه من مشايخ السيد الرضي ، وما أدري لعل بقية الترجمة لم يعثر عليها .

ومن هفوات الجزء الثامن والثلاثين (٣٨ / ١٧) البيت التالي :

وما انا ان شط المزار بذاهل عن الود حتى تحتويني مصاوعي

والصواب البيّن (مصارعي) ، وجاء في (٣٨ / ١٩) :

خليلي عرّجا بالديار وسائلا أهيل الحمى عن عهدنا المتقادم

والصواب (عوجا) ، وجاء في (٣٨ / ٣١) :

وضع الدهر عليهم بركة فأبيدوا لم يغادر غير نَسْلْ

والصواب (بركه) أي صدره ، وهذا البيت من قطعة شعرية مطلعها :

سألتني جارتي عن أمتي واذا ماعيي ذو اللب سألْ

والصواب (وإذا ماعيّ) ، وإلا اختل الوزن .

---

(١) وقد نشره أخيراً الأستاذ عبد المتعم الخفاجي نشرة علمية صحيحة .

وجاء في الجزء (٣٩ / ٣٥) : « الامام جمال الدين بن مظهر » وأظن الصواب « المطهر » . ومن هفوات النحو في هذا الجزء مما سلم منه الأصل ما جاء (٣٩/ ٤٣) : « وكان يحب الانصاف بين الرعية ، ولكنه جاهلا بأمور الرعية » والصواب (جاهل) ، ونحسب ان (كان) قد سقطت حين الطبع ، وان الأصل (ولكنه كان جاهلاً ...) .

وجاء في (٣٩/٣٩) :

فالله أعلم حيث جعل علمه في جوف طاهرْ

ويستقيم الوزن بقوله (حيث يجعل) .

وجاء في (٣٩/٩٦) :

قضى الله فيها ما قضى ثم انقضى وما ما مضى إلا كأضغاث حالم

ويستقيم الوزن بقوله (ثمت انقضى) وأحسبه كان في الأصل قبل النشر .

ومن جنايات المطبعة (٣٩/١٠٣) :

فكم أمر أغالب فيه نفسي ركبت فكان أدنى للجناح

والصواب للنجاح كما لا يخفى .

هذا ما ذكرته من الهفوات على سبيل المثال ، وقد يكون فاتني ولا شك كثير من السهو الواقع في هذه الأجزاء الثلاثة مما لا يتسع له صدر هذه المجلة فتركته ، وأنا أعتقد أن ذلك كله لا ينقص من قدر هذه الملحمة الممتعة شيئاً ، وأرجو أن يهتم السيد الحسن نجل الفقيد بنشر الأجزاء التالية نشراً حسناً يليق بهذا الكنز الدفين .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

التاثرون في التاريخ

الملك سيف

تأليف دار الحكمة باشراف علي ناصر الدين

تقوم دار الحكمة البيروتية للتأليف والترجمة والنشر بأعمال علمية وأدبية جليلة للأمة العربية وقضيتها ، فقد نشرت أبحاثاً ممتعة عن الثائرين من العرب في التاريخ وهي سلسلة أدبية ذهبية والملك سيف بن ذي يزن الحلقة الثانية منها ، وتريد دار الحكمة أن تجلو بها صفحة مجيدة من تاريخنا العربي القديم تدل بها على نبل النفس العربية ومبلغ هيام العربي بالحرية وتقديسه لها واستعداده الطبيعي للثورة في سبيلها ، وقد دلت قبلاً على ذلك بالحلقة الأولى التي خصتها بدراسة (الملك أذينة والملكة الزباء) . وشبيبتنا العربية الناهضة أو الثائرة اليوم في حاجة حاقة الى مثل هذه الدراسات القومية التي تكشف الحجب عن كثير من الحقائق كانت مطموسة فتضرم في قلوبهم جذوة الحماسة العربية وتحمل كل فتى منهم على اقتباس قبس منها .

وتعنى هذه الحلقة الثانية بدراسة لسيف بن ذي يزن وثورته على الأحباش الذين غزوا اليمن العربية وعاثوا فيها فساداً ، والملك سيف هذا هو البطل العربي الشعبي الذي تتداول قصته ملايين الأيدي العربية في مختلف الأقطار ، وليس فيها من شخصية الملك سيف ولا من حقيقته العقلية والوطنية شيء ذو بال يستحق أن يعتبر به شبابنا العربي المتعلم المستنير لما في تلك القصة من السطحية والمبالغات التي تطمس نور الحقيقة وتحمل على الاستخفاف وقلة المبالاة .

وملكنا العربي هذا قد لعب وهو فتى في تاريخ الوجود العربي دوراً بطولياً رائعاً ، وجعل من قضية بلاده وتحريرها قضية دولية ، فنجح بمساعيه السياسية والتفاف قبائل اليمن حوله وهي ثائرة للاستقلال وتحطيم الأغلال ، فحرّر بلاده

العربية بقوة الإيمان ، وحطم بحوافر جواده وجياد بني قومه سيوف الأحباش فآبوا الى بلادهم مذمومين مدحورين .

وفي هذه الدراسة السيفية كثير من المواقف القومية التي تهز أعطاف الفتوة العربية . وهي خليقة بالتحدث عنها لولا ضيق النطاق . ومن الخطأ النادر الذي وقع فيها ما جاء في شعر تبع يصف صنعاء :

لبس يؤذيهمُ فيها وهج الحر ولا القرّ في زمان اقترار

والصواب بها بدل (فيها) ، ولا يسعنا إلا الشكر لدار الحكمة لما تنشره من هذه الدراسات الأدبية والقومية بإشراف الأديب العربي المبين الأستاذ علي ناصر الدين جزاه الله عن الأدب وقومه العرب خيراً .

التنوخي

رد على ميخائيل نعيمة في « مرداد »

بقلم الأب يوحنا الخوري ب . م .

٢١٣ صفحة بالإضافة إلى الفرس ومقدمة سعيد عقل

الحجم : ١٤ × ٢٠ سم — المطبعة المخلصية بصيدا ، ١٩٥٦

حين وقعت عيني على الرمز الذي وُشّح به هذا الكتاب « أفعى رهيبة ملتوية على نسر طائر تنهش صدره » خطرت ببالي الصورة الرائعة الشهيرة في إلياذة هوميروس . وتساءلت : أيصح أن نتخذ من هذا الرمز مثل المعنى الذي اتخذه منه العراف بوليداماس ، فأرى فيه — هذه النوبة — شؤماً (لا على هكتور بطل طروادة) بل على ميخائيل نعيمة الكاتب ؟ . . ولكنني ما لبثت أن ذكرت أن الإلياذة تضيف أن القائد استشاط يومئذ غضباً من الإرهاص وقال للعراف : « ما أنا من يبالي كلام الطير حين أتلقى كلام زفس رب الجبابرة ! » وإذ ذاك عزفتُ عن الطيرة وفتحت الكتاب .

علامَ مدار الجدل ؟

كان الكاتب المهجري ميخائيل نعيمة وضع كتاباً بالإنكليزية ونقله بنفسه إلى العربية بعنوان « كتاب مرداد منارة وميناء »[1] . ويظهر أن قد تمتع هذا الأثر بحظوة رفيعة لدى المتأدبين في أرجاء واسعة من العالم ، حتى لقال في حقه الشاعر سعيد عقل : « في لبنان نقرأ مرداد على أنه رائعة بشرية ، وفي مصر يقولون إنه كتاب العصر في اللسان العربي ، وفي الهند يتلمسونه في ترجمته (كذا) الإنكليزية المطبوعة هناك ، كأنه وحي آخر وفد إليهم من جوار وطن يسوع » . وباعتقادي أن سحر هذا الكتاب راجع ، بالدرجة الأولى ، إلى ألغازه المغربة المثيرة المحرّضة بغموضها وبوضوحها على السواء ؛ وبالدرجة الثانية لأن فيه من حيث الصياغة حرارة أسلوب نيتشه وطعمه ورائحته في « هكذا تكلم زرادشترا » . يضاف إلى هذا وذاك أنه عَرَض ، في ثوب فنيّ مبتكر ، أفكاراً عسيرة الهضم ، من حيث الأصل ، مردُّها إلى الميتافيزياء الجرمانية المتصلة بوحدة الوجود (Panthéisme) ولا سيما إلى مثالية فيخته الذاتية (Idéalisme Subjectif) التي تجعل « الأنا » مبدأً أعلى لأنها « المفكِّر والمفكَّر به في آنٍ معاً » ولأنها « الخالق والمخلوق في آن معاً »[2] .

ومع أن ميخائيل نعيمة لم يكتب مطوّلاً في الفلسفة « الجدلية » ، وإنما كتب أثراً أدبياً ـ شعرياً بمنى من المعاني ـ ليدلّل على قيمة النظرة الشخصية في التفكير وفي الإبداع (ولذلك اضطر إلى بعض المقارنات التي تُرعب رجال الدين) فقد حسب الأب يوحنا الخوري أن عليه أن يقاضيه أمام محكمة لاهوتية ، فنصب موازين الحساب وجاء يدينه على الكبائر والصغائر . فكذلك إذا كتب

(١) نشرته مكتبة صادر ببيروت سنة ١٩٥٢ .

(٢) راجع في كتاب نعيمة الفصل الثاني بعنوان : في الكلمة المبدعة « أنا » هي الينبوع والمحور .

نعيمة : « هذا كتاب مرداد كما دونه نروندا أصغر رفاقه سناً وأقلهم قدراً منارةً وميناء للتواقين الى التغلب أما غير التواقين فليحذروه » كَلّف الأب يوحنا الخوري نفسه عناء الرد فكتب : « هذا كتاب مرداد كما دونه نروندا أصغر رفاقه سناً وأقلهم قدراً تظليلاً وتضليلاً في لجج الشك لمن خانتهم المعرفة فسقطوا وارتطموا أما ذوو اليقين فليتقوه . » حتى إن نعيمة حين يجترئ فيُجري على لسان شمادم (الراهب المسحور) مجرد قوله : « لقد اشتعلت نار الحرب بين مرداد وبيني ، ووَقَعَ الضغائن في القلوب لأشدُّ فتكاً من وقع السيوف القواضب [...] ولو أن رفاقي نصروني عليه لسحقته في النهاية سحقاً ، ولانتزعت قلبه من صدره وأكلته أكلاً » ، لا يلبث الناقد الأب المحترم أن يجيب : « كفى ، يا ميخا [= ميخائيل ؟] ... ومن الراهب الذي شبَّ على روح الحقد هذه ؟ لست أظن راهباً في العالم تثور فيه سورة الغضب ويضطرم فيه حب الانتقام إلى هذا الحد ، إلا إذا كان شيطاناً رجيماً صعد من الهوة السوداء وتسلل بين الرهبان بزي واحد منهم » . وهكذا لا نجد فصلاً من فصول نعيمة إلا وللأب يوحنا تعقيب عليه ومناقشة دينية حادة تدعمها أقوال الأحبار والنصوص المقدسة : فهنالك كلام طويل حول « ثالوث مرداد » و « كلمة الله وكلمة الإنسان » و « طريق الخلاص » و « الدينونة ويوم الدين » و « الإرادة الكلية » الخ ... وكله محمول على الظاهر ، مع أن للكلام الرمزي ـ كما هو معروف ـ ظاهراً وباطناً .

هذا وقد لاحظنا في الكتاب بعض الخطيئات (المطبعية في أيسر الأمر) فمن ذلك ص ١٦ أنه روى مطلع قصيدة « المساء » لخليل مطران رواية كسر بها البيت فقال :

داء ألمّ بي نخلت فيه شفائي   من صبوتي فتضاعفت بُرحائي

وواضح أن « بي » جاءت هنا على سبيل تطفيف الموازين ! ومن ذلك قوله

ص ١٠٠ : « فاستبدلت خالقك بمخلوقك » مع أن العكس هو المراد على ما ورد في الآية الكريمة : أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير ؟ » .

على أنه لا بد من القول أن الناقد الأب الخوري قد أنفق في عمله — والثواب على قدر المشقة — جهداً جدلياً متعباً ، حتى إنه شعر في موضع من المواضع بالحاجة الى سرد الأدلة المدرسية (الكلاسيكية) على وجود الله على نحو ما نلقاه عند فلاسفة كالقديس أوغسطين وابن سينا وخاصة توماس الأكويني . ولكن ترى أكل هذا الجهد المضني يستلزمه أثر أدبي اتخذ لغة الرمز والإشارة ؟

في رأينا أن الأدب يجب ألا يطرح على هذا الصعيد .

الدكتور حكمة هاشم

المدخل الى تاريخ الحضارة

(الجزء الثاني) تأليف الدكتور جورج حداد

يقع في (٥٧٠) صفحة من قطع الوسط طبع في دمشق سنة ١٩٥٤

سبق لي في هذه المجلة نشر كلمة عن الجزء الأول من هذا التأليف القيم أطريت فيها جهد المؤلف وسعة اطلاعه وصدق مصادره وأكبرت فيه هذه المحاولة الجريئة بنقله هذا العلم الحديث وادخاله قصة الحضارة الى مسرح الحياة العلمية العربية .

بحث المؤلف في هذا الجزء شروط الحضارة ومصادرها ومظاهرها وعن آثر الحضارة وتفاعلاتها وانتشارها في الشرق الأقصى والهند وإيران وبيزنطية والبلاد العربية منذ فجرها حتى نهاية العصور الوسطى . وقد جال فيها جولة دلت على علم غزير واختبار صحيح جعلا هذا الكتاب مرجعاً ومنهلاً للباحثين . وقد جاءت أبوابه وفصوله وحدة متماسكة بعد أن بسطها المؤلف بأسلوب شيق مقرب لأفهام القاري مهما كانت ميوله واختصاصه .

عترضت هذا الكتاب - كغيره من المؤلفات التي عالجت مواضيع دخيلة على الثقافة العربية - عقبة المصطلحات الفنية الحديثة ، وهي مهمة شاقة بقدر صعوبتها من عانأها . وقد توفق المؤلف في أكثرها ، غير ان في بعضها غموضاً في تحديد مدلولها كاستعماله لفظة (الهلينية) و (الهلنيسية) في مواضع لا تتفق مع مدلولها .

وقد بدا لي بعض الملاحظات على تعابير وردت في الكتاب يضاف اليها أخطاء مطبعية رأيت من الفائدة الإشارة اليها :

الصفحة	الخطأ	الصواب
٢٠	ابتدائية	بدائية أو فطرية
٣١	بدون طبخ	النيء
٤٠	حدد	هدد
٤١	الجنيون	لعلها (الجثيون)
٦٥	البابيروس	البردي
٧٥	الآجر المخبوز	حذف المخبوز لأن الآجر هو الطين المخبوز
٩٠		أخطأ في تقدير المسافة بين حدود الامبراطورية الرومانية والهند فهي تساوي أضعاف ما قدره لها
٩٣	الخبرزان	الخيزران
١٠٣	البيروتي	البيروني
١٠٥	قشر الشجر	اللحاء
١٢٥	يانغ شاه	يانغ شاو
١٢٩	دراجون	تنين
١٩٨	شور طاق	جهار طاق
٢٠٧	هركول	الجبار

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

الصفحة	الخطأ	الصواب
٢١٢	جانباً	ضلماً
٢٢٧	الصرب	العرب
٢٣٣	ماتوا بدون وصية	ماتوا بدون وريث
٢٣٦	الفورم	الفوروم
٢٧٣	قلب اللوزة	قلب لوزة
٢٧٤	ان زخارف قصر المشتى هي هيلنسية سورية أكثر منها فارسية .	
٢٨٩	الهليل الخصيب	الهلال الخصيب
٣٠١	معبد بعل	معبد بل
	لوحات بارزة	ركائز
	الكتابة على الكتف	فوق الكتف
	القول ان أصل سكان تدمر قبائل عربية مبالغ فيه وينطبق هذا الزعم على فئة منهم	
٣١٥	الجابية في الجولان	في الجيدور
٣٢٣	قوله (كانت الاعتقادات ترتكز على القمر الذي يرعى البدوي أغنامه على ضوئه) هذا التعليل لا يتفق مع طبيعة الغنم لأنها لا ترعى ليلاً ولا في ضوء القمر .	
٣٥٣	قوله ان بعض مآذن الجامع الأموي بنيت على أنقاض أبراج الكنيسه التي كانت قبلاً هو زعم باطل والأصح أن يقال على أنقاض أبراج الهيكل الوثني .	
٣٥٦	إن رواية نبش قبور خلفاء بني أمية من قبل العباسيين هي رواية متأخرة وضعيفة لا يؤخذ بها .	
٣٧٦	قوله ان زمسكس البيزنطي دخل دمشق فاتحاً . لم أعثر على ذكر هذا الخبر عند مؤرخي العرب .	

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

صفحة

٣٨٥ قوله أكمل المعظم بناء المدرسة العادلية الكبرى التي بدأها العادل والصحيح أن أول من أنشأها هو نور الدين محمود بن زنكي ثم بنى بعضها الملك العادل ثم أتمها ولده الملك المعظم .

٤٤٣ تربيعات قاشاني ، الأصح أن يقال ألواح قاشاني لأنها مختلفة الأشكال منها المربع والمستطيل و لمضلع وغير ذلك .

٤٨٥ قلعة السبيبة ، الصواب : الصبيبة

وقد استعمل المؤلف في بحثه عن العصر الاسلامي اسم سورية بدلاً من الشام الذي اشتهرت به عند العرب . كما اعتمد في أكثر وقائع ذلك العصر التاريخ الميلادي دون التاريخ الهجري الذي لا يصح أن يغفل في مثل هذا البحث .

نسجل للمؤلف الشكر لجهده الموفق وإقدامه على هذه البادرة الطيبة فأضاف الى تراثنا العلمي عنصراً جديداً كنا نشعر بنقصه مع شدة الحاجة اليه .

جعفر الحسني

محاضرات في القانون المدني اللبناني

ألقاها الدكتور صبحي المحمصاني

على طلبة الدراسات القانونية سنة ١٩٥٥

يتابع معهد الدراسات العربية العالية ، الذي أنشأته في القاهرة جامعة الدول العربية سنة ١٩٥٣ ، الطريق التي بدأها بدعوة رجال العلم من مختلف البلاد العربية لإلقاء محاضرات عامة على طلابه ، وتشمل هذه المحاضرات جميع الفروع التي يقوم المعهد بمنح شهادات فيها تحقيقاً لأغراضه العلمية الثقافية .

ولقد كان من بين العلماء الذين دعاهم المعهد سنة ١٩٥٥ الدكتور صبحي المحمصاني عضو المجمع العلمي العربي ، الذي حاضر طلاب قسم الدراسات القانونية

عن القانون المدني اللبناني ، وتبعاً لخطة التي يسير المعهد عليها ، في حصر المحاضرات في ناحية محدودة من نواحي البحث المقرر والتوسع فيها والتعمق في دراستها ، فقد انتقى الدكتور المحمصاني ، من أبحاث القانون المدني الواسعة ، موضوع (انتقال الالتزام ، حوالة الحق وحوالة الدين) ، وحاضر فيه عدة محاضرات طبعها المعهد سنة ١٩٥٦ في كتاب جاء في ٦٠ صفحة من القطع الكبير .

بدأ الدكتور المحمصاني محاضراته القيمة يبحث فكرة انتقال الحق الشخصي في الشرائع القديمة التي كانت لا تقر انتقال الحق الشخصي بسهولة كما كانت تقر انتقال الحق العيني ، ثم بين المحاضر كيف تطورت النظريات الفقهية والقانونية وأخذت تنظر في الحقوق والالتزامات الى قيمتها المادية لا الى قيمتها الشخصية ، وكيف قبلت الشرائع الحديثة ، بعد هذا التطور ، فكرة انتقال الحق أو الدين بالإرث أو بالعقد .

وقد بحث الدكتور المحمصاني في الباب الثاني من محاضراته حوالة الحق أو انتقال دين الدائن ، بعد أن قدم للبحث بلمحة تاريخية مقارنة لخص فيها آراء الفقهاء المسلمين تلخيصاً جامعاً موفقاً ، ثم تكلم على شروط انعقاد حوالة الحق وعن آثار هذه الحوالة بين المتعاقدين وقبل المدين والغير ، وفي الباب الثالث تكلم المحاضر عن حوالة الدين أو انتقال دين المدبون وشروط انعقاد الحوالة وآثارها .

وكان الدكتور المحمصاني خلال أبحاثه يبين حكم القانون اللبناني مشيراً الى حكم القانون المصري وأحكام قوانين بقية البلاد العربية مع مقارنتها بأحكام القوانين الأجنبية ، غير مغفل حكم الشريعة الاسلامية في مختلف مذاهبها وذلك بأسلوبه القانوني المركز الذي عودنا إياه في كتبه العديدة ، مما جعل كتابه الجديد تحفة في علم الدراسات القانونية المقارنة يجدر بجميع رجال القانون الاطلاع عليها .

الدكتور عدنان الخطيب

أمراء دمشق في الإسلام

تأليف صلاح الدين الصفدي المتوفى سنة (٧٦٤ هـ)
وتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد ، مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق سنة (١٩٥٥)
وهو في (٢٢٢) من بحجم هذه المجلة

الأستاذ البحاثة المحقق الدكتور صلاح الدين المنجد ولع زائد في مدينة دمشق ، فقد نشر وألف عدداً كبيراً من الموضوعات المتعلقة بها تثير الإعجاب بجهده وإخلاصه لبلده ، كما تدعو الى شكره على عمله المبرور .

نذكر على سبيل المثال نشره الجزء الأول والثاني من تاريخ دمشق لابن عساكر ، وفضائل الشام ودمشق للربعي ، ودور القرآن بدمشق للنعيمي ، ومختصر تنبيه الطالب للعلوي ، وأرجوزة في محاسن دمشق لابن خداويردي ، وعدة الملمات في تعداد الحمامات ـ حمامات دمشق ـ لابن عبد الهادي ، وتاريخ مسجد دمشق للبرزالي (؟) وحريق جامع دمشق ، وخطط المدينة دمشق ومخطط دمشق القديمة كلاهما للدكتور صلاح الدين المنجد ، وغير ذلك مما يطول تعداده .

وها هو يتحف أخيراً المكتبة العربية بكتاب نفيس عن أمراء دمشق في الإسلام للصلاح الصفدي بعد أن كان نشر كتابين في هذا الموضوع ، أحدهما : ولاة دمشق في العهد السلجوقي ، الثاني ولاتها في العهد العثماني .

يتألف كتاب الصفدي الذي نحن بصدده من أربعة أقسام :

الأول . — المقدمة ، وقد مهد بها للكتاب الدكتور المنجد بذكر الكتب والمصادر التي ألفت في هذا الموضوع ، ووصف النسخ التي نشر هذا الكتاب عنها ، وأبان عن نهج التحقيق فيه ، ونشر نماذج مصورة عن الأصول المذكورة ، كما ترجم المؤلفَ ترجمة موجزة وأحال الى المصادر التي توسعت في ترجمته .

الثاني . — المعجم الصغير للصفدي الذي ذكر فيه « من ولي إمرة دمشق المحروسة

في الإسلام ودخلها من الخلفاء وغيرهم مرتبين على حروف المعجم » وقد جعل لهذه التراجم أرقاماً ليسهل الرجوع الى المطلوب ٠

وهذا المعجم عبارة عن تراجم الولاة المذكورين ترجمة تتراوح بين سطر واحد وبين خمسة أسطر وتبلغ صفحات هذا القسم (١٠٣) ص ٠

الثالث ٠ - أرجوزة للصلاح الصفدي المذكور سماها « تحفة ذوي الألباب فيمن حكم بدمشق من الخلفاء والملوك والنواب » فان المؤلف المذكور بعد أن وضع معجماً في أسماء ولاة دمشق ومن دخلها من الملوك والخلفاء نظم معجمه هذا في هذه الارجوزة بعد أن أضاف اليها إضافات أخرى اطلع عليها بعد ذلك وبلغت صفحات هذا القسم (٦٤) ص ٠

الرابع ٠ — الفهارس والملاحق وهي تحتوي على فهارس متعددة تسهل الرجوع الى المطلوب من أقرب الطرق ، وأهم الملاحق ما ورد في ص (١٩٤ — ١٩٨) للأستاذين المفضالين : سبولر ، ويريتساك فقد نظرا في الأعلام الأعجمية الواردة في هذا الكتاب من تركية ومغولية وفارسية فضبطا الكلمات الواردة من ذلك بالحركات ووضعا الى جانبها كيفية النطق بها بالأحرف اللاتينيــة ورمزا الى الكلمة التركية بـ « ت » والى المغولية بـ « م » والى الفارسية بـ « ف » وهو ملحق قيم يفيد الباحث منه كثيراً ٠ وتبلغ صفحات الفهارس والملاحق (٥٢) ص ٠

وبالختام فلا يسعنا إلا شكر المجمع العلمي العربي على نشره هذا الكتاب القيم كشكرنا الدكتور المنجد على جهوده وتحقيقاته وتعليقاته القيمة المفيدة ٠

محمد أحمد دهمان

آراء وأنباء

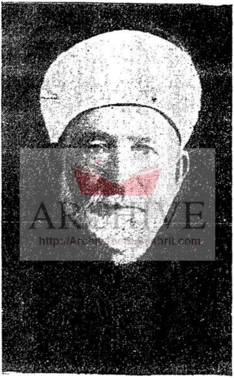

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

نائب رئيس المجمع العلمي العربي

الأستاذ المرحوم الشيخ عبد القادر المغربي

(١٨٦٧ ـ ١٩٥٦ م)

وفاة الأستاذ الشيخ عبد القادر المغربي

في الثامن والعشرين من شهر شوال سنة ١٣٧٥هـ (٧/٦/١٩٥٦م) فجع المجمع العلمي العربي بوفاة الأستاذ الشيخ عبد القادر المغربي، ثاني اثنين رفعا للناس قواعد المجمع، وأقاما دعائمه الراسخة، وجعلاه حرماً آمناً لأفاضل العلماء والأدباء، أولهما الأستاذ الرئيس محمد كرد علي، وقد لقي وجه ربه منذ لواذ ثلاث سنوات، وها هو ذا رفيقه وصديقه يلحق به إلى الملأ الأعلى.

ولد الأستاذ المغربي عام ١٢٨٤هـ (١٨٦٧م) في طرابلس الشام، وتلقى العلم على أبيه وأفاضل أسرته وبعض كبار العلماء في الشام والقسطنطينية؛ ثم صحب المصلح العالم العامل السيد جمال الدين الأفغاني، فأفاد من هذه الصحبة في تفتح ذهنه إلى وجوب الإصلاح، وكتب مذكراته عن الأفغاني، وقد نشرت في الجزء (٦٨) من سلسلة دار المعارف: اقرأ. ثم أولع بعدئذ بدراسة آثار الشيخ محمد عبده، واستجاب إلى دعوته الخيرة، وشرع يصدع بالإصلاح الديني والاجتماعي والسياسي. فاستدعاه الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده إلى مصر حيث المجال للدعوة الإصلاحية آنذاك أرحب وأوسع؛ ولكن ما لبث الأستاذ الإمام أن لقي وجه ربه، فانصرف المرحوم المغربي الى الصحافة، وكتب في كبريات جرائد مصر مقالات أثارت العزائم الوانية وشحذت الهمم الغافية. فلما أعلن الدستور العثماني، رجع إلى طرابلس مسقط رأسه، وأصدر فيها جريدة (البرهان)؛ وغرضه من ذلك الدعوة إلى سبيل النهضة — على وجوهها — بالحكمة والموعظة الحسنة. واشترك من بعدُ في تأسيس كلية دار الفنون في المدينة المنورة والكلية الصلاحية في بيت المقدس، وكانت الغاية منها تخريج طبقة من العلماء يجمعون بين معرفة العلوم الدينية والعصرية. ثم نزل دمشق واتخذها موطناً له. فلما تنادى علماء الشام لإقامة المجمع العلمي العربي حفاظاً

على اللغة العربية وآدابها ، كان المرحوم المغربي من أوائل من لبوا هذا النداء الكريم ؛ وانتُخب ، منذ تأسيس المجمع عام ١٩١٩ في عهد الملك فيصل بن الحسين ، عضواً عاملاً فيه . ثم أخذ يحاضر طلاب الجامعة السورية في العربية وآدابها . وفي العام ١٩٣٤ سمي عضواً عاملاً في المجمع اللغوي في القاهرة ، ثم سُمِّي في السنة ١٩٤١ نائباً لرئيس المجمع العلمي العربي ، وفي العام ١٩٤٩ اختير عضواً في المجمع العلمي العراقي . وقد ظل يعمل لهذه المجامع الثلاثة ويمدها ، حتى يوم وفاته ، بنضيج رأيه وسديد حكمه ووسيع اطلاعه ودائب جهده ، لا يكلّ ولا يملّ ، ولا تنال السنون من همته العالية وتفكيره الخصب وعلمه الغزير .

ألقى الأستاذ المغربي في ردهة المجمع العلمي العربي المئين من المحاضرات العامة في برهة عشرين عاماً ، وكان أدباء العاصمة وفضلاؤها وعيون زائريها من المستشرقين والعرب يقبلون ، زرافات ووحداناً ، كل أسبوع ، على المجمع للاستماع إليها والانتفاع بها ، وكان لها أعظم الأثر في تحبيب العربية إلى الناس ، وإطلاع الناشئة على ذخائر الأجداد . ومردّ إقبال القوم العظيم عليها هو أسلوب المحاضر الفذ الطريف في تأليفها وإلقائها ، وفيما يضمّنها من النكت البارعة والطرف المستملحة ، إلى جانب الحكم الصائب والتحقيق الواسع .

وقد ألف المرحوم المغربي الكثير من التصانيف النافعة ، منها ما طبع ومنها ما لا يزال مخطوطاً . ومن تآليفه المطبوعة كتاب (الاشتقاق والتعريب) وقد طبع أول مرة عام ١٩٠٨ ثم أعيد طبعه فيما بعد ، وفيه أبحاث مسهبة في جواز التعريب واقتباس الكلم الأعجمي حيث تدعو الحاجة ؛ ومنها كتاب (البيّنات) في جزءين أودعها مقالات ورسائل في الإصلاح الديني والاجتماعي والنقد والأدب ؛ ومنها كتاب (الأخلاق والواجبات) وقد ألفه باقتراح المربّي العربي الكبير ساطع الحصري عندما كان وزيراً للمعارف في عهد فيصل بن الحسين

ممالك الشام بعيد الحرب العالمية الأولى ، ولا تزال بعض المؤسسات العلمية تقرّره لطلابها الى اليوم ، وقد جاء إلى دمشق قبيل وفاة الأستاذ المغربي ممثل إحدى دور النشر الكبرى في المغرب الأقصى يستأذنه في إعادة طبع هذا الكتاب في مراكش ، لشدة الإقبال عليه فيها ونفاد نسخه من أسواقها ، فأذن له بذلك رحمه الله .

وقد ظل الفقيد يمد مجلة المجمع العلمي العربي بمقالاته وأبحاثه اللغوية والأدبية منذ صدورها حتى يوم الفجيعة به .

والمجمع العلمي العربي الذي نشط الأستاذ المغربي في رحابه من أجل نشر رسالته أكثر من خمسة وثلاثين عاماً يرجو أن تقر عين الراحل الكريم بزكاء النبتة التي ساهم في غرسها ، واتّقاد القبس الذي غذاه بفيض عقله وقلبه وعلمه .

وإنا لله وإنا إليه راجعون .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الأستاذ المرحوم الشيخ عبد الحميد الكيالي

(١٨٧٩ ـ ١٩٥٦ م)

وفاة الأستاذ الشيخ عبد الحميد الكيالي

قضت مشيئة الله أن يصطفي إلى جواره في خاتمة شهر أيار سنة ١٩٥٦ م الأستاذ الشيخ عبد الحميد الكيالي مفتي حلب وعضو المجمع العلمي العربي .

ولد الفقيد رحمه الله في حلب حوالي العام ١٨٧٩ م ، وتلقى مبادئ العلم في صغره في المدرسة الأشرفية فيها ، ثم انتقل الى المدرسة العسكرية ، ولكنه لم يلبث فيها إلا قليلاً ، لعزوف نفسه عن العلوم العسكرية ، وحرصه على تحصيل العلوم الدينية واللغة العربية . ثم سافر إلى مصر ودخل الجامع الأزهر ، ودرس فيه الفقه والأصول والتفسير والأدب العربي وعلوم الآلة على جلة الأساتذة فيه ، كالأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده والأستاذ الشيخ سيد علي المرصفي . وبعد أن تزود من الدراسة فيه قدراً كافياً ونال إجازات أساتذته له عاد إلى مسقط رأسه حلب ، واشتغل بالتدريس في جوامعها . ثم قام بالإفتاء بُعيد الحرب العالمية الأولى في (قضاء جبل سمعان) ، وبإدارة المدارس الدينية الإسلامية في حلب ، ووضع لها نظاماً لا تزال سائرة عليه إلى يومنا هذا . ثم اختير سنة ١٩٢٢ م مفتياً للشهباء ، وظل في هذا المنصب منذئذ حتى لقي وجه ربه ، خلا فترات قصيرة أُقصي فيها عن الإفتاء . وقد أصبح عضواً في المجمع العلمي العربي منذ ٢٣ آذار ١٩٢٣ م .

كان رحمه الله متمكناً من الفقه الحنفي ، طويل الباع فيه ، مدققاً محققاً لأصوله ، واسع الدراية بالأدب ، وأساليب العرب . وكان رضيّ الخُلُق ، لطيف المعشر ، قوي الحجة ، جميل الحديث ، عفّ اللسان واليد ، يغضي على القذى ، ويدفع بالتي هي أحسن .

تغمده الله برحمته وجعل الجنة مثواه .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

المستشرق المغفور له الأستاذ كارل بروكلمن

(١٨٦٨ ـ ١٩٥٦ م)

وفاة المرحوم الأستاذ كارل بروكلمن

في السادس من شهر أيار ١٩٥٦ قضى عضو المجمع العلمي العربي العالم الكبير المستشرق الألماني كارل بروكلمن في مسقط رأسه بألمانيا عن حياة حافلة في خدمة العربية يقتضينا الوفاء التنويه بها والإشارة إلى جلائل آثارها بإيجاز واقتضاب .

وُلد الرجل في روستوك « Rostock » من أعمال مكلنبورغ بألمانيا في ١٧ إيلول سنة ١٨٦٨ ، ودرج على حب المشرقيات وتاريخ الإسلام والبحوث التركية ، فأخذ يتعلم اللغات السامية وفيها اللغة العربية على شيوخ المدرسين في بلاده آنذاك ، وهم الأساتذة فيلي وبريطوربوس ونولدكه ؛ فدرس متنقلاً بين الحواضر الألمانية : روستوك وبرسلاو واستراسبورغ . وظل دائباً في دراساته حتى لمع في فقه اللغات السامية والتاريخ الإسلامي ؛ فعيّن مدرساً في جامعة برسلاو « Breslau » (١٨٩٣ — ١٩٠٣) ثم في كونيغسبرغ «Königsberg» (١٩٠٣ — ١٩٠٩) ثم في هاله « Halle » (١٩٠٩ — ١٩٢٠) ثم في برلين (١٩٢٠ — ١٩٢١) وعاد ثانية أستاذاً إلى برسلاو (١٩٢١ — ١٩٣٥) .

وقد أُحيل الى التقاعد بعدها ، ولزم مدينة هالّه — على نهر الزال — أستاذ شرف منذ سنة ١٩٣٧ . وعُيّن مديراً لخزانة الجمعية الألمانية للمستشرقين ، يعيش من الراتب بعد أن فقد موارد رزقه ، وظلّ فيها حتى أواخر أيامه حيث أنمده مرض عضال توفي على أثره عن ثمانية وثمانين عاماً .

وقد قضى هذا الأستاذ حياته في الجدّ والسعي والبحث والتنقير فنال شهادة الدكتوراه في الفلسفة وأخرى في اللاهوت . وأخرج الى جانب مقالاته كتباً كثيرة نلمع إلى بعضها على سبيل الذكر لا الإحصاء .

١ — نشر ذيلاً لديوان الشاعر الجاهلي لبيد سنة ١٨٩٢ وهو لما يتجاوز الخامسة والعشرين من عمره ، فأكمل ما بدأ به المستشرق هوبر .

٢ — ألف «تاريخاً للأدب العربي» قبيل الثلاثين من عمره ، ونشره في وبمار بين سنتي ١٨٩٨ — ١٩٠٢ وعنوانه « Geschichte der arabichen Litteratur » ثم أعاد نشره بعد أربعين عاماً في جزءين كذلك بلغت صفحاتها قرابة ألف وثلاثمائة صفحة . واشتهر بين العلماء لأنه اختط فيه خطة جديدة في البحث والعرض ، فقد اشتهر قبله تاريخ الأدب « لهامر پورغشتال » في أجزاء ضخمة ولكنه إعادة وترجمة للكتب العربية القديمة . ولكن المستشرق بروكلمن ألمّ بالعصور الإسلامية كلها وبالعلماء المسلمين كلهم على اختلاف أقطارهم من أطباء وفلاسفة ومنجمين ونحاة ومؤرخين وأدباء ، جملهم في تاريخه كلما وجد عندهم تراثاً يضاف الى عبقرية اللغة العربية . وقد اقتصر في تراجمه على كلمات قليلة وإشارات مبرية خلت من الأحكام الأدبية أو النقد المذهبي ، وانما ذكر المظان التي يحتاج اليها الباحث في معرفة المترجمين وآثارهم ومواضع طبعها أو أرقام مخطوطاتها من خزائن الغرب والشرق ، إلى ذكر الصحف والمجلات والكتب التي تعرضت لها أو تحدثت عنها .

وقد ظل هذا الكتاب موضع عنايته يعود إليه ليستكمل أسبابه ويتم مباحثه ، فمن وراء فهارس الخزائن وأخبار الوراقين ونشاط الناشرين ليضيف إلى جزازاته كلّ ما يجدّ من طباعة كتاب أو اكتشاف مخطوطة حتى تجمعت لديه معلومات كثيرة نادرة ضافية في الأقدمين والمحدثين المعاصرين . فنشرها في ثلاثة أجزاء كبيرة منذ سنة (١٩٣٧ — ١٩٤٢) وسمّاها ذيلاً لتاريخه « Supplementband » وبلغت صفحاتها قرابة ثلاثة آلاف صفحة عدا الأصل .

وفي هذا الكتاب فهارس وافية للأعلام والكتب تغص بالأرقام والاشارات ، وتضل فيها العين ، لذلك وقعت في هذا التاريخ الشامل الحافل أرقام مطبعية مضطربة كان لا بد من وقوعها ، فقد نقلها الرجل بيده ورتبها بنفسه ، ولبث يعمل لها حياته عمل عصبة من أولي العزم والعلم . فقد فرش بيته بالجزازات

وعمر رفوفه بالفهارس والمراجع ، وانفرد بهذه الخدمة الجليلة التي نرجو أن تلقى مثيلاً لها عند أبناء الناطقين بالضاد في نقل الكتاب أو تأليف شبيه[١] .

ونحن لا نكتب هنا في دراسة هذا التاريخ أو نقده وانما وقفنا عنده لأنه من أهم كتب الراحل خدمة لأدبنا وتراثنا .

٣ – نشر المستشرق قسماً كبيراً من «عيون الأخبار» لابن قتيبة عن مخطوطتي القسطنطينية وبطرسبورغ في أربعة أجزاء ، وطبعه في غوتنگن سنة ١٨٩٩ – ١٩٠٨ ، فلفت الأنظار إلى ابن قتيبة قبل أن يحتضر القرن التاسع عشر .

٤ – أرسل دراسة في الكامل لابن الأثير بيّن فيها ما أخذه من الطبري .

٥ – طبع رسالة «تلقيح فهوم أهل الأثر» لابن الجوزي .

٦ – طبع جزءاً من كتاب الطبقات الكبير لابن سعد .

٧ – نشر فهرسين لخزانتي برسلاو وهامبورغ ، عرّف فيهما بالمخطوطات العربية النفيسة في البلدين .

٨ – ألف كتاباً في نحو اللغة العربية بالألمانية نشره سنة ١٩٤٨ بليبنسيك في ٣٤٣ صفحة .

٩ – ألف كتاباً في «تاريخ الشعوب الإسلامية» ترجم إلى اللغات الغربية ونقل إلى العربية في خمسة أجزاء صغيرة .

والى جانب هذه الدراسات عن العربية ، اهتم المستشرق باللغات السامية الأخرى فأصدر الكتب التالية :

١٠ – معجماً للغة السريانية ببرلين سنة ١٨٩٥ .

١١ – كتاباً في صرف السريانية ونحوها ببرلين ١٩٢٥ ، في ٣٥٣ صفحة .

١٢ – كتاباً في الأدبيات السريانية .

(١) كتب المستشرق بروكلمن في سنة ١٩٥٠ أن الأستاذ المرحوم أحمد أمين عرض عليه ترجمة هذا الكتاب باسم الجامعة العربية ، ولكن المشروع نام بعد ذلك .

- — موجزاً في تاريخ اللغات السامية ، تُرجم الى الفرنسية .

١٤ — ترجمة قصة يوسف .

١٥ — ترجمة ديوان لغات الترك لمحمود الكاشغري، نشره في ليبتسيك ١٩٢٨ .

١٦ — صنع كتاباً في نحو اللغة التركية الشرقية بآسيا الوسطى، نشره سنة ١٩٥٤ بليدن ، في ٤٢٩ صفحة .

١٧— دراسات عن الحبشية ، في برلين ١٩٥٠ (٦٠ صفحة) .

وهكذا انصرف الرجل خلال خمسين عاماً إلى تدريس اللغات السامية عامة واللغة العربية خاصة والتأليف في صرفها ونحوها وأدبها ولغتها . فكان نادرة عصره في النشاط والكتابة والبحث ، وموضع تقدير الهيئات العلمية والعلماء في الشرق والغرب .

وقد انتخبه المجمع العلمي العربي عضواً مراسلاً ، سنة ١٩٢١ ، كما انتخبته الأكاديميات العلمية في ليبتسيك وبرلين وأوبسالا وبودابست عضواً فيها . وكذلك جمعية المستشرقين الألمان ، والجمعية الأسيوية الملكية بلندن ، والجمعية الأسيوية بباريس ، والجمعية الأمريكية بنيوهافن ، والجمعية اللغوية في بلتيمور .

ولا شك في أن موت الفقيد خسارة كبيرة للعلم والاستشراق واللغة العربية وآدابها .

ملاحظات على وضع المصطلحات العلمية (١)

يسرني أن أحمل من دمشق الى القاهرة تحية عربية خالصة ، وأن أتمنى لمصر العزيزة ، رئيساً وشعباً وحكومة ، خير ما يتمناه الشقيق الصغير لشقيقه الكبير . أعزّ الله العروبة والعربية بجهد العاملين المخلصين من رجالات هذا القطر العربي الصميم .

وبعد :

كنتُ أجملتُ في كتاب « المصطلحات العلمية في اللغة العربية » القواعد السديدة التي أقرها مجمع اللغة العربية في وضع المصطلحات أو تحقيقها . ولستُ الآن في سبيل بحث تلك القواعد . فبحثها طويل ، والزملاء الأفاضل أعرف الناس بها . ولا أظن أن أحداً من اللغويين أو من واضعي المصطلحات يخالفهم فيها . ولكني أقف عند قضية ما برح علماء العربية وعلماء العلوم الحديثة يجادلون فيها أيا جدال . وهي قضية حدود التعريب ومداه في وضع المصطلحات العلمية للعلوم الحديثة .

لقد اتخذ هذا المجمع الموقر القرار الآتي في التعريب :

« يجيز المجمع أن يُستعمل بعض الألفاظ الأعجمية ـ عند الضرورة ـ على طريقة العرب في تعريبهم » .

فكلمتا « عند الضرورة » هما بيت القصيد . وهما مثار الجدل والنقــاش . فالضرورة عند بعض علمائنا كلمة صغيرة رخوة جد قابلة للمط والتأويل . ولهذا رأيناهم يرجحون فتح باب التعريب على مصراع أو على مصراعين .

والضرورة عند آخرين كلمة قوية في مبناها وفي معناها . فهي في نظرهم

(١) خطاب القاه الأمير مصطفى الشهابي في حفلة افتتــاح الدورة الثانية والعشرين « ١٩٥٥ - ١٩٥٦ » لمؤتمر مجمع اللغة العربية في القاهرة .

جديرة بأن تراعى بدقة في تعريب الألفاظ العلمية . وهي تحتم البحث العميق عن ألفاظ عربية النجار حتى لأدنى ملابسة بين معانيها ومعاني الألفاظ العلمية الأعجمية .

وبين هذا الفريق وذاك ، أي فريق المتساهلين وفريق المتشددين في أمر التعريب ، يقف واضعو المصطلحات العلمية حائرين يتساءلون عن أصلح خطة تتبع في نقل كل لفظة علمية الى لغتنا الضادية .

ولكنا نعرف أن كلا الفريقين إنما يتشبث برأيه اعتقاداً منه أن رأيه هو الذي ينهض باللغة العربية فيجعلها صالحة للتعليم العالي وللتعبير عن حاجات المدنية الحاضرة .

فأنصار التعريب الواسع يقولون : إن الألفاظ الأعجمية ، كثرت أو قلت ، ليست من مقومات اللغة . واللغات تتميز بعضها من بعض بتراكيب جملها ، وبحروف معانيها ، أي بما اختصت به من قواعد في الصرف والنحو وأساليب الاشتقاق والقياس وغير ذلك . ففي الإنكليزية والفرنسية والألمانية مثلاً آلاف مؤلفة من الألفاظ العلمية المشتركة ومع هذا نجد كلاً من اللغات الثلاث مستقلة عن الأخرى . وينتهون الى القول بأن فرط التعريب لا يضر بلغتنا بل يدنيها من لغات العالم الأوربية ، ويجعلها قادرة على استيعاب العلوم الواسعة الحديثة .

أما المتشددون فيرون ان المعرَّبات العلمية لا توحي الى القارئ العربي بشيء من معانيها ، وأن هذا القارئ لا يفهمها ما لم تشرح له شرحاً وافياً . خذ مثلاً حشرة من الحشرات . وقل للطالب الفرنسي انها تنسب الى رتبة الـ Orthoptères فهو يدرك على الفور ، أي قبل قراءة الشرح ، أن لهذه الحشرة أجنحة مستقيمة . وسبب ذلك اطلاع هذا الطالب على مبادئ اليونانية واللاتينية . أما اذا اقتصرت على ذكر الكلمة الفرنسية وحدها للطالب العربي فهو يلبث فاقد الفهم حتى تشرحها له ، أو تترجمها بلغته العربية فتسميها مستقيمة الأجنحة ، مثلما تسمي

رتب الحشرات الأخرى عصبية الأجنحة ومغمدة الأجنحة وعديمة الأجنحة وذوات الجناحين وهكذا ·

ويقولون : لقد آمنا بأن هنالك أسماء لا بد من تعريبها كالتي تكون منسوبة إلى أعلام ؛ وآمنا بأن مجال التعريب واسع في نقل كثير من أسماء الأعيان ، كأسماء بعض الأدوية والعقاقير والمركبات الكيمياوية ، وأسماء بعض أجناس النباتات والحيوانات مما له معان لا يستطاع ترجمتها بكلمة عربية واحدة سائغة الخ · ولكن لماذا يراد منا تعريب الكثير من ألفاظ المعاني الأعجمية التي لا يشق على علمائنا إيجاد ألفاظ عربية سائغة تعبر عنها ؟ ألأن العربية عاجزة عن ذلك ؟ أم لأن التعريب لا يقتضينا أدنى مشقة في تحري الألفاظ العربية الصالحة ؟ وهل من الصحيح ان الإكثار من التعريب هو وحده العامل الذي ينهض بلساننا الى مستوى ألسن العلم المعروفة ؟

والذي أراه أن الفريقين إذا راعيا الروح الذي يجب أن يسود في نقل المصطلحات العلمية الى لغتنا العربية انتهيا لا محالة الى وفاق · فكلاهما يريد أن تتسع لغتنا للعلوم والمخترعات الحديثة · وكلاهما يريد أيضاً أن لا تصبح هذه اللغة شبيهة بلغات الزنوج بسبب الإفراط في التعريب بلا ضرورة ·

ومما لا مرية فيه أن أعضاء مجامعنا العلمية ، وأساتيذ جامعاتنا العربية ، وجمهرة أدبائنا وكتابنا ، على تفاوت آرائهم ، ينظرون الى هذا الموضوع نظر المخلصين المؤمنين بضرورة رفع العربية الى مستوى اللغات الحية الكبيرة · فجدير بالعاملين منهم في وضع المصطلحات العربية أن يراعوا عند البحث في كل لفظة أعجمية قواعد النقل العامة التي يتبعها اليوم هذا المجمع الموقر ، مثلما اتبعها في الزمن الماضي قدماء النقلة والمؤلفين العرب وخلاصتها على التتابع :

أ — تحري لفظ عربي يؤدي معنى اللفظ الأعجمي · وهذا يستلزم أن يكون

الناقل مطلعاً اطلاعاً واسعاً على الألفاظ العلمية المبثوثة في المعجمات العربية وفي كتبنا العربية القديمة .

ب — اذا كان اللفظ الأعجمي دالاً على معنى علمي جديد لا مقابل له في اللغة العربية ، تُرجم بمعناه كما كان قابلاً للترجمة . أو اشتُق له لفظ عربي مقارب . ويُرجع في وضع اللفظ العربي الى وسائل الاشتقاق أو الى المجاز أو النحت .

ج — واذا تعذر على الناقل الكفء وضع لفظ عربي بالوسائل المذكورة عمد الى التعريب مراعياً قواعده على قدر المستطاع .

ومن الواضح ان دور التعريب في هذه القواعد لا يأتي إلا بعد العجز عن إيجاد كلمات عربية سائغة . والصعوبة كل الصعوبة إنما تكون في معرفة متى نرجح الكلمة العربية ، ومتى نرجح الكلمة المعرّبة .

ولقد قلت في كتابي الذي ألمعتُ اليه في بدء هذا الكلام :

«من السهل معرفة هذه القواعد الحسنة ، ولكنه ليس من السهل العمل بها . ففي كل علم مصطلحات متنوعة . وكل لفظ علمي يحتاج الى دراسة خاصة لمعرفة أصلح لفظ عربي أو معرب يقابله . وفي هذا المجال الوعر تتعارض آراء علمائنا . وفيه تُعرف كفاية العالم الثبت ، ودقة نظره ، وسلامة ذوقه جميعاً .»

وبعدُ لا بد للقادر على وضع المصطلحات العلمية من أن يضع نصب عينيه أن النهوض باللغة ، مع الاحتفاظ بسلامتها ، هما الأساس الذي يقوم عليه عمله ، وعندئذ يصبح من غير المتعذر عليه إدراك حدود التعريب ومداه في كل لفظة علمية أعجمية يعالج نقلها الى لساننا في صبر العالم الثبت وأناته ، وفي حسن ذوق الأديب المطبوع ودقة نظراته .

ملاحظات على رسم بعض المعرّبات (١)

للأمير مصطفى الشهابي

١ — كثيراً ما نضطر الى تعريب كلمات أعجمية رسمها واحد في اللغات الأوربية المشهورة ، ولكن النطق بها يختلف مثل Tulipe , Micron , Fibrine الخ . فهي عند الفرنسيين تُنطق بقولهم فيبْرين وميكْرُون وتُوْلِيب وهي عند الانكليز فَيْبْرين ومَيْكْرون وتيوُليب . وقد تكلم الزملاء الأفاضل غير مرة في هذه الألفاظ وأشباهها . ورأوا أن النطق الصحيح والذوق السليم يحملاننا على ترجيح النطق السهل وهو النطق الفرنسي فيما تمثلتُ به من ألفاظ .

والظاهر أن المجمع لم يتخذ قراراً بذلك . ولهذا ما برحنا نجد في عدد كبير من الألفاظ التي عربتها اللجان رسماً يختلف باختلاف نوع الثقافة عند خبراء هذه اللجان . ويبدو لي أن معظم الخبراء درسوا بالانكليزية ، فاختاروا النطق الصعب بدلاً من النطق السهل .

لذلك أرى من المفيد اتخاذ قرار بترجيح أسهل نطق في رسم مثل هذه الألفاظ المعربة .

٢ — من القواعد التي اتخذها المجمع في الجزء الرابع من مجلته رسم الحرف (G) اللاتيني (ويقابله في اليونانية الحرف غمّا) غيناً عربية . ومع هذا ما برحت لجان المجمع ترسمه جيماً وتقتصر على الجيم وحدها . فاذا كان لا بد من مراعاة النطق القاهري للحرف جيم العربي يكون من المفيد اتخاذ قرار بأن يُرسم الحرف (G) الأعجمي ، في الكلمات التي يعربها المجمع ، جيماً وغيناً جميعاً ، وبأن لا يُكتفى بالجيم وحدها فيقال مثلاً جليسرين وغليسرين وهكذا . والأسباب معروفة لا تحتاج إلى شرح .

(١) قدمها الى مؤتمر مجمع اللغة العربية في مصر فأقرها المؤتمر في جلسة الخامس من كانون الثاني «يناير» سنة ١٩٥٦ .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

٣ — كثير من الكلمات الأعجمية التي نضطر الى تعريبهـا تنتهي بالحرف (A) أو بالكاسعة (gie) الدالة على العلم . وقد لاحظتُ عند تعريب هذه الكلمات أن بعض الخبراء ينهون الكلمة المعربة بالتاء ، وأن بعضهم ينهيها بالألف ، مثل جيولوجية وجيولوجيا ، وبيولوجية وبيولوجيا ، ومغنولية ومغنوليا وهكذا .

ومن المعروف أن قدماء النقلة لم يسيروا على خطة واحدة في هذا الموضوع . ولكن المعرَّبات بالتاء كانت تفوق عندهم المعربات بالألف . والسليقة العربية تجعلنا نرجح إنهاء الكلمات المذكورة بالتاء . فمن رأيي اتخاذ قرار بهذا الترجيح .

٤ — في اللغات الأوربية الكبيرة عدد من الألفاظ اقتبست من العربية وحُرفت ، فعند نقل هذه الألفاظ الى العربية أرى إعادتها الى أصلها العربي فنقول مثلاً الحمراء لا ألهمبرا ، والقصر لا الكزار ، وعدَنيَّة لا أدِنيا ، وعَرَبية لا أرابيت ، وحَرْشَف لا أرتيشو وهكذا .

هذه أربع ملاحظات لاحظتها أثناء مشاركتي لبعض لجان المجمع في أعمالها . فأقترح إما مناقشتها في المؤتمر واتخاذ ما ترونه فيها ، وإما إحالتها الى اللجنة المختصة بهذا الموضوع ، أو الى مجلس المجمع الموقر ليرى رأيه الموفق فيها .

رسائل ابن الأثير

بين مخطوطات مكتبة الجامعة الأميركية في بيروت مخطوطة قديمة ، هي الجزء الثاني من رسائل ضياء الدين بن الأثير صاحب المثل السائر . ويرجع عهدها الى السنة ٦٥٦ للهجرة ، أي الى ما بعد وفاة منشئها بنحو ٢٣ سنة فقط .

ولما كنت ـ ولا أزال ـ من المعجبين بما لهذا الكاتب من مقدرة بيانية وإنشائية سُررت بوجود هذا الجزء من رسائله ، ورأيت أن أدرسه ثم أنشره خدمة للأدب والتاريخ ؛ فعمدتُ الى ما لديَّ من فهارس المخطوطات والمطبوعات المعروفة وإذ لم

أجد فيها إلا إشارات لا تروي الغليل اتصلت بصديقي العلّامة الدكتور صلاح الدين المنجد مدير معهد المخطوطات في أمانة الجامعة العربية ، فتكرّم باعلامي أنه يوجد في مكتبة أحمد الثالث باستنبول نسخة من الجزء الثاني من رسائل ابن الأثير المذكور كُتبت سنة ٦٥٥ هـ بخط نسخي حسن وان في معهد الجامعة العربية « ميكروفيلم » عنها . وأما الجزء الأول من الرسائل فلا علم له بوجوده . وقد وعدني متلطفاً أن يرسل لي نسخة مكبّرة عن الميكروفيلم الموجود لديه لكي أقابله بنسخة الجامعة الأميركية . ومتى وصلني فسأباشر دراسة هذا الأثر النفيس وتحقيقه . وها أنا مثبت على صفحات مجلة مجمعنا العلمي وصفاً وجيزاً للجزء الذي بين يديّ لعلّ مطّلعاً من علمائنا الأفاضل يعرف عنه أو عن سواه من الأجزاء ما لم أطّلع عليه بعد فيفيدني بعلمه ويخدم العلم والأدب بفضله وكرمه .

تقع المخطوطة المذكورة في مئتين وثلاثين صفحة متوسطة الحجم من الورق السميك الضارب الى الصفرة وهي مكتوبة بالحبر الأسود بخط نسخي جيّد وبفصل فقراتها بعضها عن بعض مثلثات من نقط حمراء وتنتهي بهذه العبارة « تمّ الجزء الثاني من ترسّل المولى الصاحب ضياء الدين رحمه الله بتاريخ غرّة صفر من سنة ست وخمسين وستمائة » . وتتضمّن المخطوطة خمساً وخمسين رسالة كلّها من إنشاء ابن الأثير ما عدا الأخيرة وهي كتاب كتبه السلطان الملك الأفضل نور الدين ابن صلاح الدين جواباً عن رسالة كان ابن الأثير قد أرسلها اليه من الموصل الى حصن صرخد .

ولكلّ رسالة في المخطوطة مقدّمة وجيزة تكتب عادة بسطور أقصر من سطور الرسالة ، والأرجح أنها بقلم الناسخ قدّمها ليعرّف القارئ بمضمون الرسالة وسبب كتابتها كقوله مثلاً في صدر رسالة ـ « كتاب كتبه عن نفسه الى بعض الإخوان وقد وصله عَتْبُهُ لانقطاع كتبه عنه فأصدر هذا الكتاب معتذراً عن الانقطاع والبطء » .

أو قوله - « كتاب كتبه عن نفسه إلى الصاحب الوزير صفيّ الدين أبي عبد الله محمد بن شكر وزير الملك العادل أبي بكر بن أيوب شفاعةً في حق الشيخ الأمين زكي الدين أبي عبد الله بن سلام الرقيّ وهو من مشاهير التجار الدمشقيين » . وهكذا سائر الرسائل .

والرسائل عموماً نوعان : نوع كتبه عن سواه ويبلغ ١٤ رسالة ، ونوع كتبه عن نفسه ويبلغ الأربعين . وليس بينها جميعاً الا عشر ذات تاريخ . وأسلوبه الإنشائي العام هو الأسلوب المسجّع المحلّى بالبديع على عادة المترسلين في ذلك العهد ، وقد يأتي متكلفاً كقوله من رسالة الى بعض الإخوان يصف فيها بستاناً أقام فيه مع بعض إخوانه في يوم من أيام الربيع وقد شاقه ما رآه فيه من زهور ورياحين :

« ثم انا ذهبنا في أطراف ذلك البستان ، وأقبل كلٌّ منا على ما يروقه من الريحان . فمن جانٍ نرجساً وهو يقول هذا صاحب القد المايس ، والذي عينه عين متيقّظ ، وجيده جيد ناعس . ومن جاني بنفسج وهو يرى أنه أجمل لباساً ، وأضوع أنفاساً . ويقول هذا هو المشبّه بعذار الحبيب ، وبأطراف الكبريت اذا أخذت باللهيب . ومن جاني شقيقٍ وهو يقول هذا اسم وقع على مسماه بلا خلاف ، ولما كان شقيقاً للحسن ترك المضاف اليه ودلّ عليه بالمضاف . ولا عيب فيه سوى انه يأتي والربيع في سنّ المشيب وما عُهد قبله انّ ولد الشيخ يخلف في هذا الرواء العجيب » .

على ان أسلوبه لا يجري دائماً مجرى التصنع ، بل كثيراً ما يسلس تركيبه وتروق معانيه ، كقوله من رسالة : « فالسعيد من اغتنم زمانه ، وبادر إمكانه وابتغى المعروف وأحكم بنيانه . فانّ الأوقات ظروف تشتمل على مساوئ الأشياء ومحاسنها ، ولا تعطيك إلاّ ما ادّخرته من بواطنها . وهي كالرياح العاصفة ، والبروق الخاطفة . فمن يُرد الله به خيراً ينفقه في عمارتها بالأعمال الصالحة ، ذوات الموازين الراجحة » .

ARCHIVE http://archivebeta.sakhrit.com

أمّا الذين كتب عنهم أو اليهم فكثيرون ، ومنهم أمراء وعظماء كالملك الأفضل ابن السلطان صلاح الدين الأيوبي ، وأخويه الملك الظاهر والملك العادل ، والأمير مجاهد الدين قايماز زعيم الموصل ، والأمير مظفّر الدين سنقر أمير الحج العراقي ، والأمير علاء الدين بن الأمير مجاهد العمادي ، وابن شداد قاضي قضاة حلب ، وابن رافع قاضي القضاة بالشام ، والصاحب صفي الدين محمد بن شكر وزير الملك العادل ، وديوان الخلافة ببغداد وسواهم .

وتتناول رسائله شتى الأغراض الترسّلية من تهنئات وشفاعات وتعزيات وتقاليد أميرية ومباسطات إخوانية وما إلى ذلك مما كان شائعاً في ترسل ذلك العصر .

والذي يراجع هذه الرسائل يرى فيها ما قد يزكّي أقوال المؤرخين في منشئها . ويظهر أن حياته لم تكن دائمة الهناء ولعلّ ذلك لاضطراب الأحوال السياسية من جهة ثم لعدم كياسته في معاملة الناس من جهة أخرى . واذا أخذنا بقول ابن خلكان معاصره نجد انه لما كان وزيراً للملك الأفضل بدمشق وصارت أمور الناس تردُّ اليه لم يحسن عشرة أهلها ، فلما أخذت دمشق من الملك المذكور وانتقل الى صرخد همّ الدمشقيون بقتل ابن الأثير فهرب مستخفياً الى مصر . وكذلك خرج من مصر بعد أن أقام فيها مدّة من الزمن . ولما انتقل مخدومه الملك الأفضل الى حصن سميساط على الفرات قصده الى هناك ثم فارقه لخدمة أخيه الملك الظاهر في حلب فلم يطل مقامه ولا انتظم أمره ، وخرج مغاضباً الى الموصل . وفي الموصل أيضاً لم يستقم حاله فتركها الى إربل ثم الى سنجار ولم يوفّق فيهما فعاد الى الموصل واتخذها دار إقامته وكان قد بلغ الستين من عمره .

ومهما يكن من أمره فقد كان مشهوداً له بالترسّل ويكفي أن يكون له « المثل السائر » الذي يدلّ على غزارة مادّته البيانيّة وتمكّنه من النقد والبلاغة . وبرغم ما له من الميل الى الإشادة بنفسه والاعتداد ببلاغته كان له مقام عال بين أدباء عصره .

قال ابن خلكان : « ولقد ترددت الى الموصل أكثر من عشر مرات وهو مقيم فيها وكنت أود الاجتماع به لآخذ عنه شيئاً لما كان بينه وبين الوالد رحمه الله من المودة الأكيدة فلم يتفق ذلك . ثم فارقت بلاد المشرق وانتقلت الى الشام وأقمت به مقدار عشر سنين ثم انتقلت الى الديار المصرية وهو في قيد الحياة . ثم بلغني بعد ذلك خبر وفاته وأنا بالقاهرة » .

ومع علمي أن الكثيرين من قراء هذه المجلة قد درسوا ابن الأثير واطلعوا على أدبه فاني أغتنم هذه الفرصة لأثبت فيما يلي أنموذجاً من ترسله كما ورد في إحدى رسائل المخطوطة التي نود تحقيقها ونشرها . وهي كما يقول كاتب المخطوطة :

« كتاب كتبه عن السلطان الملك الأفضل نور الدين أبي الحسن علي بن يوسف الى السلطان الملك العادل نور الدين أرسلان شاه صاحب الموصل رحمه الله يسليه عن هزيمة هزمها . . . . وذلك انه خرج الى نصيبين وحصر قلعتها وأشرف على أخذها وهي يومئذ لابن عمه الملك المنصور قطب الدين ابن أتابك صاحب سنجار . ثم انه عاد عنها بغير سبب ولا مزعج إلا لأمر يريده الله . فاستنجد صاحبها الملوك المجاورين له كصاحب جزيرة بني عمر وصاحب دارا وصاحب ماردين وصاحب آمد وديار بكر . فنزلوا نصيبين بالحملة الكبيرة . وطلب صاحب نصيبين من صاحب الموصل المصاف (١) فأجابه اليه واتفق أن يكون بين نصيبين والموصل على قرية تعرف ببوشزى » . ويؤخذ من تتمة هذه المقدمة ان صاحب نصيبين وحلفاءه سبقوا الملك العادل الى المصف . واحتلوا المكان المناسب فيه . وأسرى اليهم الملك العادل آخذاً ثلاث مراحل في مرحلة واحدة . فلما وصل كان جيشه متعباً فلم يعطه خصومه فرصة للراحة بل بادروه بالقتال فكان ذلك سبب الهزيمة . قال ابن الأثير – بعد أن افتتح رسالته بكلمة حكمية على لسان الملك الأفضل مخاطباً « المجلس السامي العادلي » أي الملك العادل – :

(١) المصاف جمع مصف . والمصف مكان التقاء الصفوف للقتال .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وقد تفاءل الخادم بأن « المجلس » نور والله كفيل باتمامه ، وصادٌ عن اظلامه ، ولم تكن هذه الحادثة إلاّ شحذاً لغربه ، وصقالاً لعزمه وقلبه . وكما أن دَقد النار زائد في رونق النضار ، فكذلك وقد الأهوال (زائد في رونق) (١) الرجال والتجارب معيار . وفي الرجال درهم ودينار . وواحدهم من ساجلته الأيام وساجلها ، وقاتلته وقاتلها . فليلق هذا الأمر بالاعتزام والاهتمام . وليتأس برسول الله صلى الله عليه وسلم في مثل هذا المقام . فقد نال العدوّ منه منالين اثنين ، كيوم أُحد ويوم حُنين . ولم يكن ذلك نقضاً لأمره ، بل امتحاناً لصبره . وينبغي للمجلس ان يصدف عمّا فات ، وينظر بما هو آت . وأن يركب في جيش من عزيمة الصبر ، وسعة الصدر ، فانهما أقوى مددا ، وأقوى عددا ، وأعنى في تشتيت شمل الأعداء ولو كانوا لبدا . ولا تظهر فضيلة الرجل إلاّ عند مكافحة الشدائد ، وتورّد ما يتورده الرجال من الموارد . والخادم يقول ما يقوله من علم ـ وقد يشهد الطرف الوغى وهو محجوب ـ وهؤلاء الأعداء رؤوس متعددة ، وهمم متبددة متغايرة ، وآراء متنافرة . وعلى ما بلغ الخادم فانهم لم يكونوا كفوًا لرجاله ، ولا كانت رماحهم كرماحه ولا نصالهم كنصاله . لكن المجلس أسرى اليهم على بعد المسرى ، وأطلّ عليهم وخيله حسرى . وما ذلك من طريق الكيد الذي يدبّ صاحبه الخَمَر ، ولا من طريق الأبد يجهر به ولا يضرّه ان جهر » ... الى أن يقول ـــ :

« والآن فلا ينبغي للمجلس ان يعرّج على طريق النّدم ، ولا يجعل نبوة السيف سبباً لنبوة الهمم . ويكفيه فضلاً انه لم يُبذل منه لأمر يرجع الى تقصيره ، بل لأمر يرجع الى تدبيره . فليقتل الأعداء نفوسهم ، وليهلوا رؤوسهم . فللمجلس في قلوبهم داء لا يهدأ ألمه ، ولا يبرّ سقمه . وقد أوقدوا ناراً وسيكونون لها حطباً ، وزرعوا شوكاً وسيجنون منه شوكاً سيجنبه المجلس

(١) ما بين قوسين غير واضح في الأصل .

عنبا . وملاك هذا الامر أن يجرّد له سيفان صبراً ومخذماً ، وينفق فيه مالان ذهباً ودرهماً [1] . وأمّا الخادم فانه للمجلس من الوقاية بمنزلة الجفن من الناظر ، وفي الساعدة بمنزلة الجناح من الطاير . ولما بلغ المملوك خبر هذه الوقعة ودّ لو اصطلى حرّ شفارها ، ولم يصطل حرّ أخبارها . وقد أقسم انه لا يزال أشعث أغبر إلى أن يدرك ثاره ووتره ، ويستعيد نصره . فلا يقلّم ظفراً ، ولا يقصّر شعراً ، ولا يزيل درنا ، ولا يغسل ثوباً ولا بدنا . وهذه من سنّة المُحرم إذا دخل في إحرامه ، وقد سلكها الخادم عند دخوله في ثوب اعتزامه . وما يتنفّس كربه وقد أخذ بكظمه ، وكظّ على همّه . إلاّ ما يعلمه من عزم المجلس الذي يردّ الخطوب تدمى ، ويبصر خفايا عواقبها والبصاير عنها تعمى . واذا جدّ شكت السيوف فراق مضاجعها وبكت الرماح تحطّم اضالعها . فأهون بالخطوب اذا جاذبته ، وكيف بالأعداء اذا حاربته . فلا يرع ما احتمل السيل من زبدهم فانه يذهب جُفاءاً ، ويبقى عفاءاً والمجلس هو الذي يمكث في الأرض ، ويعود على ما أبرموه بعوادي النقض » .

ويستمر على هذا المنوال حتى يختم الكتاب بقوله ـ « والله تعالى يؤيد المجلس بالجندين جند الدعاء وجند القتال ، وينصره على الجيشين جيش الأعداء وجيش الليال ، وللآراء العالية مزيد العلو ان شاء الله تعالى » .

هذا ما رأيت ان أعرضه من هذه المخطوطة القديمة وعسى أن أحظى على صفحات مجلتنا الغراء بما يسهل عليّ مهمة التحقيق ، وسلفاً أقدم الشكر لكلّ ذي يدٍ وبالله التوفيق .

أنيس المقدسي

---

(١) كذا في الأصل والأشبه ان يكون الصواب « ان يجرّد له سيفين وكذلك ان يُنفق به مالين » .

منتخبات من معجم الكواكبي

-٢-

٥) Abscisse فَصيل ·

(من اللاتينية abscissus : المفصول ، المقطوع) · لغةً : الفَصْل : الحاجز بين الشيئين = فَطْمُ المولود كالافتصال ، والاسم الفِصال = الحجز = القطع) ·

الفَصيل : حائط قصير دون سور البلد ·

فنّاً : في المصطلحات الهندسية : أحد الخطين البيانيين اللذين بهما يتعين موضع منحن سطحي ، وهو الخط الأفقي · أما الآخر العمود على الفصيل فهو (الرَّتيب ordonnée) ·

٦) Absolu صِرْف = مُطلَق ·

(من اللاتينية ab, solutus : غير مقيَّد = كامل ، تام) · لغة : الصرف : الخالص من الخمر ونحوها · صَرَفَ الشرابَ : لم يمزجه وهو مصروف · الصَّريف : اللبن ساعة يُحلب ··· المُطلَق : من (طَلَقَ يده بخير يَطلقها كأطلقها : فتحها ··· أَطلق الأسيرَ : خلاه) ·

(— alcool : غَوْل صِرف : غول لا يشوبه ماء مطلقاً وهو بعيار ١٠٠ درجة) ·

(— température : الحرارة المطلقة : التي يعبر عنها بدرجات مئوية على سلّم صفرها (—٢٧٣) مئوية أي الصفر المطلق الذي هو أدنى درجة من الحرارة يمكن نظرياً بلوغها وينعدم عندها كل تَفَضان ذري[1] · عملياً أمكن الوصول الى (—٢٧٢،٨٧) درجة تحت الصفر في عام ١٩٣٤) ·

٧) Abstrait مُخَلَّصَة ·

(من اللاتينية : abs, traherer : سحَبَ ، جذَبَ || استخرج ، استخلص) ·

---

(١) agitation moléculaire

لغةً : خَلَصَ خُلوصاً وخلاصة : صار خالصاً ... الخالص : كلّ شيء أبيض .
خُلاصة السمن (بضم الخاء وكسرها) ما خَلَص منه ... أخلصَ السمنَ :
أخذ خلاصته ... خلَّص تخليصاً : أخذ الخلاصة || فلاناً نجّاه فتخلص ...
خَلَّصَه : صافاه ...
استخلصه لنفسه : استخصّه .

فنّاً : في فن الصيدلة : خلاصةُ سحوق تعادل ضعفي وزن العقار المهيأة منه .
وليست هي (الخلاصة extrait) ذلك الشكل الصيدلاني المعروف الذي هو محصول
تبخير ، لدرجةٍ معلومة ، للمحلولات المتحصلة من معالجة مادة نباتية بسوائل
مختلفة ، كالماء والغول والأثير .

٨) Acclimatation أقلمة .
(من اليونانية Klima : الميل ، الميلان) .
لغةً : الإقليم كقنديل : واحد الأقاليم السبعة .
فنّاً : تعويد الكائن الحي من حيوان أو نبات على العيش في بيئة غير التي
كان فيها باتباع جملة قواعد موضوعة لهذا الغرض ، فكأنما يجعل بهذا ميّالاً
(ذا ميل) للعيش في البيئة الجديدة التي نُقل اليها .

٩) Acclimater أقلَم .
من (الأقلمة) الآنفة الذكر : عوّدَ الكائن الحي على العيش في بيئة غير
التي كان فيها .

١٠) Acclimater (s') تأقلَمَ .
من (الأقلمة) الآنفة الذكر : تعوّد على العيش في بيئة غير التي كان فيها .

١١) Accumulateur مُذّخِرة .
(من اللاتينية accumulare : التكديس = الجمع = الخزن) .
لغةً : ذَخَرَه ذُخراً وإذّخره : اختاره واتخذه ... الذّخيرة : ما اذُّخر كالذُّخر .

فنًا : آلة كهربائية تُخزن (تذخر) فيها القدرة الكهربائية حيناً لتستعمل بعده تياراً كهربائياً . وتتألف من صفيحتين من الرصاص مغموستين في ماء محمض متوازيتين ومتقاربتين جداً . احدهما كقطب ايجابي والاخرى كقطب سلبي . تملأ بربط القطبين ببطارية أو بتيار حتى تنشحن بالكهربا ، فيقطع اتصالها بالتيار فتكون مهيأة للاستعمال بوصل قطبيها بما يراد (التيار الجديد يعاكس الاول) .

١٢) acescence خُلال .

لغة : عرَض يعرض في كل حلو فيغير طعمه الى الحموضة .

فنًا : مرض يصيب الاشربة الغولية كالنبيذ وغيره فيجعلها حامضة ، لتحول الغول فيها الى حمض الخل بفعل الخميرة المسماة (الفطور الأدمية الخلية Mycoderma aceti) . هذه الفطور تسطو ترجيحاً على الخمور الحديثة والقليلة الغول . يحال دون حدوثه بالنظافة التامة وبإماتة الدنان sulfitation .

١٣) Acétificateur مُخلِّلة .

(من اللاتينية acetum : الخل) .

لغة : خلَّلت الخمرُ وغيرها حمضت وفسدت والعصير صار خلاً .

فنًا : دولاب مؤلف من صفيحة مُحلزنة [1] من الصاج وعليها قطع من خشب الزان . حتى اذا دار الهواء والخمر فيها تكوَّن حمض الخل بسرعة وبكلفة زهيدة .

١٤) Acétification تخليل .

لغة : خلّلَ الخمرَ جعلها خلاً ، لازم متعد .

فنًا : تخصيصاً ، العمل الذي يتم معه تحويل مادة ما الى حمض الخل .

١٥) Acétifier (s') تخلَّلَ .

وكذا أختلَّ . من الكلمة الآنفة الذكر .

[1] spiralé, enroulé en spiral

١٦) Acétolat خُلالَة ٠

لغةً : وزان فُعالة ، من الخل ٠

فناً : دواء يهيأ بتقطير نقاعة النباتات في الخل ٠

١٧) Acétolature مُسْتَخَلَّة ٠

لغةً : من (استخلَّ) ٠ فناً : دواء يهيأ بنقع النبات الطازج في الخل ٠

١٨) Acétolé خلِّيَّة ٠

لغة : (من الخل) ٠ فناً : دواء يهيأ بحل المواد المختلفة في الخل ٠ والخلية ، غير المستخلة ، من الوجهة الصيدلانية ٠

١٩) Acétolyse خلمهة ٠

لغةً : نحتاً من (خل ، إماهة) ٠ فناً : عمل يتم فيه تحليل مادة ما في حمض الخل ، مثال : خلمهة السلولوز ، بمزيج من حمض الكبريت وبلا ماء حمض الخل ٠

٢٠) Acétomel خَلْسَل ٠

لغةً : نحتاً من (خل ، عسل) ٠ فناً : دواء مؤلف من شراب العسل ممزوجاً بالخل وهو المعروف بالفارسية (سِرْكَنْكَبين) ادغاماً من كلمتين (سِرْكَة : خل) و (أنكبين : عسل) ٠

٢١) Acétonémie تَخَلُّونُ الدَّم ٠

(من Acétone : الخلون ، ومن اليونانية haima : الدم) ٠

لغـةً : اشتقاقاً من معرَّب الكلمة الافرنجية : (الخلون acétone) ، ذلك الجسم العضوي المعروف ٠

فناً : حالة مرضية يوجد فيها الخلون في الدم ٠

(يتبع) الكواكبي

مخطوطات قيمة تُهدى إلى دار الكتب الظاهرية

لا تزال بعض بيوتات العلم في المشرق العربي تحتفظ في خزائنها الخاصة بمخطوطات كثيرة ثمينة ورثها الخلف عن السلف ، فزانوا بها دورهم ، وعمروا بها صدورهم . على أن هذه المخطوطات تظل في أغلب الأحيان محجوبة عن أنظار جمهرة الباحثين ، ومعرضة للسرقة والتلف والإهمال وعوادي الزمن إذا آلت إلى أيدي الجاهلين ، فمن الخير كل الخير أن تودع المخطوطاتُ الخاصة دورَ الكتب العامة ، حفظاً لها وتيسيراً للانتفاع بها .

ومن أعظم بيوتات العلم في دمشق أسرة آل حمزة ، انتهت إلى الكثيرين من أبنائها : المتقدمين والمتأخرين ، نقابة الأشراف والفتيا في الشام ، وضمت خزائنهم نوادر المخطوطات العربية التي عكفوا على جمعها السنين الطوال ، وأنفقوا في تخيُّرها النفيس من الزمن والجهد والمال ، وقد أعانهم على ذلك انصرافهم إلى التبحر في العلم كابراً عن كابر ، وحرصهم على التكثر منه والتعمق فيه . وعميد هذه الأسرة اليوم هو السيد سعيد حمزة نقيب السادة الأشراف في الشام ، وأحد أكابر رجال الفضل والعلم فيها .

اختار السيد سعيد حمزة من خزانته العامرة ثلاثمائة مخطوط في علوم مختلفة ، فأهداها إلى دار الكتب الظاهرية منذ أيام ، وانكب العاملون فيها على دراسة هذه المخطوطات ووضع فهرس لها يشتمل على وصف كل منها والتعريف به ، حتى يستفيد رواد الظاهرية من هذه المخطوطات . وإننا لنرجو أن يتاح لنا سرد أسماء هذه المخطوطات وبيان ما فيها في العدد المقبل من مجلتنا هذه .

نوَّهت بهذه المأثرة الحميدة كبريات الصحف السورية ، وبعث المجمع العلمي العربي للمهدي الكريم ، رسالة يشكر له فيها جميل صنعه ، ويرجو أن يأتسي المخلصون الغُيُر به ، ويسيروا على هديه .